



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم: التاريخ



مخصص: أنثروبولوجيا التنمية

أطروحة مقدمة لتليل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ موسومة بـ:

مقومات ومعوقات التنمية في الجنوب الغربي

- منطقة عين الصفراء نموذجا -

-راسة في أنثروبولوجيا التنمية-

تحت إشراف:

أ. د. بوحسون العربي

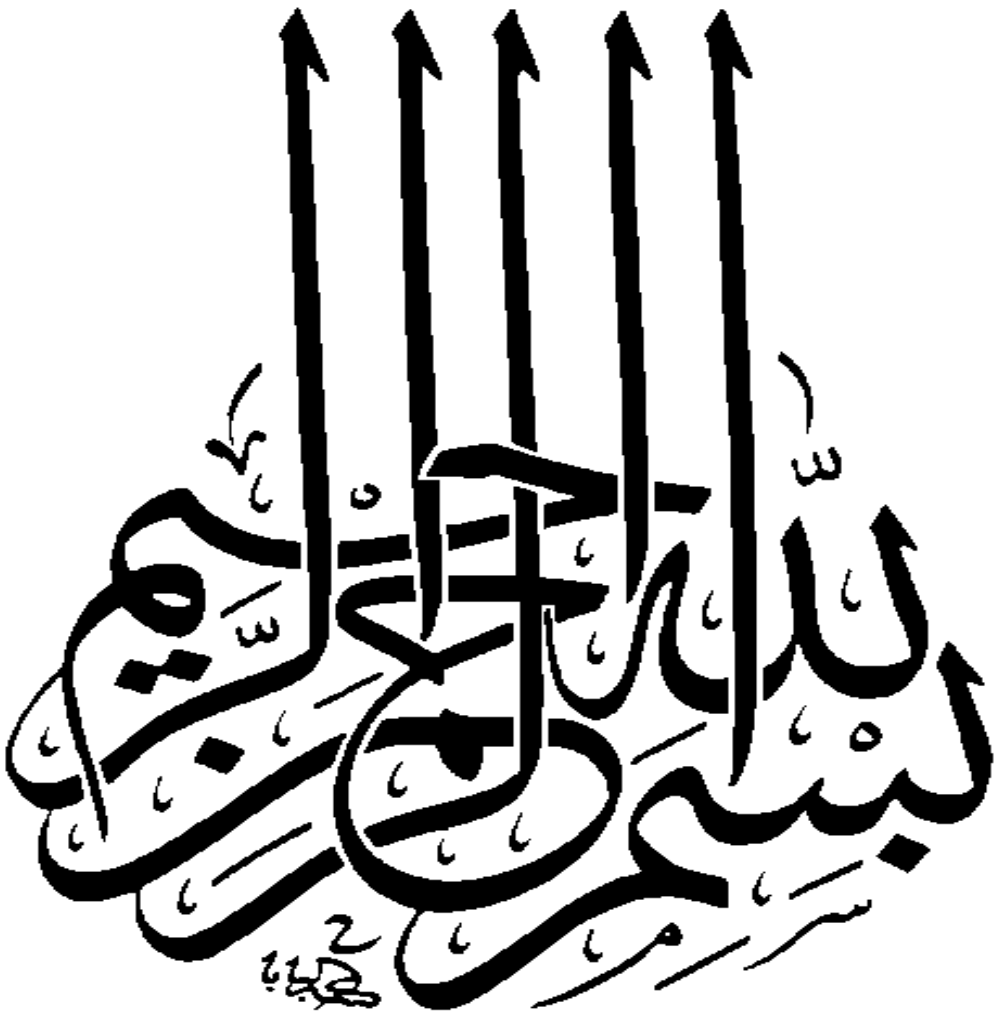
من إعداد الطالب:

تاجر مراد

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ	أ.د. محمد سعدي
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ	أ.د. العربي بوحسون
عضوا	المركز الجامعي البيض	أستاذ	أ.د. قويدر سيكوك
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ	أ.د. عبد الله بن معمر
عضوا	جامعة بشار	أستاذ	أ.د. عبد الله سي موسى
عضوا	جامعة بشار	أستاذة محاضرة "أ"	د.د. وسيلة عيسات

السنة الجامعية: 2021-2022م



كلمة شكر وعرّفان

نحمد الله تعالى الذي أولانا نعمة التوفيق ووهب لنا الإرادة ونحمده تعالى ونشكره

على إنجاز هذه المذكرة وصلّ اللهم على سيّدنا وحبينا محمد خير الأنام

وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وعلى أصحابه أجمعين . . .

توجه بخالص الشكر والعرّفان

إلى الأستاذ المشرف " بوحسون العربي " الذي يرجع له الفضل الكبير في اتمام هذا العمل نظير

جهده و تصويباته و ملاحظاته التي اعانتني في اتمام هذا العمل والشكر موصول إلى كل الأساتذة

المناقشين .

وأخيرا نشكر كل من كانت له يد العون من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل .

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا في حياتنا إلى ما هو خير وأن يرزقنا صلاح العمل وسموّ الغاية

وإخلاص النية .

إهداء

الحمد لله تعالى الذي نور قلبي وجعلني أوفق في إتمام هذا العمل المتواضع
الذي يعدّ ثمرة جهدي راجيا من الله عز وجل أن يجعله مفتاح خير وسعادة
لكل من سلك درب العلم.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى: روح أبي وأمي الطاهرتين.

إلى التي رعيتني ورافقتني، وكانت عوض أُمِّي في الحياة أختي خديجة، وإلى

زوجتي رفيقة دربي و ابنائي فاطمة و محمد

إلى كل أفراد العائلة صغيرا وكبيرا.

سراو

مقدمة

استحوذ موضوع التنمية كهدف وغاية انسانية على اهتمام المفكرين والعلماء اذ اعتبر مفهوما مركزيا تصدر كبرى النظريات منذ ما يربو عن النصف قرن، و خاصة في السنوات القليلة المنصرمة بحيث تجلى في السباق المحموم الرامي الى امتلاك مقومات القوة بكل أشكالها والاكتفاء واستكمال اركان السيادة والاستقلالية، وارساء قواعد السلم والامن الداخلي حتى بين كبرى الدول، حيث حظي باهتمام المخططين لرقى ونهضة الأمم من اقتصاديين، وأنثروبولوجيين وعلماء اجتماع و سياسيين و قد نال حيزا هام من أعمالهم فخصصت له النقاشات و المنتديات و عقدت لأجله المؤتمرات وفتحت لأجله الورشات كونه من القضايا الرئيسية، والمفصلية التي شغلت بال المجتمعات كافة، باعتبار التنمية مطلبا أساسيا للشعوب ترمي الى تحقيق العدالة والرفع من نوعية الخدمات وتجويد الرعاية الصحية و اصلاح المناهج والنظم التربوية، و إرساء مقتضيات الامن القومي بكل أشكاله من غذاء واستقرار واشباع للحاجات الأساسية و الخ.....

ومما لا شك فيه تسعى التنمية كعملية مخطط لها لوضع الاليات والأدوات اللازمة للحفاظ على الانسان وانصافه عبر التوزيع المتوازن للثروات، واستدامتها بين الأجيال المختلفة بتثبيت المكاسب و صونها واجتناب كل ما من شأنه احداث اختلالات و اضطرابات وظيفية و بنائية، و تكريس سلوكيات ثقافية معيقة للتنمية ومربكة للمجتمعات المتطلعة لتحقيقها في كافة المجالات والأصعدة، فالدراسة تسعى الى الوصول للتفسير والتعليل لمشكلة التنمية كواحدة من القضايا الهامة، بربطها بالبعد الثقافي والقيمي والتحولات السياسية كمتغيرات و محددات و كإطار للتحليل في فهم طبيعته الفعل التنموي و معوقاته و مقوماته، فعلى الرغم من أن النهوض بالمستويات الاقتصادية، وزيادة الانتاج هما هدفان أساسيان من أهداف التنمية، الا أنه ينبغي أن لا ينظر إلى أسلوب الانتاج والأدوات المستخدمة فيه على أنه المفتاح الوحيد للتقدم والتطور الاقتصادي" فهناك قوى وعوامل اجتماعية وثقافية لا تقل أهمية على القوى والعوامل الاقتصادية التي يمكن

أن يكون لها الأثر البارز في زيادة الانتاج أو انقاصه"¹.

لقد أصبح مصطلح التنمية متداول في مختلف الأوساط العلمية وبين مختلف التخصصات رغم اختلافاتها المعرفية والمنهجية والحقلية فقد اضحى الموضوع شغلا شاغلا لمختلف الباحثين على اختلاف مشاربهم لما يستدعيه من تكاتف للجهود ولما يستهدفه من تغيير للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كذلك. فالتعاطي مع قضايا التنمية واعتماد مقاربات قد يشكل نقطة تحول بين العلوم في منظورها للتنمية على النحو المتناسب مع طبيعتها والمتلائم مع قواعدها النظرية، فالمشتغل في الأنثروبولوجيا على التنمية كواحدة من الرهانات والامتحانات الحقيقية التي تعترم جميع الأمم على تجاوز صعوباتها ومعوقاتهما والنجاح في تجسيدها. مطالب بالأساس على إدراك معنى الخصوصيات والفروقات الثقافية والحضارية والتاريخية والاجتماعية والتجارب المتفاوتة. وهو ما نسعى الى تبيانه من خلال هذا العمل المندرج في تخصص أنثروبولوجيا التنمية كشعبة و تخصص يهدف الى تسليط علم الانسان على مشكلات التنمية لقراءتها قراءة تمتاز بالتركيز على الجوانب المهملة التي قد يتجاهلها او يتغاضى عنها الاقتصادي والسياسي و الأيديولوجي، وبمعايير قياسية، وأدوات تحليلية ضمن حدود النظرية خاصة بعد تطورها، واتساع نطاق مواضيعها و نذكر منها في هذا السياق أعمال موريس غودوليه التي مهدت الطريق لدراسات لاحقة في شعبة الأنثروبولوجيا الاقتصادية على غرار دراسات كل من كريس هان و كيت هارث الامريكيان اللذان سعيا من خلال كتاب الأنثروبولوجيا الاقتصادية الذي صدر سنة 2009 لتحليل اسباب الازمة التي شهدتها الولايات المتحدة الامريكية خاصة في القاءهما الضوء على النسب المرافعة للفائدة أو للربا كما يصطلح عليه في الدول الاسلامية ، وهو ما قد يبرر نزوع الكثير من العلماء و الباحثين للاهتمام بالبعد الاجتماعي والثقافي في دراسة النظم المعاشية الاقتصادية خاصة بعض فشل بعض الاقتربات الأحادية الابعاد في فهم أسباب وخلفيات فشل الفعل التنموي خاصة إذا تم ربطه بالمعطى

¹ أحمد الربايعة : مقومات التنمية ومعوقاتهما، قسم علم الاجتماع كلية الآداب، جامعة الأردن ، 1988 ، ص06

الحدائي في اطار أفكار اتجاه التحديث، والذي يعتبر من أهم الاتجاهات التي تناولت الموضوع بالتفسير وطرح المقاربات، والذي يلاحق أصحابه بين التنمية والتصنيع والتحديث حيث و حسب ما يرون في تحليلهم وتطرقهم للتنمية كمسعى و غاية، ويرون أيضا أن عملية التحديث عبارة عن حالة معينة للتنمية وان التصنيع هو احد أوجه التحديث، و أنه لا يمكن الفصل بين العناصر الثلاث. كما ربطت التنمية بعمليات التحضر التي ترتبط في نظرها ارتباطا وثيقا بالتنمية الاقتصادية والتحول الثقافي والاجتماعي بوجه عام لذلك فان التنمية هي اهتمام بالتغير الاجتماعي وبالتحضر.

إن بلورة أفكار نظرية ضمن نماذج تطبيقية، ومحاولة اسقاطها كما هي لم تلق النجاح المأمول، إذ أن المتأمل في اتجاهات التطوير التي قدمها علماء الاجتماع، والاقتصاد والسياسة، بقصد تفسير قضايا التخلف والتنمية سوف يدرك أن هذه الأطر النظرية المفسرة للتخلف والتنمية، قد صاغها أصحابها في ضوء السياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي لمجتمعاتهم، مما تسبب في فشل النماذج التطبيقية التي خبرتها البلدان النامية التي تبنت هذه المنظومات ضمن سياق اجتماعي و اقتصادي وثقافي وتاريخي مختلف، فالدول تصنف تبعا للتقدم الاقتصادي إلى دول فقيرة متخلفة؛ نامية؛ شبه متقدمة؛ ومتقدمة. وهناك من يقتصر على التصنيف الثلاثي: دول متقدمة ونامية ومتخلفة. وفي سنة 1956، وضعت الأمم المتحدة تعريفا شاملا للتنمية الاجتماعية على أنها "العمليات التي تتوحد بها جهود المواطنين والحكومة، لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية، وتحقيق تكامل هذه المجتمعات، في إطار حياة الأمة ومساعدتها على المساهمة الكاملة في التقدم القومي"¹.

إذ أن هذه النماذج النظرية والتطبيقية حينما تركز على التحديث والتغريب باعتبارهما المدخلين الرئيسيين لتحديث البلدان النامية، والطريقة المثلى التي يتعين على هذه البلدان إتباعها، إنما تؤكد بذلك على

¹ محمد بالرابح، افاق التنمية في الجزائر، مخبر تطبيقات علوم النفس وعلوم التربية من احل التنمية، جامعة وهران، 2007، ص27.

انحيازها الصريح للنموذج الغربي في التحديث.

لا شك أن معرفة معوقات مشاريع التنمية ضمن الإصلاحات الهيكلية و الاقتصادية، و الغايات السياسية التي نلاحظها عبر البرامج و الجهود الهادفة لخدمة المجتمع و الرقي بالدولة، لمتوقف على مدى قدرة المخططين و الخبراء و صناع القرار من الاستفادة من الاعمال ذات الصلة بالتنمية في شتى المجالات و التخصصات و بخاصة العلوم الإنسانية و الاجتماعية لاسيما في الجزائر التي تهيمن فيها البنية التقليدية، وتتسامى فوق قيم المجتمع الصناعي و المابعد-حدائي من خلال توظيف مخرجاتها و لعل أبرزها تلك المهتمة بالثقافة كعنصر ومكون أساسي لا ينبغي اهماله في فهم و تحليل الظاهرة الاقتصادية.

إن التنمية المستدامة لا تعتمد على رأس المال المادي فقط، وإنما تحتاج إلى راساميل أخرى، وتبقى الغاية هي الحفاظ على البيئة وأنساقها المختلفة. وقد أثبتت كرونولوجيا عمليات التنمية التي أجريت في العالم، أن توفر رأس المال المادي وحده دونما توفر بقية الأصناف من رأس المال، لا يحقق تنمية مستدامة. كما أن عدم الأخذ بالبعد الاجتماعي والثقافي في عمليات الاستدامة، يتسبب في إهدار مكونات الأنساق البيئية، وعليه فأهمية موضوعنا تبرز من خلال التطرق والاهتمام بمعضلة التنمية من المنظور الأنثروبولوجي التكاملي الذي يدمج الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي مع القرار السياسي لتحقيق تنمية مستدامة، سنحاول التطرق إلى التغير الاجتماعي و الثقافي الذي يعتبر من العوامل التي قد تفسر على ضوءها ما هو قائم فقد درست فكرة التنمية الاجتماعية لأول مرة سنة 1950 في هيئة الامم المتحدة و هو التاريخ العام لانطلاق دراسات التنمية الاجتماعية لدى المشتغلين بعلم الاجتماع المعاصر اعتبارا من الدراسة التي اعدھا فيليب روب F Roop بعنوان المدخل الى تنمية المجتمع سنة 1955 حيث يحاول تبيان أوجه الاختلاف بين التنمية والتغير الاجتماعي باعتبار ان الاحاطة بموضوع التنمية تحتاج منا ضبطا يتسع لجميع عناصرها المتداخلة بما يعيننا على فهم هذه العملية المعقدة والمركبة وتحديد مفهومها بالنحو الذي يضعها في نقطة التماس مع باقي التخصصات، فهمومها فتعتبر التنمية مفهوما فضفاضاً ومطاطياً

يتجاوز أدبيات، ومسلمات عقلية عديدة. فقد اختلفت مفاهيم التنمية من مدرسة لأخرى و من تخصص لآخر تبعاً للمضمون و طبيعة المقاربة المعتمدة في تناولها والبعد المركز عليه لكن يمكن إجمال التعاريف للتنمية بأنها عبارة عن التغيير الإرادي الذي يحدث في المجتمع سواءً اجتماعياً، أم اقتصادياً، أم سياسياً، بحيث ينتقل من خلاله المجتمع من الوضع الحالي الذي هو عليه إلى الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه، بهدف تطوير وتحسين أحوال الناس من خلال استغلال جميع الموارد والطاقات المتاحة، حتى تستغل في مكانها الصحيح، ويعتمد هذا التغيير بشكل أساسي على مشاركة أفراد المجتمع نفسه. فالتنمية كمفهوم تتضمن جانبين هما الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي وبما لهما من التداخل يصعب الفصل بينهما ذلك أننا حين نرفع المستوى التعليمي والصحي والثقافي للمواطنين فإننا نعمل في الوقت نفسه على تحقيق مستوى أعلى من الكفاية البشرية وهذا يعني زيادة الإنتاج والدخل والاستهلاك، وهذه الزيادة بدورها تتطلب مزيداً من الخدمات الاجتماعية¹.

إضافة الى ذلك فمفهوم التنمية يخضع لاعتبارات تختلف باختلاف التخصصات العلمية فهي تعني لدى المشتغلين بالعلوم الانسانية والاجتماعية تحقيق التوافق الاجتماعي لدى الافراد بما يعنيه هذا التوافق من اشباع للحاجات البيولوجية والنفسية والاجتماعية، اما المعنيين بالعلوم السياسية والاقتصادية فهي تعني وصول الانسان الى حد أدنى لمستوى المعيشة هو حق له تلتزم به الدولة و تعزز جهوده الاهلية لتحقيق كفاءة استخدام الإمكانيات المتاحة وتعني لدى المصلحين الاجتماعيين توفير الصحة والتعليم والمسكن الملائم والعمل المناسب لقدرات الانسان والدخل الذي يوفر له احتياجاته، وكذلك الامن وتكافؤ الفرص والانتفاع بالخدمات الاجتماعية، وعند رجال الدين تعني التنمية الاجتماعية الحفاظ على كرامة الانسان باعتباره خليفة الله في الارض، وأن يستوجب العدالة القانونية والاجتماعية والاقتصادية². وفي هذا المقام نشير الى

¹ -ماهر ابو المعاطي علي، التنمية الشاملة. معالجة محلية وعالمية لقضايا التنمية. حلوان. المكتب الجامعي الحديث ص12، 2012
² -ت، ص10 ص11 سميرة كامل محمد، التنمية الاجتماعية - مفهومات أساسية- رؤية واقعية- الاسكندرية: المكتب الجامعي

تخصص يمكننا الاستعانة به كمدخل لتنمية المجتمع المحلي الذي نحاول التعريف به و بأهم التغيرات التي طرأت عليه له، وهو تخصص له في جعبته رصيد معتبر من التجارب والنماذج التي أسقطت عليها أهم النظريات النفسية، والسلوكية والسوسيولوجية في مجابهة المشكلات المتعلقة بتنمية المجتمع وأفراده و هو العمل الاجتماعي الذي يتمثل في مجموعة العمليات المقصودة التي يقوم بها أفراد يمثلون مجتمعهم، أو تلك التي يقوم بها الشعب من خلال جماعات أو هيئات لتحقيق أهداف اجتماعية مرغوبة عن طريق مطالبة السلطات المسؤولة بإحداث تغييرات في السياسات العامة القائمة أو فيما ينبثق عنها من سياسات أخرى أو الخطط والبرامج المنفذة، بغية استغلال كل المقومات و تجاوز جميع المعوقات، فالعمل الاجتماعي أو الخدمة الاجتماعية كممارسة و مهارة فنية و ميدانية تنهل من فكر التنمية المستمدة فلسفته من قواعد البحث الأنثروبولوجي الذي يعتبر الميدان والدراسة الحقلية من أهم أدواته في بناء وتحليل وتفكيك وتركيب القضايا وتفسيرها بناء على المعاينة والقرب من مجتمع الدراسة بالمعايشة والملاحظة بالمشاركة فالعمل الاجتماعي كرافد من روافد التنمية يتضمن تطبيق النظرية الاجتماعية ومناهج البحث الاجتماعي بهدف دراسة حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات وتحسينها. وانطلاقاً من ذلك فالعمل الاجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بباقي فروع العلوم الاجتماعية الأخرى ويتحد معها كوسيلة لتحسين الظروف والأحوال الإنسانية وكذلك من أجل العمل على تغيير استجابة المجتمع للمشكلات المزمنة التي تواجهه ومدى تعامله معها بصورة إيجابية.

من الثابت أنه لا يمكن الادعاء أن الأنثروبولوجيا - بوصفها حقلاً علمياً ومعرفياً - قد لعبت دوراً حساساً في برامج التنمية واضطلعت بما تمتلك من أدوات و نظريات تفسيرية و نقدية بكشف الغطاء عن الأسباب الفعلية التي تكمن في تعطيل مسارها وما يعترضها من معوقات ومطبات تجعل من التقدم ومقارعة الصعاب و احداث قفزة صوب النماء والازدهار شبه مستحيل، خصوصاً لدى الدول التي لازالت لا تولي العلوم الاجتماعية والإنسانية قدراً كافياً من الاهتمام ولا تسعى الى استثمارها استثماراً جدياً ومجدياً في

برامجها التنموية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولا يمكن إنكار ما قدمته الأنثروبولوجيا من دراسات كشفت الكثير عن المجتمعات وتغيراتها النسقية البنيوية الوظيفية من خلال تمكنها من الوصول الى مكامن الخلل و مواطن القصور وسبل الخروج من التخلف والفقر والمشكلات الاجتماعية ذات الأصول الاقتصادية لاسيما الأنثروبولوجيا التطبيقية وأنثروبولوجية التنمية، فالحديث عن التنمية هو في حد ذاته اثبات و إقرار على فقدانها أو السعي الى بلوغها وتوسيع رقعتها و تجسيدها كمطلب شعبي وكبرنامج سياسي لا نكاد نجد له أثرا ولا ذكرا الا في الاستحقاقات والخطابات الشعبوية الظرفية.

فقد عرف مفهوم التنمية تجاذبا وانسجاما تارة وتضاربا تارة أخرى بين المهتمين في الحقول العلمية المتباينة، باعتبارها كعملية معقدة تتداخل فيها كثير من الابعاد والعناصر خاصة في الجانب السياسي والأيدولوجي والثقافي فثمة صلة قوية بينهما نفوق صلة التنمية بالاقتصاد كما يعتقد الكثير ممن يتصورون انحصار التنمية في عمليات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والتبادل أو في المعطى الاقتصادي دون غيره من الابعاد والعوامل.

تعتبر المعوقات الثقافية التي نحاول ابرازها والاعتماد عليها ضمن العناصر المؤثرة والمعيقة للتنمية وبإعطائها وزنها الفعلي في التحليل كونها من بين أهم التحديات التي تقف في وجه التنمية فغالبا ما يكون سبب فشل المشروعات التنموية في المجتمعات المحلية راجع لعدم الانسجام والترابط والتوافق بين المشروع التنموي كآلية والأرضية الثقافية كمنطلقات، نتيجة نقص الوعي المحلي وضعف التنقيف الحضري، خاصة في أوساط الشباب، ذلك أن من وسائل تفعيل دور الشباب في التنمية المحلية، التنقيف الحضري، عبر برنامج مستمر، بدأ من الأسرة في النظم التربوية والإعلامية وغيرها، فلا جدوى ولا طائل من مخطط او برنامج لا تتضافر فيه جميع الجهود لتكوين نموذج للشباب لديه ثقافة التنمية المحلية المستدامة، أما فيما يخص العوائق الاجتماعية التي تسود المجتمع المحلي وتحول دون تحقيق التنمية فيه، فنجد التزايد السكاني المحلي وما ينجم عنه من مشاكل اجتماعية واقتصادية، خاصة في أوساط الشباب

كانت انتشار البطالة والأمراض والطبقات الهشة مما يتعين معه تخصيص مبالغ ضخمة لمواجهتها، كان بالأحرى توجيهها للاستثمار المحلي الذي يحرك عملية التنمية، مما يطرح إشكالية التنمية المحلية في ظل العوائق الاجتماعية قصد توفير الخدمات العمومية الضرورية كالسكن والتعليم والغذاء والعمل والدواء وغيرها من ضروريات الحياة فان وقفنا عند مدلول التنمية من وجهة نظر الاقتصاديين فنعرفها على أنها مقدار التطور الذي يحدث على الاقتصاد وعلى العجلة الاقتصادية خلال فترة زمنية معينة، أو مجموعة الإجراءات والخطط التي يسعى العديد من الأفراد متخذين القرارات إلى اتخاذها بداخل حدود الدولة، حيث تُعتبر هذه القرارات مهمة وحيوية تعمل على رفع المستوى الاقتصادي بشكل عام، وكذلك تحسين أوضاع المواطنين والأفراد الذين يقيمون في البلاد، مما يؤدي إلى تحسين العجلة الاقتصادية بشكل عام وتحسين جميع نواحي الحياة. لقد مثلت التنمية مشروعا حتميا نشأ من استقرار الرأسمالية العالمية، الشئ الذي مكن من إيجاد مفهوم مثالي للتنمية باعتبارها فعلا ثوريا في التطور الزمني لمسألة الحداثة. ذلك ما دفع مختلف دول العالم إلى تكرير واستحداث تجربة الحداثة، مما أدى إلى توقع العام والخاص بتقلص ثم تلاشي الفجوة بين العالمين المتحضر والمتخلف الأمر الذي لم يتحقق نظرا للفوارق الهامة والتجارب المتميزة و المعطيات المتباينة، وفي هذا الإطار قدم مشروع التنمية بشكله الشمولي المنمذج على أنه الرؤية الصحيحة الوحيدة لتطوير العالم وازدهاره، وهو المخرج الوحيد لكل الدول التي تعاني من التخلف، غير أن هذا المفهوم قولته الرأسمالية في شكل معد مسبقا وجاهزا للاستعمال، لا يقبل النقد ولا التبديل ولا يترك للمجتمعات أي حق أو هامش من الحق لفهمه واستيعابه قبل تطبيقه بل ويسعى الى تعميم وانتشار وتوطين نفس النماذج في غير بيئتها الجغرافية والحضارية والقيمة والثقافية.

لقد كانت التنمية ولازالت من المواضيع بل وحتى من المفاهيم الأساسية في العلوم الاجتماعية عامة، وفي علمي الاقتصاد والاجتماع على وجه الخصوص لتتضاف في منتصف القرن العشرين

الأنثروبولوجيا من خلال اعمال موريس قودوليه ¹maurice gaudolier وجورج بالونديه Georges BALANDIER² وإذا كان علم الاقتصاد يهتم بموضوع التنمية على نحو متميز من حيث أنه يربط التطور المجتمعي بالمشاريع الاقتصادية وما مكن ان تؤديه من تحول مادي ومالي في المجال الاقتصادي بالتحديد، لذلك وكما يعبر عنه قاموس لاروس³.

فان التنمية من المنظور الاقتصادي تعني التطور النوعي الدائم لعوامل الاقتصاد الوظيفية الذي يؤدي إلى نمو المجتمع، واستنادا على هذا التعريف ظهر مصطلح «المجتمعات النامية» أو «المجتمعات السائرة في طريق النمو، للدلالة على تلك الدول التي كانت خارج إطار الدول الرأسمالية المتطورة، ودول المعسكر الشرقي الاشتراكية أما في إطار علم الاجتماع، فإن مفهوم التنمية لم يكتفي من النظريات السوسيولوجية منذ أن أسس سان سيمون علم الإنسان، واهتم من خلاله بالتحولات الاجتماعية التي نقلت النظام الإقطاعي إلى المجتمع الصناعي.

لقد وجد عالم ما بعد الحرب نفسه مدعوا للقضاء على الفوارق التي نشأت بين القرى والمدن و في سبيل الوصول إلى ذلك كان لا بد من إصاخة السمع لصوت العلوم الإنسانية، من هنا كان من الضروري العمل على " صناعة " سوسيولوجيا قروية تتشغل أساسا بالمجتمع القروي و تفكر فيه و حوله بهدف تقديم خلاصات و إجابات محتملة بصدد حركاته و فعالياتة.

تسعى هذه الدراسة الى استظهار قوة الأنثروبولوجيا في معالجة مشكلات التخلف و الركود الاقتصادي

1-Maurice Godelier, né le 28 février 1934 à Cambrai, est un anthropologue français Maurice Godelier est l'un des tout premiers partisans de l'intégration du marxisme à l'anthropologie. Son expérience du terrain est riche des sept années passées parmi les Baruya en Papouasie-Nouvelle Guinée entre 1967 et 1988. Il intervient sur de nombreux sujets au cœur de la compréhension du monde contemporain : les relations hommes/femmes, l'économie, l'imaginaire, entre autres. Il demeure engagé sur la scène intellectuelle et affirme le besoin d'une reconstruction des sciences sociales, afin de comprendre le monde contemporain dans lequel les pays émergents se modernisent sans s'occidentaliser. Il compte parmi les chercheurs en sciences humaines les plus influents et ses apports à l'anthropologie lui ont valu de nombreuses distinctions.

2-Georges Balandier, né le 21 décembre 1920 à Aillewillers-et-Lyaumont Haute-Saône) et mort le 5 octobre 2016 à Paris, est un ethnologue et sociologue

3- Selon Le Petit LAROUSSE (1996), le développement est l'amélioration qualitative et durable d'une économie et de son fonctionnement

باعتبار تواجدها في صميم قضايا التحضر و الإنتاج و الصناعة و المدينة لخير دليل على تجاوزها لدراسة البعيد و الغريب و البدائي، و خاصة اتساع الهوة بينة دول الشمال و دول الجنوب الذي يعتبر بمثابة اللحظة الفارقة التي أكدت ضرورة تأسيس شعب و تخصصات تتماهى مع رهانات الدول في فهم ذواتها الاجتماعية و الثقافية و تفسير ما استجد من أزمات انطلاقا من باراديجم فكري نقدي تحليلي ينبع من صميم علوم الانسان و المجتمع، وهو ما سرع بميلاد أنثروبولوجيا التنمية كثمرة لمجهودات بحثية ميدانية قطعت الشك باليقين اذ أنه لا مرأى من الاستغناء عنها في مساعي تجاوز التخلف و التبعية و تدليل معوقات التنمية كيفما كانت أشكالها والتي يقع الانسان في جوهرها و في صلبها فلا تنمية بلا انسان.

تأتي هذه الدراسة كمحاولة لرصد أبنية العوامل الثقافية و دورها في عملية التحديث و التنمية في المجتمع الجزائري و في منطقة عين الصفراء بالأخص، و كأى دراسة علمية حاولنا أولا تحديد المفاهيم الأساسية التي قام عليها هذا البحث خاصة تلك التي تعلق بالثقافة، التنمية و المنظومة القيمية، و رصد واقع التحولات الاقتصادية بعيدا عن القراءة الاقتصادية الصرفة، وذلك بمحاولة دراسة التراكمات الثقافية و الاجتماعية التي أفرزتها هذه التحولات في إطار يسمح بدراسة العلاقة بين المقومات التي تزخر بها منطقة عين الصفراء طبيعيا و بشريا و بين ما يحول دون استغلالها و استثمارها فيما يخدم التنمية المحلية خاصة بعد فشل النماذج التنموية المستوردة بعدم قدرة المجتمع المحلي بإحداث قطيعة فعلية مع النمط التقليدي خاصة في المناطق الريفية و الزراعية و الجبلية و بالتالي تجاوز البعد الاقتصادي و تصويب العمل نحو البيئة الثقافية، و الاجتماعية العامة للمجتمع بما يسمح و يتيح تفسير معوقات التنمية انطلاقا من المؤثرات الثقافية و على ضوء انعكاسات التغير في النظم القيمية و البيئية.

وإذا كان الباحث من خلال هذه الدراسة يحاول إماطة اللثام عن تأثير العوامل الثقافية و الاجتماعية في بناء نماذج حقيقية للتنمية المحلية و مشكلاتها بمنطقة عين الصفراء كنموذج، فإن الباحث يأمل و يطمح بأن تكون مثل هذه المحاولة حافزا للقيام بدراسات أكثر عمقا ذات طابع أنثروبولوجي باعتبار المنطقة ميدان

ملائم لها بهدف استكمال جوانب الموضوع المختلفة وذلك أمام التزايد الكبير بالاهتمام بالتنمية في مختلف الجهات وخاصة تلك التي سميت بمناطق الظل اوفي المدن ذات الكثافة السكانية مع ما يقابل تلك الزيادة من إهمال لدور العلوم الاجتماعية و الانسانية لاسيما أنثروبولوجيا و علم اجتماع التنمية الذي تكاد تكون فيه الاعمال شحيحة و نادرة، بالكفاية التي تحقق التكيف الإيجابي داخل المجتمع وضمان توظيف قدرات وطاقات ومقومات كل الفواعل في مجالات التنمية المختلفة فضلاً عن تدني مستوى الدعم الاقتصادي والنفسي المقدم إلى بعض الشرائح وعائلاتهم كالبدو الرحل و الحرفيين و المرأة الريفية.

ومن هذا المنطلق يأمل الباحث أن تكون الدراسة الراهنة بمثابة إسهام علمي في مجال دراسة هذا الموضوع الهام الذي نأمل في إثراء التراث العلمي لأجل خدمة للمجتمع و للتنمية لمختلف مستوياتها و تحديدا في ارتباطها العضوي والوظيفي بالمحددات الثقافية والقيمية اذ تميل الأنثروبولوجيا التطبيقية لتأكيد اهمية العناصر الثقافية والعقلية والتي يجب أن تتغير كي تتغير تبعاً لها البنى الاجتماعية المفروزة لطبيعة النمط الاقتصادي، فالأنثروبولوجي المهتم بالتنمية و واقعها ملزم بمراعات ظروفها و محيطها، و قوامها البشري بما يتضمن من مكونات عبر تحديد امكانية المزاجية والربط بين المفاهيم العلمية والتقنية الحديثة والمفاهيم التقليدية السائدة في المجتمع المستهدف وثقافته الموجهة للسلوك.

الإطار المنهجي للدراسة

1-تحديد الموضوع

لكل بحث علمي دواع ذاتية و أخرى موضوعية تستدعي الاختيار وتستثير الانتباه، لأن الإشكالية لا تحصل اعتباطاً، ولا تتشكل دفعة واحدة بل هي نتاج لانتماء الباحث لدائرة معرفية معينة ولاتصاله بمواضيع تتدرج في مجال اهتمامه الأكاديمي والعلمي، وهي نتاج لرواسب وقضايا تدور في ذهن الباحث نابعة عن الملاحظات و الاطلاع المسبق والنقاش المجتمعي والسياسي الذي تفرزه الاحداث والتحويلات التي تمس واقعنا ونعنى بها جميعاً، خاصة حينما تتعالى الأصوات المطالبة بضرورة التمكين للعلوم الإنسانية و الاجتماعية في مساندة الاحداث و بمعالجة المشكلات وتفعيل دور هذه التخصصات قصد تجاوز الازمات و تسيير الندرة في الموارد و عقلنة المجتمعات والتمكين للحكومة.

من خلال هذا البحث سنحاول أن نتعرض الى أهم المقاربات في الأنثروبولوجيا التي تتحو في اتجاه التنمية بمختلف ميادينها، لاسيما داخل المجتمع المحلي قيد الدراسة، فلاشك أن التنمية المحلية تراعي البعد الاقتصادي من أجل تنمية الإقليم المحلي اقتصادياً، و ذلك عن طريق البحث عن الموارد المتاحة و حسن استغلالها اقتصادياً، وهي الموارد التي يمكن أن تتميز بها أي منطقة سواء عن طريق النشاط الزراعي أو الفلاحي أو الصناعي والحرفي، و تجدر الإشارة من خلال استقراء و استجلاء نقاط القوة في تجارب الدول المزدهرة أنها تنتبه و تجتهد في تصنيف مناطقها حسب مميزاتها وخصائصها، و مقوماتها واحصاءها مسبقاً تكون قادرة على النهوض بالنشاط الاقتصادي المناسب لها، والملائم لطابعها و معطياتها البشرية والثقافية والبيئية فأنثروبولوجيا التنمية مرتبطة كميدان للدراسة، واطار للنظرية بتطبيق المعارف والخبرات الأنثروبولوجية بهدف إيجاد الحلول للمشكلات المزمنة التي تواجهها البلدان النامية.

إن تخطي مرحلة التخلف المشهود في كل الدول التي عرفت نفوذا للقوى الاستعمارية حتى في مرحلة ما بعد الاستقلال، والانتقال بالأفراد والجماعات خاصة منها تلك التي نسميها ريفية أو قروية والدفع بها إلى مرحلة جديدة لبناء اقتصاد جديد، والقضاء على التبعية ومسببات الفقر والمشكلات

الإطار المنهجي للدراسة

الاجتماعية ومسبباتها، تستدعي اتخاذ توجهات وسياسات تعتمد على إمكانيات وموارد كل دولة و وفق أيديولوجياتها مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل الخارجية التي تؤثر في هذه الدول من حيث اعتمادها على سياسات معينة وتحالفات وشراكات تخضع لمعطى التكتلات، ومعروف إن قيام الثورة الصناعية في أوروبا وانتشارها إلى أقطار العالم مثل اليابان، والاتحاد السوفيتي قد حقق نجاحات في النمو والتقدم على الأصعدة جميعها، لذلك اجتهد الباحثين و المتخصصين في دراسة التجارب و النماذج لوضع نظريات أو افتراضات لتفسير كيفية التحول من حالة التخلف إلى حالة التقدم، أو في وضع تصنيفات تباعا للتحولات التي تعيشها المجتمعات ففي الجزائر عامة و في المنطقة قيد الدراسة بخاصة، حيث انعكست البرامج و الخطط السياسية التنموية على المورفولوجيا الاجتماعية، وعلى النشاطات الاقتصادية و على المجال الحضري والتي اسفرت عن تفاقم معدلات النزوح الى المدينة و هجران كثير من الحرف و الصنائع و الأنشطة الهامة و التي يمكن ان نعاينها عن كثب باعتبارها من معيقات التنمية، التي قد تعزى الى جملة من العوامل و العناصر اليت قد تشكل الثقافة المحلية احد أهمها من منطلق أنها قد تتحول إلى عائق أمام تطور الاقتصاد و الخروج من الازمة الاقتصادية وهو ما يؤكد سليمان مظهر* في نظرية المواجهة النفسية حينما يثير مسألة الثقافة التقليدية الثقافية التقليدية ما هي إلا صورة من صور العجز الذي يعيق تطور المجتمعات المتخلفة، إذ أنها تفتقد للإنتاج والتجديد والتطور الاجتماعي، وهي في ابط صورها طريقة التعبير المستعملة من طرف ممثلي هذه الثقافة، إضافة إلى انتهاز الفرص والمساواة بين الناس مما يجعل هذه المجتمعات تعيش وترتبط بها الأغلبية ولا يمكن التطور دون التخلي عن هذه الأفكار، يقول سليمان مظهر: " تقتضي الإحاطة بهذا العجز توفر شرطين يتمثل الشرط الأول في الكف عن ربط هشاشة المجتمعات المتخلفة بتوابع الاستعمار أو التنافس الدولي والاعتراف، أما الشرط الثاني، فإنه يفترض بان جل هذه الهشاشة راجع للثقافة التقليدية "الاهتمام بالماضي البعيد حتى يتسنى الاطلاع على كيفية تنظيم و تسيير الحياة الاجتماعية بواسطة الثقافة التقليدية، أي يجب الاعتناء بما جرى قبل بروز الحداثة و

الإطار المنهجي للدراسة

العصرنة¹. فالثقافة كما هو معلوم الوقود الذي يحرك دواليب المجتمعات ويرسم ملامح نسقها الشخصي والقيمي والحضاري كما يعرفها علم الأنثروبولوجيا الثقافية، وتتفق معه العلوم الاجتماعية المعاصرة، فهي البيئة الثانوية التي تعتبر من صنع الإنسان، أي كل ما صنعه الإنسان للتعامل مع البيئة الطبيعية التي تعد البيئة الأولية من عناصر مادية وروحية على السواء، ولذلك تضم الثقافة كل المعايير والغايات، وأشكال السلوك والنظام التي يؤمن بها الإنسان كفرد أو عضو في جماعة كما تضم الأفكار و المثل العليا والاتجاهات والإيديولوجيات التي يسترشد بها الإنسان في توجيه السلوك أو في تبرير هذا السلوك، كما تضم الثقافة جزئيات هذا السلوك نفسه وعناصره المختلفة بمستوياته ومجالاته المتباينة. لهذا تمتزج داخل الثقافة كافة القوى والمنجزات الفكرية الروحية والاجتماعية والمادية، ومن صور التعبير التي تضمها أي ثقافة من الثقافات في الدين، والعادات، والفنون والمنظمات الاجتماعية (من مستوى الأسرة حتى مستوى الأمة) ، وكذلك الأدوار والأبنية الاجتماعية. كما تندرج تحتها بنفس الشكل وإلى نفس المدى مستويات التكنولوجيا المستخدمة في الثقافة، والقدرة على التنظيم الاقتصادي والعمل العسكري التي يتمتع بها الإنسان في شتى مراحل تطوره على اختلاف مستويات تقدمه. وقد ظل الأنثروبولوجيون لسنوات طويلة يصرون على أن الكلية والشمول هي إحدى السمات المميزة لعلمهم، وهم يعنون بهذا أنهم - على خلاف العلوم الأكثر تخصصا - يهتمون بدراسة المجتمع ككل، ومن الممكن أن يصدق هذا الزعم لأن مختلف العناصر الثقافية مترابطة ومتداخلة. ذلك أن القدر الأكبر من السلوك البشري ليس مجرد تجمع عشوائي من الأنشطة، وإنما هي تمثل أنساق تترابط أجزاءها².

* سليمان مظهر. (1944-2016)، أستاذ جزائري بدرجة بروفييسور مختص في علم النفس الاجتماعي

¹ -مظهر سليمان. منشورات ثالثة. الابيار. الجزائر. ط1. 2010. ص42

² محمود محمود الجوهري، علم اجتماع التنمية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، الاردن، 2010، ص81

الإطار المنهجي للدراسة

بناءً على ما سبق من تناول للمعطى القيمي والفكري المرتبط بمكونات الثقافة والعناصر المشكلة لها والتي تعتبر متشعبة و متعددة فالثقافة في أي مجتمع جوانب اقتصادية وأسرية ودينية وسياسية، هي جميعها عناصر مركبة من العديد من السمات والعلاقات والقيم والعادات السلوكية، ولكنها جميعاً تتوازن وعن توازنها تكتسب الثقافة تماسكها وأية محاولة لتغيير جانب واحد من هذه الجوانب يبعده عن وضعه التوازني، ولذلك فإن جهود التغيير إما تفشل نتيجة مقاومة بقية عناصر الثقافة لهذا التغيير وإما قد تتجح فعلاً في إحداث تغيير في جانب من الثقافة عن وضعها الأول المتوازن مع بقية العناصر الثقافية، وفي هذه الحالة يحدث للثقافة ما يحدث لأي شيء متماسك قائم على أساس توازني من تفكك وانحلال¹.

إن عدم امكانية توفير الأساس المناسب لبناء مجتمع حديث ومتطور من دون اجراء تغييرات أساسية في هذه القيم المجتمعية ذات الطبيعة الثقافية يجعل من مساعي التنمية متعذرة و مستعصية، وقد حظيت العلاقة بين الاتجاهات والقيم وبين التغيير الاقتصادي بأهمية كبيرة في الدراسات الأنثروبولوجية للتنمية وهناك من سار على نهج ماكس فيبر الذي يؤكد على أولوية العوامل الايديولوجية في استشارة التنمية الاقتصادية وسار وراء مفهوم ماكلياند عن واقعية الإنجاز، و قد حاول هذا الفريق تحديد العوامل الايديولوجية للقيم والاتجاهات والانماط الثقافية التي تعوق التنمية الاقتصادية فقد حاولت دراسات الأنثروبولوجيا والتكيف الثقافي حل التناقضات بين الأنماط الثقافية التقليدية وبين متطلبات التنمية الاقتصادية والتكنولوجية و اضافوا إلى ذلك في الأغلب اقتراح استراتيجيات للتكيف والموائمة بين القديم والجديد بما يضمن الوصول الى تحقيق التوازن والانسجام بين السياسات التنموية والمعطى السوسيو-ثقافي فثمة علاقة كبرى بين الابعاد والعناصر المتداخلة في عملية التنمية ما يجعل الاهتمام بمتطلباتها و مقتضياتها يتعاضم في محاولة لإيجاد سبل لنقل الدول النامية إلى مصاف الدول المتقدمة. وقد اختلفوا بذلك

¹ علي فؤاد احمد، مشكلات المجتمع الريفي، في العالم العربي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط01، 1993، ص23.

الإطار المنهجي للدراسة

ويرجع سبب الاختلاف إلى أسباب عديدة منها ما يتعلق بالمفهوم واقصد مفهوم التنمية ومنها اختلاف بالمنطلقات التي تتخذ كقاعدة للتنمية.

على الرغم من وجود كم هائل من التراث النظري حول التنمية، إلا أن عملية التنمية على أرض الواقع في العالم النامي أخفقت واثبتت فشلها، بحيث أنها لم تحقق مبتغاها، بل أنها تراجعت في المرحلة الأخيرة ولم يعد هناك اهتمام بالتنمية بالأساس، والحقيقة أن حتى هذا المفهوم فقد مغزاه وحتى الدول النامية التي ناضلت من أجل الاستقلال، فقدت جوهر استقلالها بعجزها على تحقيق مضمون الاستقلال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولم تفشل التنمية كمبتغى في الدول النامية فقط بل دخل الفكر التنموي نفسه في أزمة والاستقلال نفسه أصبح محل تساؤل، وإذا كانت التنمية تهدف في إحدى جوانبها توفير القدرة على التحرر أو مرادفة له، تبين أن هذه الدول النامية حررت أرضها ولم تحرر عقول شعوبها، والسيادة المفقودة توسعت وذوت من جراء اكتساح العولمة الجارف. وزادت الفجوة القائمة بين الدول المتقدمة التي زادت تقدما والدول النامية التي تعاضمت مشاكلها وتفاقم تخلفها وزادت شدة ارتباطها بالدول المتقدمة تبعية وخضوعا، بحيث أصبحت تعتمد اعتمادا كلياً عليها في كل الميادين الاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية وتخضع لإملاءاتها بدون أدنى ممانعة.

في تطرقنا لنظريات التنمية يجب أن نتساءل حول النظريات الكبرى في علم الاجتماع، هل بالفعل تستجيب هذه النظريات للتغيرات الكبيرة التي تطرأ على البناءات والتنظيمات الاجتماعية سواء في الدول المتقدمة أو الدول النامية؟ وهل هذه النظريات قادرة على تفسير الواقع الجديد للمجتمعات النامية، ولا سيما فيما يتعلق بالتحويلات المرجوة أو التنمية والتحديث؟ لأن التنمية في المقام الأول هي عملية تغيير وتحول مقصودة تستند إلى فهم عميق للمجتمع في كليته، وأن هذا التغيير فضلا على أنه إرادة، فإنه يمثل تحدياً

2-أسباب اختيار الموضوع:

من بين الاسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو انه موضوع يكتسي ميزتين رئيسيتين، الأولى انه موضوع للبحث الأنثروبولوجي الذي يهتم بالإنسان بوصفه محركا لكل عمليات التحول و التبدل وباعتباره العنصر الأساسي للتنمية ومكونا هاما في تطبيقاتها.

وبالتقافة والقيم وبالتغير الاجتماعي كعنصر أساسي جوهري في حياة الشعوب بها تشبع الحاجات، وتسد المتطلبات و هو ما تؤكد الأنثروبولوجيا في تحديدها لمفهوم الثقافة، و لعل مقولة روث بينديكت بأننا نتجئ لتقافتنا حينما لا نجد شيء لدليل على أن أنماط السلوك الاقتصادي و أهم اشكاله لمرتبط بالفكر الثقافي، فالثقافة تشتمل في مضامينها على الاقتصاد و العكس صحيح وهو ما سأحاول ابرازه عبر هذه الدراسة التي هي متممة و مرتبطة بمذكرة الماجستير التي تناولت فيها الابعاد الاقتصادية و الثقافية لصناعة الحرفية التقليدية بمنطقة عين الصفراء².

كما تجدر الاشارة أن الموضوع يجمع بين الاطار السوسيولوجي والانثروبولوجي، فلما ركزت الدراسات في علم الاجتماع على المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد والتي اهتمت بالطبقات و الظواهر في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، اتجهت الأنثروبولوجيا للمجتمعات المنقرضة البدائية و التقليدية والريفية وأيضا المتحضرة المعاصرة بحيث يعكس الترابط الوثيق بين الحقول المعرفية في تناول موضوع التنمية طبيعة هذه الاخيرة و شساعة مجالها الفسيح وتشابك محدداتها المتداخلة الامر

¹- رايح كعباش. سوسيولوجيا التنمية. مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث و الترجمة. جامعة منتوري. قسنطينة 2007. ص 19

² تاجر مراد، الابعاد الثقافية و الاقتصادية للصناعة النسيجية بمنطقة عين الصفراء،= مذكرة ماجستير في انثروبولوجيا التنمية، جامعة تلمسان 2012ص54

الإطار المنهجي للدراسة

الذي صعب على الباحثين اختيار وجهة بحث معينة و الخوض في غمارها و رسم حدودها وفق مضامين العلم المستقل وابدعيات الاختصاص الضيق المقنن المحاصر بالأطر النظرية و الضوابط الابدعولوجية، حيث يتفق المشتغلين بالعلوم الاجتماعية ولا يختلفون في شأن تصنيف الدراسات النظرية والحقلية في دائرة علوم الانسان و المجتمع ولعله و من أبرز و أهم العلوم التي لعبت أدوارا محورية في فهم مقتضيات التغيير و التنمية والنهضة، و في دراسة المجتمع الصناعي الذي قلبت فيه المفاهيم و شهد تغيرات جذرية وسريعة، فان كل من علم الاجتماع **Sociology** و الأندروبولوجيا **Anthropology** بفروعهما المتميزة والعلاقة بينهما والتي قامت على مبررات تساق لتفسير هذه الثنائية القائمة التكاملية المشتركة بدراسة موضوع واحد هو بناء المجتمع في جوانبه المتنوعة، و هو ما دفع بالمزج بين العلمين بظهور مقترب السوسيو-انثروبولوجي الذي قلص المسافة بين العلمين، وبخاصة فيما يتعلق باتجاهات التحليل التي تقودنا إليها هذه النظرية وما تستند إليه من مادة، و ما تستخدمه من طرق في البحث ولعل تلك الثنائية القائمة الآن بين علم الاجتماع و الانثروبولوجيا قد كانت تستند إلى أسباب متعددة في سياقها التاريخي، و مع توسع مقاربات و أساليب معالجة القضايا التي اندرجت في اهتمام الباحثين في الحقلين ظهرت شعب وتخصصات انبثقت عنها بهدف مسايرة، و استحداث أدوات علمية تفسيرية تتناسب والتحويلات الحاصلة، وهو ما اعترضنا كصعوبة في صياغة تصور منسجم مع مجالنا العلمي و تخصصنا الاكاديمي وهو أنثروبولوجيا التنمية الذي لا يقيم وزنا للحدود بين الميادين والتخصصات بقدر ما ينهل منها جميعا، و يلاحم بين حلقاتها باعتبار ان التنمية كفعل و ممارسة و سياسة قد أسالت كثيرا من الحبر واثارت نقاشا واسعا حتى أنها أدرجت في بعض المقررات البيداغوجية بالجامعة موجهة لطلبة الماستر.

فالتنمية كمفهوم تمت معالجته في شعب علمية متباينة ومتعددة انطلاقا من مطارحات متنوعة فقد عالجها الاقتصاد و علم الاجتماع والفلسفة وغيرها من علوم الانسان والمجتمع، والتقوا جميعا عند نقاط تماس

مشتركة باعتبار الانسان ركنها الركين وقلبها النابض وعقلها المهندس.

إذ تتخذ هذه النقاط كركيزة في تحديد جوانب بناء المجتمع والكيفية التي يقوم بها التساند والتوازن والتكامل الوظيفي بين تلك الجوانب، بينما اعتمدت الدراسات السوسولوجية التقليدية بوجه خاص على الوثائق والاحصاءات الرسمية وكشوف البحث والاستبيان وما ينطوي عليه هذا من اعطاء قيمة كبيرة للقضية الكمية في التحليل السوسولوجي وقصور التحليلات الأنثروبولوجية عن صياغة قضايا في تلك الصورة الكمية.

كما نجد أنه على الرغم من أن علم الاجتماع قد عني بالأنماط المجتمعية الحديثة - وبخاصة مشكلات الأسرة والاضطرابات النفسية والاجتماعية التي تصاحب مثلاً الانتحار وملابساته الاقتصادية والسياسية، ومشكلات التنظيم الطبقي والأنساق الطائفية في المجتمعات الحضرية- فإن هناك دراسات سوسولوجية بالغة الأهمية في الأنماط المجتمعية الريفية والبديوية. ومن ناحية أخرى فقد تقلص اهتمام الباحثين الأنثروبولوجيين بتلك المشكلات التقليدية في الأنماط المجتمعية البدائية كدراسة نظم الزواج والشعائر الدينية المرتبطة بالطوطم، وهناك الآن دراسات أنثروبولوجية حقلية لكثير من مشكلات المجتمع الصناعي مشكلات الهجرة و مشكلات الصراع العرقي و مشكلات التنمية الاجتماعية و مشكلات الانحراف و مشكلات التربية أما في مجال الأنثروبولوجيا فقد برزت أنثروبولوجيا التنمية كواحدة من الشعب الطامحة الى تشخيص الاسباب الفعلية المعيقة للتنمية بشتى أشكالها، وعوامل التخلف الذي طال أمده التخلف "الذي نعينه هاهنا ليس أصيلاً كامنة في طبيعة التكوين الإنساني لهذا المجتمع أو ذلك، كما أنه لا يرجع إلى عوامل نفسية عامة مميزة لأفراد هذه الجماعة أو تلك، أو ظروف مادية طبيعية كالمناخ أو الصفات السلافية أو غيرها، ولكنه يرجع إلى نقص في الدافعية أو ضعف الحوافز المحركة الدافعة نحو النمو والتقدم، والتي تنتشر في تلك الحالة في صورة تيارات أو ظواهر اجتماعية مميزة للحياة النفسية والاجتماعية للشعوب التي نقصدها

3- أهداف الدراسة

يحاول هذا العمل الذي يندرج في أنثروبولوجية التنمية طرح تساؤلات حول التنمية قصد إيجاد أجوبة والوقوف على الأسباب التي عصفت بجهود الدولة في النهوض بمنطقة حظيت و قصورها بأهمية بالغة من طرف الباحثين في علم الانسان و الأركيولوجيا من الفرنسيين ابان العهد الاستعماري لأنها اعتبرت مجالا خصبا للتقيب والبحث، وقد اهتم الحاكم العام للجزائر M.Jules Cabman جول مارتن كامبون بهذه المناطق حيث رأى أنها ملائمة " لتربية المواشي حتى أنه عين لجنة دائمة لدراسة كل ما يتعلق بتربية وتجارة المواشي وتطوير السلالات ليأخذ الاستيطان مظهرا عسكريا بهذه المناطق، ممزوجا بتواجد مدني محتشم ومحدود من العمال والموظفين ومجموعة من المبشرين ، لتكون السياسة الاستيطانية في الجنوب الوهراني ذات طبيعة وصبغة خاصة ،أساسها الاستيطان العسكري "مستوطنة عسكرية" وأطرافها مديون دورهم اقتصادي وتجاري ،يخضعون للحكم عسكري يرتكز على أسس المصالح التجارية والاقتصادية².

فضلا عن اهتمام الباحثين في علم الأنثروبولوجيا و الآثار و نذكر منهم جوزيف ايميل ايليو الذي توجت اعماله حول المنطقة بنيله للدكتوراه عن جامعة السوربون و قد مكث بالعين الصفراء من بداية الستينات الى غاية 2010 ما مكنه من انجاز بحوث اركيولوجية هامة تكللت بالعثور على هيكل الديناصور برويس الجير و غيرها من الاكتشافات عبر الحفريات التي عرفتها المنطقة التي تعج بالجداريات و النقوش القديمة قدم الانسان

¹ محمد محمود الجوهري، المرجع السابق، ص43

² مريم براهيم، بشير بلمهيدي علي، شبكة السكة الحديدية في الجنوب الغربي الجزائري، مقال بمجلة دراسات وأبحاث،

2018، ص202

الإطار المنهجي للدراسة

الأول الذي عمرها و التي لازال الإرث العقاري والحضري شاهدا على نية الفرنسيين في جعلها قطبا اقتصاديا و سياحيا هاما.

كما تحاول الدراسة الإفصاح ووضع اليد على مواطن ومكامن القوة والضعف من خلال ابراز مقومات هذه الجهة التي تتربع على مساحة شاسعة تعادل أو تفوق مساحات لدول غربية وتمتاز بمؤهلات وإمكانيات هامة طبيعيا وبشريا، كما تسعى الدراسة الا تحديد بعض المعوقات التي تقف و تحول دون تحقيق التنمية و تنزيلها ترابيا و ميدانيا في المنطقة التي عرفت اهتمامها بالغا من طرف الإدارة الفرنسية باعتبارها نقطة وصل بين الشمال والجنوب و بوابة الصحراء فضلا على موقعها الاستراتيجي الحدودي مع المملكة المغربية.

رصد واقع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمحاولة دراسة التراكمات الثقافية والاجتماعية التي أفرزها هذه التحولات في إطار يسمح بدراسة العلاقة بين هذه التراكمات و البيئة الثقافية والاجتماعية العامة للمجتمع المحلي قيد البحث مما يسمح في الأخير بالتحقق من أبعاد و آفاق هذه التحولات و علاقتها بالتنمية المحلية المساهمة في جمع و دراسة بعض النماذج النظرية و الفكرية المتعلقة بالتنمية من المنظور الأنثروبولوجي أو في اطار معالم أنثروبولوجية التنمية التي اهتدت ونجحت في الكشف عن المحددات و العوامل و الأسباب التي اعاققت التنمية في دول و مجتمعات تشبهها في التجربة والمسار التقدمي.

اظهار قوة الأنثروبولوجيا في معالجة مشاكل التنمية باعتبارها علما شاملا يهتم بفهم أطر التنمية من خلال الابعاد الثقافية والاجتماعية والقرايبية والنظم السياسية خاصة بالاعتماد على الأنثروبولوجيا الثقافية التي يعرفها العالم الأنثروبولوجي **كلاكهون** بأنها دراسة الثقافة في ضوء نظريات وقواعد بقصد استنباط تعميمات عن اصول الثقافات وتطورها وواجه الاختلاف فيما بينها وتحليل انتشارها تاريخيا¹ في حين وردت عند العالم الإثنولوجي الالمانى دلهام شميدت عرفها انها العلم الذي يدرس تطور الفكر والعمل البشري الصادر عنه في

1-كلاكهون، كلايد: الانسان في المرأة، علاقة الاثنوبولوجي بالحياة المعاصرة، شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، نيويورك، 1964، ص70.

فقد برزت الحاجة لدراسات التنمية كموضوع رئيس مطروح بالساحة العلمية جدير بالبحث في شتى الحقول المعرفية في علوم الانسان و المجتمع. وهو ما نحاول من خلال هذا البحث بلوغه و تحقيقه كهدف للدراسة عبر تناولنا وتسليطنا الضوء على موضوع التنمية في منطقة من مناطق الجزائر وهي منطقة عين الصفراء الواقعة بالجنوب الغربي و التي تعد بوابة الصحراء وعاصمة جبال القصور التي عاشت تحولات كباقي مناطق الوطن مست عديد من النواحي والاصعدة و على مستوى الابنية المادية و الثقافية الرمزية، و رغم ما تزخر به المنطقة من مقومات هائلة و معتبرة الا انها تعيش وضعا تنمويًا هشًا نظرا لتوافر مجموعة من العوامل التي تتخذ شكل عوائق و عثرات تكاد تعصف بالجهود المبذولة التي كانت لها اثار كثيرة تجلت و اتجهت تارة نحو تمدين الريف و تارة اخرى نحو تريفيف المدينة، و هي الوقائع التي يمكن الوقوف عليها بإحصاء النزوح الريفى و الهجرة التي عرفتها قصور المنطقة و بواديهها و من خلال معاينة راهن الكثير من الحرف والانشطة الاقتصادية التي تراجع مردودها و تفهقر.

4- أهمية الموضوع:

إذا كان الباحث من خلال هذه الدراسة يحاول إمطة اللثام عن تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية في بناء نماذج حقيقية للتنمية المحلية ومشكلاتها بمنطقة عين الصفراء كنموذج، فإن الباحث يأمل ويطمح بأن تكون مثل هذه المحاولة حافزا للقيام بدراسات أكثر عمقاً ذات طابع أنثروبولوجي باعتبار المنطقة ميدان ملائم لها بهدف استكمال جوانب الموضوع المختلفة وذلك أمام التزايد الكبير بالاهتمام بالتنمية في مختلف الجهات وخاصة تلك التي سميت بمناطق الظل او في المدن ذات الكثافة السكانية مع ما يقابل تلك الزيادة من إهمال لدور العلوم الاجتماعية و الانسانية لاسيما أنثروبولوجيا وعلم اجتماع التنمية الذي تكاد

1- المصدر نفسه، ص16.

الإطار المنهجي للدراسة

تكون فيه الاعمال شحيحة و نادرة، بالكيفية التي تحقق التكيف الإيجابي داخل المجتمع وضمان توظيف قدرات وطاقات ومقومات المجتمع، و مساهمة كل الفواعل في مجالات التنمية المختلفة و العمل على احتواء كل التشكيلات الاجتماعية التي نعتبرها من المقومات خاصة بعد توجه بعض السياسات التنموية لأطراف وفئات دون أخرى، أو بإهمال، وهدر بعض الموارد المحلية خاصة كتضييق مساحات الرعي و عدم استغلال المواد الأولية التي أصبحت تشكل هاجسا لبدو المنطقة كالأصواف و الجلود.

تعتبر الأنثروبولوجيا بمثابة دراسات استراتيجية تتوخى تقديم واستشراف مخططات حقيقية لتنمية المجتمعات المحلية منها والريفية.

ويمكن الوقوف على الإسهامات التي تقدمها الأنثروبولوجيا -كعلم /اجتماعي/إنساني- من خلال مخرجات الاعمال البحثية الموعلة في قضايا الانسان واعماله والبيئة الثقافية المنتمي لها سواء ارتبطت بمجتمعات حديثة أو مجتمعات تقليدية ومن مظاهر التمايز و التباين بين الشمال والجنوب أن لم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حي ظهر إلى العيان شرح كبير بين الدول المصنعة ذات النمو الاقتصادي السريع وبن بلدان العالم الثالث الغارقة في الفقر، وهذا ما شكل إحدى أهم المشاكل التي تعاني منها الانسانية في غاية هذا القرن العشرين. لاسيما وان التنمية كمفهوم اتسعت أورشها بعد استقلال بعض الدول وتموقعها في حروب إيديولوجية فيما يسمى بالحرب الباردة أو حروب الاستقطاب بدواعي المصالح.

كما أن حصول دول العالم الثالث على استقلالها السياسي، لا يعني على الإطلاق استردادها لحريتها الاقتصادية والفكرية وانعتاقها من مطامع القوى العالمية ذات الجذامير الاستعمارية التي تسعى دوما الى احكام قبضتها على الأسواق خاصة في شمال افريقيا وتمتين علاقتها بهذه الدول التي تعاني من التبعية، والاعتماد الشبه كلي على الواردات من خلال نظام الربيع، والاقنصار على عوائد المحروقات.

لقد رأى علماء اجتماع الخمسينيات والستينيات من هذا القرن أن وضع البلدان المصنعة ناتج عن تحديث يعرفه الأميركي ن. س. ايسنشتات، عام 1963 بما يلي: «يمثل التحديث تاريخيا عملية التحول

الإطار المنهجي للدراسة

نحو تلك الأنماط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تطورت في أوروبا الغربية وفي أميركا الشمالية منذ القرن السابع عشر وحتى التاسع عشر، والتي انتشرت بعد ذلك لتعم بلدانا أخرى». لنتفحص مضامين هذا التعريف الذي اتفق معه أغلب علماء الاجتماع والمؤرخين في تلك الفترة.

يجدر بنا أن نلاحظ أولاً أن ذلك التحديث يلامس كل مظاهر الوجود، من تنظيم اجتماعي وسياسي إلى العائلة والقرابة والمعتقدات والاقتصاد.

ثم نلاحظ ثانية أن التحديث يرتبط بنمط محدد هو نمط أوروبا وأميركا الذي ينضوي تحت شعار العقلانية العلمية الموروثة من عصر الأنوار الفرنسي والمفترض أنها عالمية. هذا ما يجعلها تفترض بالتالي منفصلة بالقوة عن الحضارة التي نشأت فيها. ومثال ذلك قواعد إدارة الأعمال التي كانت تدرسها معاهد إدارة الأعمال بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. لقد كانت تلك القواعد مستوحاة من نموذج وحيد يعود في أساسه إلى المهندس الأميركي فريديريك تايلور¹.

لقد أدى تغييب الاهتمام بالأبعاد الاجتماعية في استراتيجيات التنمية ببلدان العالم النامي إلى فشل العديد من خطط وبرامج التنمية في تلك البلدان، والسبب في ذلك يبرز من خلال أن البيئة لا تتعرض للخطر إلا من خلال ما يقوم به الأفراد، ففي ظل التطور الصناعي والتكنولوجي أصبح في مقدور الإنسان إحداث اضطرابات في الأنساق الطبيعية والبيئية، وهذا ما نعائشه فقد أحدث الإنسان الكثير من الاضطرابات والاختلالات داخل البيئة والتي كانت لها انعكاسات سلبية، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى توجيه الاهتمام أكبر للأفراد في السياسات وفي برامج الاستثمار التي تهدف إلى تحفيز التنمية²، ويركز البعد الاجتماعي على تنمية الموارد البشرية التي تركز على الاهتمام برفع مستويات المعيشة من خلال الاهتمام بمستويات التعليم، الصحة، والإسكان حيث أن الاهتمام بالنواحي الصحية له دور هام في تنمية الموارد

1- فيليب لابورت. جان بيار فارنييه. اثولوجيا انثربولوجيا. المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، 2004. ص

2- ميشيل سيرنيا، نظرة عالم الاجتماع إلى التنمية المستدامة، "مجلة التمويل والتنمية"، 1993، ص 05

بعد تسجيل بعض المشكلات المتعلقة بالتنسيق و المرافقة من خلال انشاء حاضنات الاعمال وتشجيع الحرفيين والرفع من مستوى الدعم الاقتصادي والنفسي و التقني المتعلق بالتكوين، المقدم إلى بعض الشرائح وعائلاتهم كالبندو الرحل والحرفيين و المرأة الريفية، و مراعاة احوالهم و الوقوف عند انشغالاتهم، فالاهتمام بالريف و التنمية الزراعية يمكنه ان يحقق الامن الغذائي، الى جانب إعطاء فرصة للأفراد لإيجاد فرص عمل و من تم الاسهام في الحد من ظاهرة الهجرة نحو المدينة و جدير بالذكر أنه عندما يتوفر لدى الافراد مورد للرزق فانهم يسعون الى تأمين وسائل عيشهم و الحفاظ على الموارد البيئية¹

ومن هذا المنطلق يأمل الباحث أن تكون الدراسة الراهنة بمثابة إسهام علمي في مجال دراسة هذا الموضوع الهام الذي يهدف الى استظهار وتأكيد دور البحث الأنثروبولوجي في خدمة المجتمع والتنمية بمختلف مستوياتها لتنمية" التي وكم أسلفنا نجد لها أكثر من مفهوم، حيث تثير العديد من التعاريف والطروحات التي تتعدد بتعدد الزوايا التي ينظر منها إلى الكلمة ذاتها.

فهناك من يرى أن التنمية - ببساطة شديدة - هي الانتقال من حال إلى حال أفضل، أو انتقال المجتمع من وضعه الحالي إلى وضع أفضل - بكل المقاييس وخلال فترة زمنية معينة يحددها المجتمع فيما يطلق عليه خطة التنمية.

وقد ينظر إلى التنمية من زوايا اقتصادية أو زوايا اجتماعية أو غير ذلك من الزوايا المتعددة التي ينظر منها إلى التنمية، ولكن عندما تتضمن التنمية كافة الزوايا السابقة اقتصادياً اجتماعياً ثقافياً سياسية في هذه الحالة تعد التنمية شاملة.

وقد تطور مفهوم التنمية عبر العقود السابقة، حيث كان يركز على أهمية التراكم الرأسمالي في

¹ احسان حفطي، علم اجتماع التنمية، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 2006، ص 246

عمليات النمو الاقتصادي وتحقيق فائض في قطاع الزراعة، يمكن من تنمية القطاعات الأخرى. كما أن إدخال مفهوم البيئة في التنمية أضاف معني استدامة التنمية، أي استمرارية عملية التنمية خلال الزمن" وأخذ مصالحي الأجيال المتعاقبة في الاعتبار والحفاظ على البيئة.

5- الدراسات المشابهة:

5-1- الدراسة الأولى: للطالب تاجر مراد¹ والموسومة بالأبعاد الثقافية والاقتصادية للصناعة التقليدية النسيجية بمنطقة عين الصفراء - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في أنثروبولوجيا التنمية:

وقد خلص الباحث في دراسته إلى أن تضاعف مردود الصناعة التقليدية بمنطقة عين الصفراء وخاصة صناعة النسيج التي اختفت وظائفها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وصرف الناس عنها أنظارهم وعن استهلاك المنتج التقليدي مرتبط بالقيم التي سايرت التطورات التي شهدها المجتمع الجزائري، حيث أصبح ينظر إلى ما يعرض من منسوجات ومنتجات حرفية فقط كتعبير عن الرومانسية الشعبية و من منظور الحنين إلى الماضي وأصبحت عبارة عن تحف تعرض خلال المتاحف والمعارض وخلال المناسبات الثقافية، و لم تعد لها وظيفة تؤديها في المجتمع و هذا ما تبين على ضوء النتائج المحصل عليها فالصناعة النسيجية لم تعد لها الأبعاد و الوظائف كما كانت في السابق تؤدي وظيفة اقتصادية "دخل" واجتماعية "التماسك الاجتماعي و القرابي" والثقافية تعبير عن الفنون ورموز وعادات واعتقادات معينة"، ولا يمكن فهم و تفسير الظاهرة الاقتصادية إلا في خضم، ومن خلال المعطيات الاجتماعية الثقافية، فالحياة الإنسانية في تغير وتقلب مستمر، وما نجده في حقبة معينة جوهري وأساسي قد يصبح عكس ذلك في فترة لاحقة أخرى نظرا إلى المستجدات التي تحدث وتطرأ على مختلف البنى والنظم وأنماط المعيشة وأساليب الفكر، والقيم والمعتقدات، وأساليب السلوك المستخدمة في تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، فان الأفراد

¹ تاجر مراد، مرجع سابق

الإطار المنهجي للدراسة

بمختلف أجناسهم وأعراقهم ومناطقهم يشكلون نمط معيشتهم و يعبرون عنها بأفعالهم و إنتاجهم و خبراتهم و معارفهم و فنونهم ،و بذلك يعتبرون نشيطين في صنع وملائمة وبناء أنماط معيشتهم وفق ما تتضمنه الثقافة السائدة والمحيط والوسط والظروف والأوضاع والمعطيات الزمنية الراهنة التي ينتمون إليها ،هذا ما يساهم في تكيف وإشباع حاجات الأفراد بالطرق المتعارف عليها اقتصاديا مما يساعد على الضبط الاجتماعي، والانتعاش الاقتصادي واستقرار المجتمع ومحافظة على هويته وخصوصيته وإنتاجه الثقافي.

استنتاج: يتضح لنا من خلال هذه الدراسة التي تعد إلى حد بعيد مرتبطة بدراستنا في تقاطعات متصلة بعملية التنمية كفعل واع تتظافر في تجسيده جملة من العوامل والابعاد والعناصر بحيث يلعب العامل الثقافي والقيمي دورا هاما ورئيسا في تشكيله واستكمال الجهود التي تعزز من التمكين للتنمية في منطقة ترخر بجميع مستلزمات التنمية.

5-2-الدراسة الثانية: فكرون السعيد والموسومة بعنوان استراتيجية التصنيع والتنمية بالمجتمعات النامية- حالة الجزائر- رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اجتماع التنمية¹.

تحاول هذه الدراسة الوقوف عند مساعي التصنيع المبذولة في الجزائر، وانعكاساتها على التنمية ككل حيث انطلق من تساؤلات على النحو الآتي: ماهي أهم المؤشرات التي يمكن من خلالها فهم منطلقات ومبادئ وأهداف استراتيجية التصنيع بالمجتمعات النامية عموما، وبالجزائر على الخصوص؟ وكيف يمكن ضبط هذه الاستراتيجية ضمن عملية التنمية الشاملة بالمجتمع وهذا من خلال التصور النماذج التنموية التي كانت ومازالت مطروحة؟

وهل حقيقة أن التصنيع ساعد على تحقيق الأهداف التي رسمت من أجله؟ ومنها: رفع مستوى الدخل، وتحسين المستوى المعيشي وإحداث تقارب بين مستوى النمو للدول المتقدمة ودول العالم النامي، وبالتالي تحقيق

¹ فكرون سعيد، استراتيجية التصنيع والتنمية بالمجتمعات النامية-حالة الجزائر-دراسة نظرية، جامعة قسنطينة،

استقرار على كافة المستويات، أم لم يتم تحقيق ذلك ولماذا؟

لقد خلص الباحث فكرون السعيد الى أن استراتيجية التصنيع بالمجتمعات النامية جاءت وفق المنظور السياسي أولاً وذلك اعتباراً من أن معظم المجتمعات حديثة الاستقلال، إضافة إلى ذلك فإنها كانت تفتقد إلى قاعدة صناعية مهمة باستطاعتها أن تدفع بعملية التصنيع نحو الأمام. وبالرغم من بطء التصنيف لهذه العملية إلا أنها حققت للمجتمعات النامية معدلات هائلة ومهمة في التصنيع وبناء قاعدة صناعية، وهذا ما نجده مجسداً في بعض البلدان النامية كدول جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وخاصة فيما يتعلق برفع مستوى الدخل والقدرة الشرائية والنمو... الخ، ومن أهم المؤشرات والقضايا التي حاول طرحها التصنيع كعملية اقتصادية واجتماعية نجد أنها فرضت حركة تغييرية سريعة وحتمية ومستمرة وكذا قد اتصفت بالعمومية والشمولية منها:

أ. أنها فرضت نظاماً إنتاجياً جديداً على المجتمع من خلال تقسيم عمل يتماشى وحركة التغيير التي يتطلبها الواقع جراء تنفيذ هذه العملية.

ب. أنه حدث نمط جديد للنسق القيمي بالمجتمع النامي، والذي ظهر كمفهوم جديد لصراع له من المدلولات السوسولوجية أكثر منها اقتصادية.

ج. حدث تغيير كبير على مستوى المفاهيم القديمة سواء الحضرية منها أم السكانية، وهذا ما عاشته المجتمعات النامية من نمو حضري مضطرب ونمو ديمغرافي سريع... الخ.

د. زيادة التمايز الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية المشكلة للمجتمع النامي، ومنه فرض نمط للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية اختلفت بكثير عن سابقتها الموروثة.

هـ. انتقال ثقافة المجتمع من التقليد والتي كانت تقوم على أساس المكانة الاجتماعية والدينية والقربانية، إلى ثقافة أكثر حداثة اتصفت بحرية التعبير وحرية الفكر.

و. تبني المجتمع لسلم تقييمي جديد يختلف عن سابقه، بحيث يعتمد على أكثر على الكفاءة والقدرة

والتخصيص وتقسيم العمل.

استنتاج: تعتبر الدراسة التي حاول صاحبها السعيد فكرون معالجة احد اهم القضايا التي واجهت الجزائر في مشروع التطوير والتحديث بتوسيع حيز التصنيع بالجزائر واستراتيجية التصنيع والتنمية بالمجتمعات النامية خاصة في الجزائر وما يمكن ان نستخلصه و نربطه بدراستنا أن عملية التصنيع المعتمدة بالمجتمعات النامية حسبه قد حققت وفرضت حركة تغيير واسعة وكبيرة في البنى التحتية لهذه المجتمعات التي كان لها الدور البارز ليس فقط في إعادة تشكيل القدرات الاقتصادية أو القاعدة الصناعية للبلد، وإنما ساهمت إلى حد كبير في تحول المجتمع من حالة التبعية بكل أشكالها إلى البحث عن الذات ضمن حركة تنموية أخذت بالإنسان كعنصر أساسي ورئيسي لعملية التنمية.

5-3- الدراسة الثالثة: الدكتور أحمد الربابعة¹: تعتبر هذه الدراسة من الاعمال التي وجدناها تتقاطع مع بحثنا في نقاط عديدة و تتشابه مع محاوره فقد تناول الباحث موضوع مقومات التنمية ومعوقاتها بالريف الأردني سنة 1988 ،وقد جاءت هذه الدراسة متضمنة لجملة من التساؤلات التي اراد عبرها الباحث الوصول الى مكونات الريف و تشكيلاته و أهم مقوماته و من ثمة توضيح و معاينة المعوقات التي تعطل مسارات التنمية في الريف الاردني والدراسة مساهمة فعلية في مجال التنمية ومقوماتها، فقد تطرق الباحث الى التعريف الشامل للريف الأردني من الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسكانية والوضع الحقيقي للريف مقارنة بالوسط الحضري من حيث الخدمات العامة والقيم والثقافات والعلاقات الاجتماعية التي اعتبرها الباحث بمثابة الموحديات الأساسية للتنمية الريفية.

سعى الباحث الى تحديد العلاقة بين هذه المحددات والتنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال عمله على ابراز واستجلاء المقومات الانسانية ودورها في صنع التنمية وقد خلص في دراسته الى ما يلي:

¹ أحمد الربابعة : مقومات التنمية ومعوقاتها دراسة ميدانية بالريف الاردني، قسم علم الاجتماع كلية الآداب، جامعة الأردن، 1988

1. أن الريف الأردني يبقى في منأى عن حركة التنمية التي عمت خيراتها المدن والحضر، بينما الريف والبادي فقد حصلت على نصيب أقل من الاستثمارات.

2. أن الخصائص السكانية تؤثر على التنمية الريفية، حيث أن المشتغلين في الفلاحة هم كبار السن عموماً نتيجة الهجرات الداخلية للشباب.

3. أن الزراعة لم تعد مصدر الدخل الرئيسي لسكان الأرياف، وأن مستوى التعليم قد تدنى، وأن مشكلات الزراعة قد تركزت في وجود الملكيات الصغيرة، وانخفاض الإنتاج في الأراضي الجبلية، وزيادة الإنتاج وتدني الأسعار في الأراضي المروية.

4. أن وجود نوع من الثنائية، أي الزراعة المطرية والزراعة المروية عقد أكثر المسألة الزراعية وخاصة محاولة طرح الحلول.

لقد تناول الباحث أثر التفاعل والتكامل في العلاقات والتعاملات الاقتصادية التجارية والخدمات بين الريف والمدينة .

استنتاج: لقد أشار أحمد الربابعة من خلال دراسته الى ضرورة إحداث عدالة في توزيع الخدمات القطاعية بين الوسطين الريفي والحضري من خلال إحداث دفعة قوية في التنمية، وهذا من خلال رفع مستوى الاستثمارات، عليه فان دراسة الباحث "الدكتور الربابعة" تعتبر واحدة من اللبانات الأساسية في أبحاث التنمية الريفية و تعد جهداً قيماً وهو ما يظهر في النتائج المستخلصة من النظريات المطروحة ومن البيانات الميدانية وهو مصدر لا يمكن أن يستغني عنه المهتم بقضايا التنمية و باعتبار السياسة التنموية المبنية على التوازن بين الاقاليم و المناطق في اطار الحوكمة فانه لا يمكن أن نصل الى تحقيق أي تنمية الى اذا بلغنا هذه العدالة في توزيع الثروات و تقوية البنية التحتية و دعم الاستثمار خاصة في الارياف والمدن ذات الطابع الزراعي والفلاحي كمنطقة عين الصفراء.

الإطار المنهجي للدراسة

5-4-دراسة الرابعة: للباحث" محمود ثابت¹: شملت دراسته موضوع تنمية المجتمعات المحلية الحضرية مع دراسة ميدانية بكلية الآداب جامعة أسيوط عام1998 وقد تناولت هذه الدراسة الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمدينة جهينة وأثر الثقافة السائدة فيها على التنمية بما في ذلك التقاليد، الأعراف الاجتماعية والقيم والعادات المكتسبة وذلك قصد تحضير وتهيئة الظروف الملائمة لتنفيذ برامج التنمية. حيث أن التنمية ضرورية لارتفاع مستوى الفرد والأسرة والمجتمع ككل. والفروض التي اقترحها الباحث لبحثه جاءت على النحو التالي:

1. هناك علاقة بين شدة التمسك ببعض التقاليد ودرجة انتشار الأمية كعائق من عوائق التنمية.
 2. هناك علاقة بين شدة التمسك ببعض التقاليد المتصلة بأوجه الاتفاق المظهري من الدخل الأسري الذي تتأثر به برامج التنمية.
 3. هناك علاقة بين بعض الاتجاهات السائدة في مجتمع الدراسة وعدم إمكان تمويل برامج التنمية.
- استنتاج: خلصت الدراسة الى جملة من النتائج أوضحت أن بعض التقاليد والعادات الاجتماعية المنتشرة بمجتمع البحث تؤثر بدرجة كبيرة على عملية التنمية وان نجاح التنمية وفشلها رهين بمدى انسجام هذه العوامل مع مقتضيات التنمية كما أن الأنماط السلوكية لها تأثير على الدخل الأسري من ناحية وعلى التنمية من ناحية أخرى في المجتمعات النامية و هو ما نحاول استجلاءه في دراستنا كعنصر مهم من معوقات و مقومات التنمية المحلية. فقد كشفت الدراسة وجود علاقة بين بعض المجتمعات السائدة وعدم امكانية تمويل برامج التنمية لوجود بعض الظواهر المرضية والسلبية التي تقوض جهود التنمية والمرتبطة اساسا بالقيم ومنطلقات التفكير والتمثيلات والتقاليد والاعراف التي تعترض سبيل التنمية وهو ما نسعى الى تبيانها في بحثنا.

¹ محمود ثابت، تنمية المجتمعات المحلية الحضرية، دراسة ميدانية بمدينة جهينة، جامعة أسيوط، مصر، 1998

الإطار المنهجي للدراسة

5-5-الدراسة الخامسة: التنمية والقيم الاجتماعية-الثقافية لـ: خروف حميد: تعرضت هذه الدراسة بالتحليل النظري والميداني للعلاقة التبادلية بين القيم والتنمية، والتعرف على ملامح هذا الارتباط، وطبيعته، انطلاقاً من الاتساق الوظيفي بين القيم والتنمية، وحيث عنيت الدراسة بالإجابة عن الأسئلة التالية:

أ. هل افرز المسار التنموي في الجزائر بدائل في القيم الثقافية لدى أفراد محل الدراسة؟
ب. هل حدث تحول قيمي يأخذ اتجاهاً أفقياً يتضمن السائد والمتنحي من الأنماط السلوكية المرتبطة بالقيم الاجتماعية-الثقافية؟ وهل تتسم أنماط السلوك الاجتماعي بالتمايز لدى الفئات الاجتماعية محل الدراسة؟

ت. إلى أي مدى بعد اتجاه النماذج إطاراً تفسيرياً للعلاقة بين التنمية والقيم في المجتمعات السائرة في طريق النمو؟

وقد انطلقت الدراسة من تصور للتنمية على أساس أنها عملية شاملة لها إبعاد متعددة اجتماعية واقتصادية وثقافية، أدت إلى تحولات اجتماعية، أربكت النسق القيمي السائد، وساهمت في اهتزازها، وذلك وفقاً للمنظور السوسولوجي، الذي ينظر إلى نسق القيم في ارتباطه بنائياً ووظيفياً بالأنساق الأخرى المكونة للبناء الاجتماعي، في إطار التصور البنائي الوظيفي الذي أخذت به هذه الدراسة¹.

أكدت نتائج الدراسة تغير أنماط العلاقات الاجتماعية، فرغم استمرار العلاقات الأولية والقريبة، إلا أن العلاقات الثانوية بدأت تغزو الحياة الحضرية، كما أكدت الدراسة ظهور قيم جديدة ترتبط بعلاقات المصلحة والتسامح وسيطرة وسائل الضبط الرسمي، وتأكيد روح الفردية والعزل المكاني. مما يؤكد اتجاه الأفراد بمجتمع الدراسة نحو الانعزالية والنفعية والعقلانية، وهذا يعني أن نسقاً قيمياً جديداً هو في طور التشكل والتبلور في مجتمع الدراسة.

¹-خروف حميد، دراسة لبعض أنماط السلوك الاجتماعي لعمال مركب الأسمدة الفوسفاتية، عنابة رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 1997.

الإطار المنهجي للدراسة

تأكيد الحاجة إلى مقارباته ومناهجه في فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية، فإن القرن العشرون سار في اتجاه تجاوز العديد من العوائق الأبيستيمولوجية وبناء مجموعة من التخصصات السوسيولوجية، والأنثروبولوجيا القادرة على تفسير وتقديم دراسات تشخيصية ونقدية من شأنها تحليل المشكلات الناشئة عن التطور الفائق في التكنولوجيا وتقدم دول وانحطاط أخرى.

استنتاج: انطلاقاً مما سبق في تعرضنا لهذه الدراسة نلاحظ محاولة تركيز الباحث على البعد الإنساني والاجتماعي والثقافي في عملية البحث وربطه بالتغير بتحليل مختلف العوامل والعناصر التي تشكلت كإفرازات وانعكاسات مباشرة عن حالة اللاتجانس في الهياكل والمؤسسات وفي الوظائف والأدوار، وبمعرفة كل ما يتعلق بأهم التحولات الناجمة عن حركة التغيير ونسقيته.

6- صياغة الإشكالية:

بعد الحرب العالمية الثانية صارت الحاجة أكثر إلحاحاً إلى فروع أنثروبولوجية تخصصية تبتعد عن دراسة البدائي والغرائبي والطقسي والفلكلوري والبسيط بل تذهب صوب المعقد والحضري والصناعي تفيد في فهم وتحليل أسئلة "الاجتماعي والثقافي".

لقد نظر العالم الأنثروبولوجي هوبهاوس إلى التنمية بأنها تستهدف الإنسان في علاقاته مع الآخرين باعتبارها حركة متغيرة غايتها تأدية الانجازات للمجتمع ولم ينظر إليها بأنها قاصرة على الإنسان وعلاقاته فحسب بل والعلاقات بين الإنسان والبيئة فهي عند هوبهاوس تنمية الموارد البشرية والموارد الطبيعية، إلا أن ثمة تعريف أكثر دقة لها هو أنها رديف للتغير الاجتماعي والاقتصادي المخطط له بدرجات متباينة أنها عملية ترتبط بحسب ما أكده هوبارت بالتحديث أو أنها تعد رديفة له، بمعنى آخر أنها تعني تحويل المجتمعات التقليدية إلى أخرى حديثة تتميز بحضور التكنولوجيا المتقدمة والرخاء المادي والاستقرار السياسي¹.

¹ - محمد سليمان الحداد، محمد يوسف النجار، الأنثروبولوجيا مقدمة في علم الإنسان، المطبعة الدولية، الكويت، ص56

الإطار المنهجي للدراسة

إن فكرة التنمية فكرة أوروبية وأمريكية غالبية وقد برزت في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية واستندت إلى المواقف والسياسات العامة على فرضيات عن تفوق الأمم المتحدة التي نجحت في تنفيذ مشروعاتها التحديثية مقابل البلدان المتخلفة، أو النامية التي سميت بدول العالم الثالث لجهة تمثلها مرحلة مبكرة من التخلف التكنولوجي، وترمي التنمية إلى مساعدة هذه البلدان في اللحاق بالركب وثمة فكرة ملازمة لخطط التنمية مفادها تمثيل التقاليد والأعراف المحلية حجر عثرة يعيق سير عجلة التقدم ولذلك ينبغي التخلص منها وإقامة علاقة تنموية مع البلدان العالم الثالث تستلزم منها استتساخ النماذج الأوروبية والأمريكية وفرضها على هذه البلدان¹.

يتضح مما سبق ذكره أن الكثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعابشها المجتمعات النامية اليوم و التي تتشد تجوزها و المضي قدما لبناء نماذج تنموية منسجمة و طبيعة هذه المجتمعات و تراكيبها الثقافية، ان التشابك و التداخل و العلاقات الارتباطية المشكلة لعناصر الواقع تشكل صلب التساؤلات التي تبدو جد صعبة أكثر مما تشكله الحقائق الاجتماعية كما كان ينظر إليها عالم الاجتماع " دوركايم" عندما يقول "إن الحقيقة الاجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا من خلال حقيقة اجتماعية أحر " باعتبار أن قضية التنمية هي قضية اجتماعية مركبة ومعقدة بالأساس.

أن التغيرات المختلفة التي مست البنية الثقافية و البناء الاجتماعي بمنطقة عين الصفراء يدفعنا الى رصد واقع التحولات الاقتصادية بعيدا عن القراءة الاقتصادية الصرفة، و ذلك بمحاولة دراسة التراكمات الثقافية و الاجتماعية التي أفرزتها هذه التحولات في إطار يسمح بدراسة العلاقة بين المقومات التي تزخر بها منطقة عين الصفراء طبيعيا و بشريا و بين ما يحول دون استغلالها و استثمارها فيما يخدم التنمية المحلية خاصة بعد فشل النماذج التنموية المستوردة بعدم قدرة المجتمع المحلي بإحداث قطيعة فعلية مع النمط التقليدي خاصة في المناطق الريفية والزراعية والجبليية وبالتالي تجاوز البعد الاقتصادي وتصويب العمل نحو البيئة الثقافية،

¹ - محمد عبده محجوب، مقدمة في الانثربولوجيا بين المجالات النظرية و التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987ص36.

الإطار المنهجي للدراسة

والاجتماعية العامة للمجتمع بما يسمح ويتيح تفسير معوقات التنمية انطلاقا من المؤثرات الثقافية و على ضوء انعكاسات التغيير في النظم القيمية و البيئية.

وفي أنماط التعاون والتضامن بحيث يلاحظ توارى بعض الاشكال والاعمال التي يبرز فيها مدى التحام الجماعة وظيفيا و عضويا كنظام التوزيع الذي تراجع بل و انعدم و لم يعد لتجمعات في القصور أي دور عدى دورها الرمزي، وهو ما أكده **مصطفى بوتفنوشت** في دراسته عن العائلة الجزائرية¹ - مرتكزات التغيير الاجتماعي - حينما أكد على زوال دور المجالس العرفية التي كانت تنظر في المسائل الهامة، ذات الطابع الاجتماعي لتحل محلها مؤسسات و مجالس رسمية.

سنتجه ببحثنا الى اثاره بعض النقاط و العناصر بوصفها محددات للفعل التنموي ككل، والى استشكال بعض القضايا المرتبطة بمقومات ومعوقات التنمية في منطقة تتوفر على مؤهلات بشرية وتاريخية وطبيعية، ثقافية وسياحية معتبرة كانت بالأمس القريب تعرف تكاملا اقتصاديا محليا ونسقا ثقافيا خاصا، تظهر من خلال الرابط الاجتماعي المتين والطابع الحضاري الاصيل والتنوع الاثني المتميز، والمعطى الثقافي المنتشع بالقيم التقليدية الرمزية والوظيفية الغالبة الراسخة في بعض التجمعات السكانية كالقصور الموجودة بالمنطقة التي تغير شكلها ونمطها الثقافي، والاقتصادي والعمراني والديموغرافي والاثني كذلك، ولعل التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال ترتب عنها تغيرات بنيوية، شملت كل مؤسساته و تنظيماته الاجتماعية حيث كان من الطبيعي أن تتعكس هذه التغيرات البنائية وبخاصة تلك التي طرأت على المؤسسات والأنساق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري بكل فئاته و بالتالي على مختلف أنساق القيم الاجتماعية. تغيرات هيكلية، تغيرات في النسق التفاعلي، والنسق الأسري، والنسق السياسي، والنسق الاقتصادي، وهو ما شهدته تاريخيا دول المغرب العربي او شمال افريقيا التي تتقاطع في المعطى

¹ مصطفى بوتفنوشت، العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثة، المؤسسة الوطنية للكتاب،

الجزائر، 1986، ص24

الثقافي و القيمي و حتى الاثني و العرقي.

كما نحاول من خلال الدراسة ان نبين العلاقة بين التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري، سواء في بنائه أو أنساقه ونظمه وفي طبيعة الحياة الاجتماعية بصفة عامة، تحت تأثير عامل التنمية والتحديث التي يفترض أنها ألحقت بالنسق الأسري تغيرات متصلة بتغير المراكز والأدوار داخل الأسرة، وتنامي دور المرأة الزوجة، والاستقلالية العائلية. حرية اختبار التخصص الدراسي، والمهنة وشريك الحياة.

وغيرها من المتغيرات ذات الصلة بتغير طبيعة النسق الأسري. تغير ميكانيزمات التفاعل، وبناء الأدوار والمراكز داخل الأسرة. مما يدل على تغير العلاقات والقيم داخل الأسرة وداخل الجماعة وهو ما قد يشكل شكلا من الصد والمقاومة للتغير الاجتماعي ما من شأنه ان يخلف آثارا على التنمية كعملية متكاملة.

و اذا كان تطرقنا و طرحنا في الأسطر السابقة لبعض المعطيات و العوامل المتشابكة التي تشكل المحور الرئيسي للبحث و محاولة الإجابة عنه تمثل الأهداف الأساسية له، يمكننا أن نطرح تساؤلات هي كالتالي:

- فيما تتمثل المقومات الأساسية لعمليات التنمية بالعين الصفراء وهل للأطر الثقافية دور في تجسيدها؟
- إلى أي مدى لازالت تتوافر منطقة عين الصفراء على عوامل طبيعية وأخرى بشرية ثقافية دافعة للتنمية داعمة لإرساء قواعدها؟
- فيما تتمثل المقومات الأنثروبولوجية وما أهميتها في احداث عملية التنمية بالمجتمع المحلي؟
- ما هو واقع التنمية بمنطقة العين الصفراء؟
- كيف يمكن بعث مشروع التنمية في منطقة تتوفر على مقومات جغرافية وبشرية وثقافية ومعتبرة؟
- ما هي المعوقات التي تعترض مساعي التنمية في المنطقة، وهل البرامج الحكومية التي استنقذت منها المنطقة تتلاءم وطبيعة الثقافة المحلية؟

كيف يساهم اعتماد نموذج تنموي يتناسب مع خصوصية كل منطقة في الرفع من مستويات نجاحها واستجابة

ساكنة المناطق لها استجابة إيجابية؟

تأسيسا على ما سبق سنطرح الإشكالية بشكل أكثر دقة و تحديد على النحو الآتي:

تمتاز منطقة عين الصفراء كباقي مناطق الهضاب العليا على مقومات طبيعية ومناخية وبشرية هامة ومعتبرة، الأمر الذي يرشحها للعب أدوار تنموية محلية ووطنية تتمثل في تغطية إنتاجية للكثير من المواد الأولية المستوردة من الخارج بل وعكس المعادلة بتصديرها، و في تحقيق تطلعات ساكنتها من توفير لمناصب الشغل و الدفع بعجلة التنمية في بواديها واريافها اذا توفرت الأرضية والحكامة المتناسبة مع مؤهلاتها، لكنه وبالرغم من استيفائها لهذه المقومات يبقى رهنها التتموي هشاً و ضعيفاً ففيمما تتمثل المعوقات و الحواجز المقوضة لجهود للتنمية بالمنطقة و ما أوجهها و أشكالها؟

للإجابة على هذه الإشكالية ننترح الفرضية الرئيسية التالية:

7- الفرضية الرئيسية:

تشكل النظم في جوانبها أحد الأركان الأساسية لثقافة المجتمع كما تشكل القيم منطلقات و دوافع تحدد اتجاهات التنمية والتي قد تأخذ منحى و اتجاه مضطرب و معيق لها باعتبارها ترتبط عضوياً باستجابة الأفراد داخل منطقة عين الصفراء لبرامج التنمية فرغم المقومات السامحة لتجسيد تنمية اجتماعية و اقتصادية قد نصطدم ببنية ثقافية ونظم قيمة مانعة لهذا المسار والمسعى.

8-الفرضيات الفرعية:

- لازالت تتوفر منطقة عين الصفراء على عوامل طبيعية وبشرية تؤهلها لأحداث تنمية شاملة.
- يرجع تدني مستويات التنمية الاجتماعية و الاقتصادية بمنطقة عين الصفراء الى جملة من العوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية و البيئية.

9-تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة:

- 9-1- مفهوم التنمية: التنمية" كلمه لها أكثر من مفهوم، حيث تشير العديد من التعاريف والطروحات التي تتعدد بتعدد الزوايا التي ينظر منها إلى الكلمة ذاتها .فهناك من يرى أن التنمية - ببساطة شديدة - هي الانتقال من حال إلى حال أفضل، أو انتقال المجتمع من وضعه الحالي إلى وضع أفضل - بكل المقاييس وخلال فترة زمنية معينة يحددها المجتمع فيما يطلق عليه خطة التنمية .وقد ينظر إلى التنمية من زوايا اقتصادية أو زوايا اجتماعية أو غير ذلك من الزوايا المتعددة التي ينظر منها إلى التنمية، ولكن عندما تتضمن التنمية كافة الزوايا السابقة (اقتصادية اجتماعية ثقافية سياسية) في هذه الحالة تعد التنمية شاملة .وقد تطور مفهوم التنمية عبر العقود السابقة، حيث كان يركز على أهمية التراكم الرأسمالي في عمليات النمو الاقتصادي وتحقيق فائض في قطاع الزراعة، يمكن من تنمية القطاعات الأخرى.كما أن إدخال مفهوم البيئة في التنمية أضاف معني استدامة التنمية، أي" استمرارية عملية التنمية خلال الزمن" وأخذ مصالح الأجيال المتعاقبة في الاعتبار والحفاظ على البيئة والتطور في مفهوم التنمية عبر الزمن جاء من الانتقال من المفهوم التقليدي وهو الاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية"، إلى المفهوم المعدل للتنمية وهو الاستخدام الأمثل للموارد سواء المتاحة لدى أو المتاحة لدى الغير"، إلى "التنمية البشرية"، إلى تنمية نوعية الحياة، حيث انتقل المفهوم أو ضم المفهوم التحسين نوعية حياه البشر **Development Human Quality**" ويعني ذلك التحسن في مختلف نواحي الحياة

الإطار المنهجي للدراسة

أي رفع مستوى العنصر البشري بما يؤدي إلى توسيع فرص ومجالات الاختيار أمام العنصر البشري في حرية وديمقراطية، ومن ثم فإن هذا التعريف يتضمن عدد من العناصر هي: الاهتمام بتنمية العنصر البشري - إتاحة وتوسيع فرص ومجالات الاختيار أمام العنصر البشري وسيادة الشفافية والحرية والديمقراطية أمام العنصر البشري في المجتمع. والمقصود بتنمية العنصر البشري كل ما يتصل بذلك، سواء بطريقة مباشرة كالتعليم والصحة والغذاء أو بطريقة غير مباشرة كالبنية الأساسية (المياه والصرف الصحي...، وغير ذلك من جوانب تؤثر في تنمية العنصر البشري، حيث أتضح انه هو العامل الحاسم في عملية التنمية .

بالنظر الى ما سبق نستخلص أن التنمية كمفهوم تتضمن جانبين أساسيين هما الجانب الاقتصادي والجانب السوسيوثقافي ولهما من التداخل والتشابك ما يجعل من الصعوبة بمكان تحديد المفهوم بمنظور أحادي، بحيث يصعب الفصل بين جوانبها وحلقاتها المتداخلة، وذلك أننا حينما نرفع المستوى التعليمي والصحي والثقافي للمواطنين فإننا نعمل في الوقت نفسه على تحقيق مستوى أعلى من الكفاية البشرية وهذا يعني زيادة الإنتاج والدخل والاستهلاك، وهذه الزيادة بدورها تتطلب مزيدا من الخدمات الاجتماعية، ورغم هذا التداخل من الناحية الواقعية الا أننا اعتدنا الفصل بين هذين الجانبين في تناول وهو ما سنلجأ إليه الآن تمثيا مع طرح بعض المفاهيم كل على حدى .حيث أن مفاهيم التنمية تنوعت و اختلفت باختلاف الذين تناولوها بالدراسة والبحث، فمنهم من تناولها من منظور سياسي ومنهم من تناولها من منظور اقتصادي أو اجتماعي ثقافي وهكذا فكل باحث أو متخصص قد تناولها من ناحية تخصصه وفق طبيعة منهجه وميدانه العلمي.

لا مرأ أنه و قبل أن نخوض في شرح المصطلحات و تحديد المفاهيم للدراسة أن نعرف المفهوم لغة واصطلاحا للوقوف عند دلالاته اللغوية، و باعتبار التنمية مشتقة من التماء أو النمو فسنحاول تحديد مفهوم النمو

الإطار المنهجي للدراسة

قبل التعرض الى التنمية، فقد بذلت جهود عديدة وكبيرة لتحديد مفهوم التنمية التي عرفت ، على أنها العملية الاجتماعية والاقتصادية التي تقضي على التخلف بكل مؤشرات وأساببه كما ونوعا والتي لا يمكن أن تتم إلا في إطار إنتاج اجتماعي معين حيث تحدد القوانين لهذا النمط مسيرة ومهام التنمية بشكل عام¹.

9-2-النمو: لغويا يعني الزيادة حيث أن نمو كمية يعني زيادتها ومثالها النمو الاقتصادي الذي يقصد به تحقيق معدل مرتفع في كل من الدخل القومي والدخل الفردي بما يحقق الرفاهية لأفراد هذا الاقتصاد. والنمو ظاهرة نمطية تلقائية من صنع الطبيعة تخضع لعواملها، وغالبا ما يحدث عن طريق التطور البطيء والتحول التدريجي في جانب معين من جوانب الحياة وينجم عنه قدر ضئيل من التغير الذي يكون كميًا في المجتمعات على اختلاف مستوياتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو الحضرية دون النظر إلى المستوى النسبي الذي تبدأ فيه عملية أو ظاهرة النمو وهناك بعض الأبعاد التي يمكن أن تحد أو تنشط من عملية النمو مايلي²:

- **البعد الطبقي:** بمعنى أن تقتصر عمليات النمو على احدى الطبقات الاجتماعية دون غيرها ، وعادة ما تكون الطبقة ذات الوضع المسيطر أو الطبقة صاحبة الخطوه الاجتماعية، مع الوضع في الاعتبار أنه ليس من اللازم أن تكون الطبقة المستفيدة من النمو على الدوام هي الطبقة الأعلى أو الطبقة المسيطرة.
- **البعد الثقافي:** بمعنى أن يقتصر النمو على واحد أو أكثر فقط من المجالات أو ميادين النشاط الثقافي بحيث لا يحدث النمو الا في الثقافة المادية أو الروحية أو احدى ميادينها الفرعية. وهكذا.
- **البعد الزمني:** تفاوت عملية النمو على أساس اعتبار الزمن، بمعنى أنها يمكن أن تسرع وتنشط في فترة زمنية معينة وتنكمش وتتباطأ في فترة زمنية أخرى.
- **البعد الجغرافي:** حيث تختلف سرعة النمو ويختلف مداه وفقا للبعد الجغرافي أي الاعتبارات التي

¹ حسين بن هاني: التنمية في الوطن العربي ، الأردن ، دار الكندي، 1990 ص118

² ماهر ابو المعاطي علي، الاتجاهات الحديثة في التنمية الشاملة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2012، ص12

تحيط ببيئة المجتمع محل النمو وظروفه الجغرافية.

9-3- التعريف الاجرائي للتنمية: تأسيسا على ما سبق ذكره من تعاريف فإنه يمكن تحديد تعريف اجرائي مفاده أن التنمية هي عملية مقصودة وموجهة ومتكاملة تركز على مشاركة واسعة، وآليات تسهم في إحداث هذه الحركية منها البناء الثقافي والقيمي، فالجانب الثقافي والبعد الاجتماعي أهمية بارزة في تنمية المجتمع، والتنمية التي كانت لها أبعاد ومداخل متعددة متباينة تتطلب البحث والدراسة لمعرفة وإدراكها وتوجيهها و قد اعتمدنا على التراث السوسيولوجي، والأنثروبولوجي لفهم قضية التنمية باعتبارها منظومة متسقة شاملة، فهي عملية تغيير مقصود يهدف الى تحريك التغير التلقائي نحو أهداف متفق عليها تحقق رفاهية المجتمع، فالتنمية هي مشروع اجتماعي واقتصادي وسياسي يحتوى على عناصر مادية وبشرية وتقنية تعمل على نقل المجتمع من حالة التخلف والفوضى الى حالة التقدم والاستقرار وهي هدف كل المجتمعات الإنسانية باختلاف مستويات تطورها وتقدمها.

ولقد حقق مفهوم التنمية عند البعض من الدارسين في مجال علم اجتماع التنمية وفق نظرية الحلقة المتنوعة للفقر والتي تم ربطها فيما بعد بعملية الاستثمار أي بمعنى الإنتاج 4 وإعادة الانتاج التي طورت على يد كل من "مالتوس" و"ريكاردو".

وتأسيسا على ما أوردناه من تعاريف للتنمية، يمكن القول بان محور التنمية هو إحداث تغيرات مجتمعية Sociétales تزيد من قدرة المجتمع على الاستفادة من طاقاته البشرية وموارده المادية، في تحقيق أعلى مستوى من الرفاهية لأفراده، وعلى ذلك لا بد أن تتصدى التنمية لتغيير القيم والعادات والتقاليد.

9-4- مفهوم التنمية الاجتماعية: عملية تدعيم العلاقات والروابط الاجتماعية القائمة في المجتمع ورفع مستوى الخدمات التي تحقق تأمين الفرد على يومه وغده ورفع مستواه الثقافي والصحي والاجتماعي،

الإطار المنهجي للدراسة

وزيادة قدرته على تفهم مشاكله وحته على التعاون مع أفراد المجتمع للوصول إلى حياة أفضل لنمو الإنسان وتكيفه مع بيئته. تعتبر التنمية الاجتماعية هدفاً معنوياً لعملية ديناميكية تتحدد في إعداد وتوجيه الطاقات البشرية للمجتمع عن طريق تزويد الأفراد بقدر من الخدمات الاجتماعية والعامّة كالـتعليم والصحة والاسكان والمشاركة في النشاط الاجتماعي المبذول وذلك لتحقيق الأهداف المجتمعية المنشودة كما أنها عمليات مخططة وموجهة لتوفير احتياجات الإنسان من التعليم والصحة والمسكن المناسب لقدراته، والأمن والتأمين الاجتماعي والترويح، وتحقيق تكافؤ الفرص في المشاركة و الانتفاع بالخدمات لإحداث تغيير اجتماعي مقصود¹.

تشير التنمية الاجتماعية إلى أن التنمية ما هي الا عمليات التغيير الاجتماعي التي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بهدف اشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد وتنظيم سلوكهم وتصرفاتهم، وهي تعني بدراسة مشاكلهم مع اختلافها وبذلك فهي تتناول كافة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فتحدث فيها تغييرات جذرية شاملة عن طريق المجهودات المخططة والمعتمدة والمنظمة للأفراد والجماعات لتحقيق هدف معين².

10- مفهوم معوقات التنمية:

عوق، عاق، إعاقه أي صرفه وثبطه وأخره عنه فهي مأخوذة من أعاق، عوق، نقول أعاقه عن الشيء أي صرفه وأخره عنه، نقول عاقني عن الوجه الذي أردت، عائق وعاقتي العوائق، وعاقه عن الشيء أي منعه وشغله عنه. جدير بالذكر أن أول من استخدم هذا المفهوم هو روبرت ميرتون، حيث نعتّه بالخلل الوظيفي، وعليه فهو "نتيجة تترتب على وجود أحد جوانب النسق الاجتماعي، وينظر إليها باعتبارها مهددة أو معوقة لتكامله، أو توافقه أو استقراره، ويلاحظ أن ما قد يحكم عليه بأنه معوق وظيفي لجزء معين من أجزاء النسق، قد ينظر إليه على أنه وظيفي بالنسبة لجزء آخر مثال على ذلك انه قد ينظر إلى وجود بعض المعتقدات في أحد

¹ ماهر ابو المعاطي علي، المرجع السابق، ص12

² عبد الباسط محمد حسن: التنمية الاجتماعية، القاهرة، معهد البحوث و الدراسات العربية، المطبعة العالمية ،

الإطار المنهجي للدراسة

الأنساق الطبقيّة الاجتماعيّة، على أنّها وظيفيّة بالنسبة للطبقة العليا، ولكنها تكون معوقة وظيفيا بالنسبة للطبقة الدنيا. وما يمكن أن نستشفه من تعريف ميرتون لهذا المفهوم أنه يحمل في نظره مدلولين؛ فقد يكون ايجابيا بالنسبة لانساق معين، في حين أنه يصنف على أنه محمول سلبي عكسي للانساق الأخرى، هذه الثنائية في المدلول تحيلنا إلى جانب غاية في الأهمية يتعلّق بالرؤية الإدراكية على المستوى التصوري للفعل من جهة، ومن جهة ثانية على القدرة العمليّة المتجاوزة لحدود ومثبطات ما يعتقد أنه حاجزا أو معوقا .

تتعدد المعوقات التي تواجه تحقيق التنمية ويمكن تحديدها في الآتي¹:

أ. المعوقات الإداريّة:

- ✓ وتتضمن نقص الوعي لدى صانعي القرار والسكان على حد سواء بأهداف التنمية المستدامة ومقوماتها
- ✓ تضارب السياسات وأهداف ومصالح ممثلي الحكومة التي تؤثر بقرار عمليات التنمية ، مما يؤدي إلى عدم التنسيق بين الأنشطة التنموية.
- ✓ نقص الخبرات المدربة والمهارات الكافية اللازمة لوضع خطة التنمية المستدامة وتنفيذها ومتابعتها وتقويمها.
- ✓ نقص التمويل المشروعات التنموية المستدامة بما يكفل نجاح هذه المشروعات واستمراريتها.
- ✓ عدم فاعلية التنسيق بين الأجهزة الحكوميّة المختلفة سواء المركزيّة منها أو المحليّة وبين منظمات المجتمع المدني مما يؤدي إلى تضارب القرارات.

¹ ماهر ابو المعاطي علي، المرجع السابق 232 ص 233

ب. المعوقات الاقتصادية:

✓ وتتضمن ارتفاع تكلفة المشروعات والبرامج التنموية نظرا لزيادة تكلفة استخدام التكنولوجيا الحديثة.

✓ ارتفاع تكاليف الانتاج والاسعار مما يحد من المنافسة والتصدير، ويؤدي إلى عجز ميزان المدفوعات وانخفاض مستوى معيشة السكان وعدم وجود برامج للإصلاح الاقتصادي على أسس علمية مخططة.

✓ تبعية اقتصاد أغلب الدول النامية والفقيرة على اقتصاديات الدول المتطورة.

ت. المعوقات السياسية:

✓ تتضمن عدم الاهتمام بتطوير التشريعات المنظمة للعمل في القطاع المدني وعلاقته بالدولة وعدم إتاحة الفرصة للمشاركة الشعبية وتوسيع فرص الاختيار أمام السكان في اتخاذ القرارات المجتمعية.

✓ عدم اهتمام الجهاز السياسي بتعبئة المواطنين للمشاركة أو تبني سياسات وتنفيذ استراتيجيات التنمية المستدامة.

ث. معوقات بيئية: وتتضمن عدم قدرة أغلب الدول على اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية البيئة

وصيانة الموارد بل واستنزاف الانسان لتلك الموارد بطريقة جائرة، إن تدهور الوضع البيئي

على المستوى العالمي ممثلا بالاحتباس الحراري و فقدان طبقة الأوزون ونقص المساحات

الخضراء و اتساع نطاق التصحر وما إلى ذلك من مشاكل البيئة تتعدى الحدود الجغرافية

للدول و الدعوة إلى دمج البعد البيئي في التخطيط الإنمائي الدول العالم وعلى اثر ذلك عقدت

الأمم المتحدة مؤتمر حول البيئة والتنمية في ريو دي جانيرو بالبرازيل 1992، ومن أهداف

الإطار المنهجي للدراسة

المؤتمر الدعوة إلى دمج الاهتمامات الاقتصادية و الاجتماعية و من أهم المسائل التي تطرق المؤتمر وضع و تقييد استراتيجيات و إجراءات لتحقيق تنمية مستدامة. من أسس الاقتصاد التقليدي أيضا أن الناتج الوطني البيئي الاجتماعي يعتبر مؤشرا لقياس أداء الاقتصاد و الرفاهية على المستوى الوطني كما أن الاقتصاد البيئي التقليدي أشار إلى مشكلتين، الأولى مشكلة الآثار البيئية و الثانية الإدارة السليمة للمواد الطبيعية و التوزيع الأمثل للمواد الطبيعية غير متجددة بين الأجيال.

✓ عدم اهتمام الدول بوضع تقدير للآثار البيئية في المشروعات التنموية و غياب الوعي البيئي لدي السكان.

ج. معوقات اجتماعية:

- ✓ و تتضمن و انتشار مشكلات البطالة و الفقر و وجود تفاوت بين السكان خاصة الفئات المهمشة.
- ✓ عدم الاهتمام بتنمية رأس المال البشري و تزويده بالمعارف و المهارات اللازمة لإدارة التنمية المستدامة.
- ✓ انخفاض مستوى الخدمات و زيادة السكان و عدم توفر سياسات جادة لتثبيت نمو السكان.
- ✓ و بالإضافة إلى انخفاض درجة التحضر و معدلات النمو في المجتمعات المتخلفة، فان هناك ظاهرة أخرى تسود هذه المجتمعات المتخلفة و يطلق عليها اسم الثنائية الإقليمية و يقصد بها وجود هوة كبيرة تتسع باستمرار بين المناطق الحضرية و المناطق الريفية في داخل المجتمع الواحد و ينتج عنها عدم التكافل الإقليمي¹.

¹ سعيد فكرون، المرجع السابق، ص 149

✓ سوء توزيع السكان بين المناطق وهو ما يشار إليه بخلل النسق الايكولوجي، والمقصود به أن المجتمعات النامية تعيش توزيعاً غير عادل للسكان، وحتى في الخدمات بين المناطق، وخاصة بين الريف والمدينة.

11-التعريف الإجرائي للمعوقات:

تعرف بأنها:" جملة الحواجز التي تحول دون إنجاز المراد من الأهداف لتحقيق التنمية الاجتماعية المحلية التي يسعى إليها النسق. المجتمع المحلي تأخذ بعدين بنائي ووظيفي، تشمل الجوانب المادية، والتشريعية، والثقافية والمعنوية والتي يجب تذليلها لتحقيق التنمية الاجتماعية¹.

12- مفهوم المقومات:

أ. **المقومات:** كلمة مقومات هي جمع كلمة مقوم، وجمعها أيضاً مقومون، والاسم الفاعل منها هو قوم، وتعني: ما يُعطي قيمةً لأي عملٍ أو شخصٍ أو مجموعةٍ، وتعني أيضاً جميع ما يتكوّن منه الجسم، أو الجهاز، أو المشروع لمجموعة العناصر الأساسية التي تُساهم في بروزه ونهوضه بفعالية كبيرة. وللمقومات أفرعٌ وأقسامٌ عديدة؛ حيث إنّ لكل منها معنى مختلفاً، وأساسيات مختلفة تعتمد عليها سواء كان في النواحي الحياتية أم العلمية، أم العملية هي كالتالي:

ب. **المقومات الاجتماعية:** تعتبر العلاقات الاجتماعية في الحياة الأسرية بشكلٍ خاص واحدة من أبرز المقومات التي يحتاج إليها أي فرد، حيث إنّ الفرد بحاجة إلى تكوين علاقات عاطفية وصدّاقة، وأن يُشارك بالمهام بشكلٍ متوازن، وفي حال عدم وجود المقوم يؤدي ذلك إلى حدوث اختلالات كبيرة. لعل من أبرز المقومات التي يتمحور حولها بحثنا وهو المقوم الثقافي أو ثقافة التنمية حيث يشير هذا المفهوم إلى التفاعل المتبادل

¹ - مجلة تنمية الموارد البشرية - المجلد 10/ العدد الثاني - ديسمبر 2016

الإطار المنهجي للدراسة

بين الثقافة والتنمية وان العلاقة وثيقة بين الثقافة السائدة في مجتمعنا وبين مستوى نموه وتقدمه الاقتصادي والاجتماعي، وتتضمن ثقافة التنمية القيم والممارسات التي تسود لدى الجماعة والتي تعكس أثرها على عملية التنمية دفعا أو تعويقا ولما كانت كل ثقافة تملك أنماطا مستقاة من القيم التي تعكس معايير السلوك فيمكننا القول ان هناك أنماط ثقافية تدفع إلى التنمية والتطور وأنماط أخرى تبعث على الجمود وإعاقة التطور توضح أهم المداخل النظرية للتنمية، وأهم النظريات التي قدمت من رواد علم الاجتماع حول التغيير الاجتماعي وأهم قضاياها ، ان البعد الإنساني السلوكي للتنمية من ابرز المحتويات التي تركز عليها التنمية حيث ان الإنسان هو المحرك للتنمية والدافع لها والمستفيد الأول منها ، وبعده تأتي العناصر المادية والطبيعية والفنية والثقافية للتنمية.

13-المنهج المستخدم في الدراسة:

يعتبر المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية والإنسانية القاعدة الأساسية والوسيلة الموضوعية التي يستلزم على الباحث توظيفها أثناء دراسته وتحليله لأي ظاهرة من الظواهر، أو مشكلة من المشاكل في البحث الاجتماعي للوصول الى نتائج ومخرجات علمية اذ أنه يعتبر عصب كل دراسة أو ظاهرة مستهدفة، لأجل تحديد ابعادها ومعرفة أسبابها والتنبؤ بمستقبلها. ويرى "محمد شفيق": بأن المنهج العلمي هو بمثابة العمود الفقري في تصميم البحوث الاجتماعية، لأنه يسمح بتحديد المفاهيم وشرح المعاني الإجرائية وتحديد مجتمع البحث¹.

ويمكن تعريف هذا المنهج بشكل عام: "بأنه أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على المعلومات الكافية والدقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بطريقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"².

¹ محمد شفيق، البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ، مصر، 1993، ص34

² محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط2، 1999، ص 46.

أما بالنسبة للعينات التي يمكن استخدامها فيجب أن تكون ممثلة لمجتمع الدراسة سواء كانت هذه العينات عشوائية احتمالية أو غير عشوائية تساعد الباحثين في الحصول على نتائج واستنتاجات لها درجة معقولة من المصادقية حتى يمكن تعميمها¹.

والمنهج المعتمد عليه في دراستنا هذه هو: "المنهج الوصفي وفق أسلوب تحليل المحتوى".

إذ يتميز هذا الأخير على أنه يمكن الباحث من الحصول على بيانات دقيقة ومفصلة عن الواقع الملموس للظاهرة أو موضوع الدراسة، لكونه يختص بدراسة الظاهرة كما هي على أرض الواقع وذلك من خلال أسلوب جمع المعطيات والبيانات وتحليلها بهدف الوصول إلى استنتاجات وتعميمات حول الواقع الذي يتم دراسته.

إذا اعتبرنا أن المناهج تختلف في استخداماتها باختلاف المواضيع وطبيعة الدراسة والأهداف المراد تحقيقها أو الوصول إليها فإن هذا الاختلاف يعد في نظرنا أمرا إيجابيا يسهم الى حد كبير في تحديث المعرفة وتنوعها واستمرارها بالشكل الذي يفرضه الواقع الاجتماعي، وما تتطلبه الأطر النظرية والفكرية التي يلتزم بها كل باحث.

لقد اعتمدنا في هذا البحث لدراسة الراهن التتموي بمنطقة عين الصفراء و للوقوف عند المقومات التي تمتاز بها والمعوقات التي تعترض سبل تميمتها، على المنهج الوصفي والذي يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميًا عن طريق جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها واخضاعها للدراسة الدقيقة². و الذي وجدناه صائبا لمعالجة هذا الموضوع لمعرفة أهم المعوقات التي واجهت النموذج التتموي بالجزائر عامة و

¹ المرجع السابق، ص47.

² محمد عارف : المنهج في علم الاجتماع في ضوء نظرية التكامل المنهجي ، ط 2 ، القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية

1975 ، ص413

الإطار المنهجي للدراسة

بالمنطقة التي عاشت تحولات كسائر مناطق الوطن و للإشارة الى الجانب الفني من خلال تتبع ما يتصل بالموضوع كالبينة والمجتمع، و ما تم رصده من برامج تنمية منذ الاستقلال، و تتبع استراتيجية التصنيع و التحديث والتنمية بالجزائر باعتبارها تجربة تستحق الاهتمام والدراسة ضمن السيرورة التاريخية التي نعتمدها في التفسير، ونحاول قياس مدى قدرتها في تحقيق تفاعل مع التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية الموجودة بتوظيف والاستعانة بالمنهج التاريخي والتأكيد على أن الواقع الاجتماعي والاقتصادي التنموي الحالي والذي نتج عن توظيف آليات جديدة في اطار الاصلاحات التي باشرتها الدولة ما هو في حقيقة الأمر سوى امتداد لهذه التجربة بكل مفاهيمها وخصائصها ومنطقاتها، وعلى ضوء ذلك نجد انفسنا ملزمين بمعرفة النتائج التي قد ترتبت عن هذا التغيير في اطار النسق الاجتماعي العام، ذلك أن التنمية كما تراها " مريم أحمد مصطفى" ليست ميكانيزمات، وإنما هي عملية تاريخية، فاذا كانت النظريات الوظيفية المستندة إلى قاعدة التوازن قد فشلت في تفسير التغيير في العالم المتقدم، فإنها لا تصلح بالضرورة في المجتمعات النامية، وذلك لسبب أساسي وجوهري، هو أنها تعالج مواقف جزئية تصلح معها فكرة الميكانيزمات، أما التنمية فلا بد أن يستند فهمها إلى تفهم العملية التاريخية المتجددة¹.

فيجب أن تستند المعلومات على بيانات إحصائية دقيقة في حين نجد أن جل الباحثين في بحوثهم ودراساتهم يعانون من نقص في البيانات الإحصائية الدقيقة التي يستلزمها اشتغالهم على مواضيع معينة وبخاصة تلك التي ترتبط بالأنثروبولوجيا. إذ يقتضي العمل في أنثروبولوجيا التنمية على استخدام أساليب جديدة في البحث لجمع بيانات ومعلومات تخدم العلم وتبلغ اهدافه.

كما اعتمدنا في التحليل على الملاحظة المباشرة.

فمن خلال استطلاعنا وإجراءنا لعدة مقابلات فقد مكنتنا ملاحظة المعطيات العينية إلى استنتاج بعض التعميمات حول واقع هذه التنمية مع بيان سبب تدني مستوياتها و تخلف الافراد عن الالتحاق بركبها، ومن

¹ سعيد فكرون، مرجع سابق، ص52

الإطار المنهجي للدراسة

أجل التقيد و الالتزام بهذه المنهجية فقد قمنا بزيارات ميدانية لبعض الورشات و لبعض المنازل التي تزاوّل النسيج و تتخذ منه مكسبا لسد الحاجات الاجتماعية الثقافية والاقتصادية المطلوبة باعتبار النسيج كحرفة و نشاط مرتبّط بالحركة التنموية، و واحد من العناصر الهامة للوصول الى أهدافها خاصة و ان المنطقة تتوفر على اجود أنواع الصوف، وبغرض توثيق أهم المعلومات المتعلقة بالبحث و خاصة في الجانب الثقافي و الاقتصادي.

وقد أدرجنا وركزنا في زيارتنا الميدانية على:

مديرية السياحة والصناعة التقليدية وغرفة الحرف والصناعات التقليدية بالنعامة. والمهتمين بالنسيج سواء درازين وحرفيات داخل البيوت والاتصال ببعض المهتمين والدارسين للمنطقة وتراثها المادي والثقافي مديرية المصالح الفلاحية وبعض الفلاحين المتهنين تربية المواشي من بدو وساكنة القصور ومربي الدواجن والنحل كما كانت لنا مقابلات مع إدارات مديرية النشاط الاجتماعي.

• أدوات جمع البيانات:

تندرج هذه الدراسة في تخصص أنثروبولوجيا التنمية المنبثقة عن الأنثروبولوجيا العامة والتي تعتمد بشكل رئيسي على الدراسة الميدانية و على التحليل للوصول الى التصنيف و التفسير والفهم، فقد حاولنا من خلال استطلاعنا للميدان في اطار الزيارة لبعض المناطق على الملاحظة، وقد ارتكزت الدراسة بشكل كبير على منطقة عين الصفراء و ما جاورها من ارياف و قرى و قصور. لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والذي وجدناه صائبا لمعالجة هذا الموضوع لوصف الجانب السوسيو-ثقافي للمجتمع المحلي ولتناول ما يتصل بالموضوع كالبينة والمجتمع والاعراف والنظم القيمية، ومن خلال اتصالننا المباشر ببعض الموالين والمزارعين والنساجين وتمكننا من رصد

الإطار المنهجي للدراسة

بعض الوثائق والصور التي من شأنها أن تدعم البحث، كما استعنا بالمنهج التاريخي كمحاولة لمعالجة والتطرق إلى المسار الكرونولوجي لمسارات التنمية منذ الاستقلال الى يومنا هذا.

إن الباحث أو الباحثة سيتوجه أيضا، وفي مستوى ملموس أكثر، نحو استعمال التقنية المباشرة أو غير المباشرة أثناء قيامه بجمع المعطيات من الميدان¹.

وقد تمت الاستعانة في جمع البيانات والمعلومات بالأدوات التالية:

■ **الاستبيان:** وقد اعتمدنا على صياغة أسئلة تتلاءم و طبيعة المبحوثين من خلال السعي الى تحديد بعض المؤشرات، ذات الصلة المباشرة بالبحث لدفع المبحوثين إلي الإجابة عنها ، وقد وزعنا عينة من الاستمارات علي المبحوثين من بدو وفلاحين و حرفيين و مستخمي بغض الادارات و المصالح.

■ **المقابلات المباشرة:** أتاحت لنا المقابلات التي أجريت مع بعض أفراد العينة التوصل إلى اكتشاف جوانب مهمة للإجابات، كما مكنتنا من التعامل مع شرائح مختلفة من العينة ككبار السن منهم والأميين والبدو من ساكنة البادية والحرفيين، والذين توصلنا من خلالهم إلى معلومات حول تاريخ المنطقة والحياة الاجتماعية بين الماضي والحاضر ورصد آراءهم حول دلالة التنمية وفي مسألة القيم ومدى تمسك المجتمع بها وغيرها من الأسئلة التي تخدم عملنا وتساعدنا في استجلاء المعاني وفي فهم الدلالات.

■ **الملاحظة بالمشاركة:** كوننا ننتمي لمجتمع الدراسة فقد سهل علينا التعايش مع المبحوثين بشكل تفاعلي وفيه تعاون مما سهل اخذ الملاحظات وبناء الافكار.

وقد كان من الضروري استخدام هذه الأداة في هذا المجتمع لتحليل العادات والتقاليد ومختلف مظاهر الحياة الاجتماعية وأنماط السلوك المتنوعة ومجموع القيم الملاحظة وذلك لتعزيز مصداقية النتائج

¹ -موريس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية ، دار القصبه للنشر،الزائر،2004،ص76

14-مجتمع البحث والعينة:

العينة أو المجال البشري للبحث: لقد قمنا باختيار العينة بالأخذ بعين الاعتبار مجال الدراسة والخصائص التي تخدم أهداف البحث، وقد اشتملت عينة البحث علي مستثمرين فلاحيين أصحاب مشاريع صغيرة مؤسسات ناشئة و أفراد من البدو الرحل و الحرفيين بما فيهم الحرفيات خاصة في الريف اللاتي يعملن داخل بيوتهن، و قمنا بتوزيع استمارات علي الجزء الأكبر من العينة عشوائيا والتي اشتملت علي 55 من الذكور، 18 من الإناث من مختلف الأعمار و المناطق، وهم يمثلون عينة عشوائية من مجتمع البحث.

15-صعوبات البحث:

هناك عدة صعوبات اعترضتنا أثناء البحث أهمها:

- صعوبة التمكن والوصول إلى بعض المراجع والدراسات المتعلقة بالموضوع بالعين الصفراء فمعظم الابحاث المنجزة ذات طابع تاريخي.
- قلة الدراسات التي تناولت التنمية المحلية بالعين الصفراء في كليتها أوفي جوانبها خاصة في المعطى الثقافي والاقتصادي والاجتماعي.
- قلة الإحصاءات :واجهتنا أيضا مشكلة نقص المعطيات حول بعض جوانب الأرقام بالمصالح الفلاحية وذلك عند محاولتنا تتبع نسبة القطيع "المواشي"، وهذا راجع لقلة التحقيقات، والبحوث الميدانية المنجزة حول الموضوع من جهة، وعدم وجود سياسة واضحة لجمع هذه المعطيات، وتصنيفها وتبويبها، وتقديمها في شكل تقارير تقنية.

الإطار المنهجي للدراسة

- من بين الصعوبات التي اعترضنا في إعداد هذا البحث أيضا تعدد دراسة الموروثات الشعبية المتمثلة في الحرف والصنائع دراسة علمية عملية، فنجد أن الباحث يعتمد على المعطيات والأرقام المحصل عليها ميدانيا، وذلك بشكل مباشر أحيانا ومن المصدر تحديدا وبما أن معظم الحرفيات يعملن بالبيت فالاتصال بهن في شكل المقابلة أمر جد صعب نظرا لخصوصية المنطقة.
- عدم توصلنا إلى الإطار النظري الكافي من أجل فهم الكثير من الظواهر الاقتصادية والثقافية التي تتميز بها الأنظمة الاجتماعية التقليدية.
- ولا شك أن أي بحث يحاول تجاوز إطار التخصصات العلمية الكلاسيكية، ويتناول الموضوع بصورة شمولية تكاملية، تعترضه صعوبة التوفيق بين موقف العلوم المتباينة، كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد، والتوفيق والتنسيق أيضا بين اتجاهاتها في التفسير والتحليل.

16- خطة البحث:

من أجل بحث متغيرات الدراسة وتحقيقا لأهدافها النظرية والتطبيقية أتت هذه الدراسة في خمسة فصول بالإضافة إلى الإطار المنهجي الذي وردت فيه أهم العناصر والمفاهيم التي تدور حولها الدراسة مستهلا العمل كما هو معلوم في كافة البحوث بمقدمة و منتهيا الى خاتمة، حيق تميزت الفصول بالتسلسل و الترابط بما يحقق اللياقة المنهجية حسب ما يلي:

خصص الإطار المنهجي للتحليل النظري والتصوري للدراسة، حيث تضمن تحديد موضوع الدراسة وأهميتها وأسباب اختيارها، واستشكال الموضوع وطرحه بالكيفية التي تتسجم مع البحث الأنثروبولوجي الذي يعتبر ضروريا في فهم وتحليل الكثير من الحقائق التي لا يمكن أن نفتح عن محدداتها الا بالاعتماد عليه كمرتكز للتشخيص و التوغل في نقاط الظل التي تهملها كثير من

الإطار المنهجي للدراسة

التخصصات، ومن تم صياغة فرضيات البحث، انطلاقاً من متغيرات الدراسة ومؤشراتها و عناصرها المتداخلة و المنهج المعتمد في اجراء البحث.

في حين خصص الفصل الاول الذي خصصناه للحديث عن التنمية لتحديد المفهومات الأساسية والفرعية والنظريات المفسرة التي استندت عليها الدراسة في تناول التنمية كعملية متعددة الجوانب وفي ذكر أهم الاتجاهات والنظريات التي تناولتها و عالجتها من زوايا وتقوب مختلفة ومتعددة، حيث أن تنمية المجتمع تضع في اعتبارها انشاء قنوات تفاعل بين المجتمع المحلي و بين المجتمع القومي حتى تتجاوب المشروعات التنموية التي يخطط لها أو التي يجري تنفيذها او المنفذة فعلا لإشباع حاجات ورغبات

سكان المجتمع المحلي في اطار الخطة الشاملة لتنمية المجتمع بوجه عام. لقد حاولنا من خلال هذا الفصل توضيح أن جوهر التنمية هو سلسلة متكاملة من العمليات لإحداث التغيير في الجوانب البنائية والوظيفية بحيث يتحقق التكامل والاتساق بين كل مجالات وقطاعات النشاط في المجتمع من خلال الاستثمار الأمثل للموارد البشرية والمادية والتنظيمية على أساس تضافر الجهود الحكومية والأهلية في مناخ ديموقراطي التحقيق الأهداف وزيادة مشاركة كل القوى الاجتماعية في المجتمع في صنع قرارات التنمية وتنفيذها والاستفادة من عائدها ومردودها والاستثمار في المقومات المتوفر عليها ومجابهة المعوقات مهما كان شكلها والعمل على تدليلها وتجاوزها خاصة في منطقة عين الصفراء التي تمتلك كافة المؤهلات التنموية.

أما الفصل الثاني فقد خصص للحديث عن شعبة الأنثروبولوجيا والتنمية، حيث تم استعراض نماذج من الدراسات الغربية والعربية والجزائرية، وبيان صلتها بالدراسة الحالية.

الإطار المنهجي للدراسة

في الفصل الثالث من هذا العمل تناولنا التحولات وسياسات التنمية وتوجهاتها في الجزائر بعد الاستقلال أين استهدفنا اثرات الموضوع من خلال اجراء مسح تاريخي حول أهم الخطوات والسياسات التي عرفتتها التنمية بالجزائر انطلاقا من كوننا في حاجة إلى فهم أثر هذه التحولات في قيم وسلوك أفراد المجتمع و أثرها على قيم الإنتاج و على مسار التنمية ككل، في ظل رهان التكيف مع التحولات الحاصلة محليا وعالميا خصوصا ما يرتبط بقيم العمل، ومن ثم فهم آليات السلوك والفعل الاجتماعي في البنية الثقافية، و لا شك أن الالمام بهذه المعطيات لا يتأتى إلا بفهم التغيرات والتحولات التي تحدث على مستوى الماكرو المجتمع والتي تنعكس على مختلف البنيات والأجزاء وكذلك قيم وتوجهات ومواقف الأفراد والجماعات.

في الفصل الرابع والمعنون باثنوغرافية منطقة عين الصفراء الذي أخذ منا جزءا وافرا في الدراسة باعتباره متضمنا للعناصر المهمة و الاساسية في البحث الأنثروبولوجي بحيث ركزنا فيه على المعطى الاثنوجرافي وحاولنا التعرض للمعطيات الاثنية و للمورفولوجيا الاجتماعية التي تختص بها منطقة عين الصفراء التي تتميز بتنوعها الاثني و حتى اللغوي باعتبار أنها منطقة عرفت الوجود الامازيغي منذ عدة قرون، وللمؤهلات السياحية التي تعتبر من اهم دعائم التنمية التي يحاول بحثنا هذا تناولها و تسليط الضوء على أهم ما يعيقها.

وأخيرا جاء فصل الدراسة الخامس للدراسة الميدانية وتحليل النتائج والتطرق الى الاخصائيات و الارقام التي تؤكد مقومات و مؤهلات المنطقة قيد الدراسة و كذا المعوقات التي تحول دون الوصول الى المبتغى في تحقيق تنمية محلية وصولا الى الخاتمة التي تتضمن توصيات تفتح الباب لدراسات مستقبلية خاصة في ميدان الانثروبولوجيا في الجزائر.

الفصل الأول

التنمية: مفاهيم، نظريات

واتجاهات

تمهيد:

هناك من يعرف النظام الاقتصادي The Economic Regime بأنه: "الإجراءات والتدابير المنظمة التي تتم بموجبها عمليات إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها من قبل أفراد المجتمع وضمن إطار اجتماعي محدد" أو هو: "جملة الوسائل المستخدمة والعادات والتقاليد والأفكار المتفاعلة ببعضها من أجل استغلال الموارد البيئية بهدف إشباع الحاجات الأساسية للإنسان". أو هو: "مجموعة القواعد ونمط الضوابط التي يتبعها مجتمع ما في استخدام موارده لتحقيق غاياته وفي تحديد الأولويات واتخاذ القرارات الخاصة بالسلع الاقتصادية. فالنظام الاقتصادي هو كل متكامل من الإجراءات والتدابير والقيم والأفكار والعادات التي تعمل بشكل متكامل على تحديد وتنظيم سلوكيات الأفراد عند قيامهم بنشاطات تهدف إلى الاستفادة من المصادر والموارد المتوفرة من أجل توفير ما من شأنه إشباع حاجاتهم الأساسية.

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، مشكلات الفقر والتخلف في العديد من البلدان بشكل أكثر وضوحاً وانتشاراً، من السابق، وعندها ظهر ما يعرف باقتصاد التنمية. Development Economics. ويهتم اقتصاد التنمية بدراسة المشكلات المتعلقة بالتخلف وقصور التنمية في تلك البلدان. ولهذا فإن اقتصاد التنمية مصمم لأغراض التنظير حول مشكلات التخلف الاقتصادي في البلدان المتخلفة.

كانت البداية التي افضت إلى ضرورة الاهتمام بالتنمية كعملية منظمة تتجه إلى تخليص الإنسان من بوائق الفقر والمرض والحروب والتنافس العنيف بدايةً أزموية، وهذا ليس بغريب عن حقل السوسولوجيا العامة، على اعتبار أنها علم الأزمة، فميلادها ارتبط دوماً بالأزمة التي تحاول الإجابة عن شروط إنتاجها وإعادة إنتاجها، وعليه فميلاد السوسولوجيا القروية كفرع تخصصي لم يكن ليختلف كثيراً عن الظهور الأول للسوسولوجيا العامة¹.

¹ عبد الرحيم العطري. (2009). تحولات المغرب القروي-اسئلة التنمية المؤجلة (الإصدار الطبعة الاولى). الرباط: طوب بريس.

لقد اهتم كارل ماركس بتطور رأس المال ونتائج التنمية التاريخية، كما اهتم علماء الاجتماع في حقبة تاريخية وبتجاهات مغايرة بمفهوم التنمية، هو الحال عند هيربرت سبنسر، ماكس فيبر وامل دوركايم وغيرهم. ونظرا لكثافة وتنوع ما جاءت به النظريات الاجتماعية حول التنمية تأسس في علم الاجتماع فرعاً وتخصصاً قائماً يسمى علم اجتماع التنمية. ولقد عرف علم الاجتماع غداة الحرب العالمية الثانية صياغة جديدة لمفهوم التنمية وتعريفاً جديداً لعلم اجتماع التنمية يستند أساساً على ظاهرة التفريق بين المجتمعات المتطورة والمجتمعات المتخلفة¹.

لقد ركز دوركايم على شرح التغيير على ضوء الروابط والعلاقات الأخلاقية وفق ما سماه بالتضامن الاجتماعي ولا يمكننا أن نهمل الدور الأساسي عند ماكس فيبر للتنمية في كتابه اخلاقيات البروستانت والروح الرأسمالية، حيث ربط بين المعتقدات الدينية ونشأة المذهب الطائفي عند المسيحيين في أوروبا كما اعطى اهتماماً كبيراً للنواحي الثقافية أو ما يسمى بالسلوك العقلاني الرشيد كما يرى "دايفيد مكيلاند" انه لا ضرورة من وجود نمط للتنمية في التاريخ وأن المجتمعات لا بد أن تفهم من خلال ظروفها الخاصة كذلك أكد أن تالكوت بارسونز. أكد على أهمية القيم في تحديد سلوك الناس، وهو ما سنحاول اثباته في معرض تناولنا للتغيير الاجتماعي والثقافي لاسيما في جانبه المتعلق منظومة القيم ومدى ارتباطها بالإنتاج والعمل وغيرها من عناصر ومقومات التنمية. ورغم اهتمام الاقتصاديين الأوائل أمثال Adam Smith H آدم سميث وكارل ماركس وكينيز بقضايا النمو والتنمية، إلا أنهم ركزوا اهتماماتهم على الوضع الستاتيكي. الجامد. ولم يهتموا بالوضع الديناميكي لعمليات التنمية الاقتصادية. كما تركز اهتمام الاقتصاديين على مشكلات الكساد الاقتصادي والاستخدام غير الكامل للموارد الاقتصادية في البلدان المتقدمة، واقتصر عملهم العلمي واهتمامهم على غرب أوروبا وعلى وضعها الاجتماعي والثقافي.

إلا أنه بعد الحرب العالمية الثانية اتجه الفكر الاقتصادي نحو الاهتمام بموضوع اقتصاد التنمية، والذي

¹ سيكوك قويدر. العلوم الاجتماعية والمسألة التنموية. مقال بمجلة الفكر المتوسطي. ماي 2014. ص73

استخدم أدوات التحليل الكلاسيكي المحدث. Neoclassical. أو الكينزي. Keynesian. في بناء نماذج واستراتيجيات وسياسات عامة تساعد البلدان الفقيرة على تحقيق التنمية.

وعليه فإن التنمية الاقتصادية. Economic Development. كموضوع مستقل يمثل ظاهرة حديثة نسبية، كما أن الاهتمام العام والسياسي بالبلدان الفقيرة من العالم هو الآخر ظاهرة حديثة، حيث كانت هذه البلدان، قبل ذلك، مستعمرات، وبالتالي لم يكن هناك اهتمام خاص بها.

ومما عزز هذا الاتجاه هو أن البلدان الفقيرة بدأت تترك تخلفها عن دول الشمال أو بالأحرى الدول المتقدمة والصناعية¹.

في الستينات من القرن الماضي كانت الدراسات والبحوث تركز على موضوعات معينة مثل مشكلات الدول النامية، ومشكلات العلاقة بين الدول المتقدمة والنامية بعد الستينات توسعت دائرة البحث لتشمل موضوعات عديدة نذكر منها:

- ✓ التغييرات البنائية التي طرأت على مجتمعات البلاد الصناعية.
- ✓ تطوير المجتمعات الإنسانية المتقدمة منها والنامية، ولكن ذلك يتطلب وجود معلومات واقعية وتحليلات مقارنة للنظم الاجتماعية المختلفة.
- ✓ ديناميات عمليات التصنيع والتطور الديمقراطي.
- ✓ تباين الدوافع الذاتية للنمو والتقدم.
- ✓ القوى الدافعة والمحركة للتيارات الاجتماعية المختلفة.
- ✓ معدلات النمو المتفاوتة.
- ✓ التوترات الناجمة عن التغييرات الجديدة

¹ مدحت القرشي، التنمية الاقتصادية، نظريات وسياسات وموضوعات، دار وائل للنشر، 2007، الأردن، ص9

على ضوء ما تقدم وفي سياقات هذا التنافس المحموم والمشتد في الاستقطاب وفي خضم التجاذب الأيديولوجي وخاصة في مرحلة الحرب الباردة، ظهرت وطفت الى السطح عديد المفاهيم المندرجة في عمليات التحديث والتطوير والتنمية للنظم الاقتصادية والسياسية ما أثري الجانب المفاهيمي الذي سنحاول الاستفادة من بعضه بما من شأنه أن يعيننا في هذه الدراسة.

يعتبر تحديد المفاهيم وضبطها بما يتناسب مع طبيعة البحث من المراحل الأساسية في كافة النظريات والبحوث، كما أن التحديد العلمي و الاجرائي لها يعد خطوة لا غنى عنها في سبيل تمهيد الطريق أمام الباحث لتوضيحها و تأصيلها و بشكل منسجم مع الظاهرة المدروسة، ونظرا لأن بعض المفاهيم التي يزخر بها معجم علوم الانسان و المجتمع، مثل تنمية المجتمعات و المشكلات و القيم والتغير الاجتماعي و النسق الاجتماعي و البناء السوسيو-اقتصادي والاضطرابات الوظيفية التي تأخذ في بحثنا شكل المعوقات، هي دائما في حاجة إلى المزيد من التوضيح الفكري والتحديد العلمي، حيث أن الدراسة الأنثروبولوجية للتنمية بالجزائر، و بالعالم العربي تعد أمرا حديثا نسبيا، فقد ارتأينا أنه من اللازم علينا بداية أن نطرح بعض التعريفات الخاصة بمصطلحات الدراسة فضلا عن بعض المفاهيم المرتبطة بها، بتوضيح وتبيان ماهيتها و طبيعتها وفق المنظور السوسيو-أنثروبولوجي، " تلك الطبيعة التي تكسبها معنى اجتماعي و ثقافي فني، تتجلى من خلاله معاني الظاهرة، تحدد علاقاتها بغيرها من الظواهر الأخرى"¹.

من هذا المنطلق، يمثل هذا الفصل محاولة علمية نهدف من ورائها تلمس معاني هذه المفاهيم الأساسية التي يدور حولها موضوع الدراسة، وهو يشتمل على عدة مفاهيم رئيسية نذكر منها: معوقات التنمية-مقومات التنمية-التنمية الاجتماعية والاقتصادية - الجنوب الغربي - العين الصفراء.

محاولين في النهاية إبراز جوانب هذه المفاهيم، بغية استنباط تعاريف مضبوطة ومحددة تخدم بشكل واضح وأساسي أهداف الدراسة الراهنة التي يدور حولها الموضوع بحيث تعد المفاهيم بمثابة حلقة وصل بين النظرية

¹ كمال التابعي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والعلمية، القاهرة دار المعارف، ص 16

والبحث، كما أن لكل منها محددات نظرية تحيط به أبعاد ومتغيرات إجرائية تخصها. لذلك فإن عملية تحديد المفاهيم تكتسي أهمية بالغة في أي بحث اجتماعي، لها شروط خاصة وأن الاستغناء عنها يعتبر تقصيرا منهجيا يجب تفاديه إذ يعتبر توضيح المفاهيم وتحديدتها من أهم الوسائل التي تساعد الباحث على استعمالها وتوظيفها بالشكل الذي يتناسب مع أهداف ونتائج الدراسة.

"فالمفهوم في العلوم الاجتماعية ينظم الواقع، فبواسطته نقوم بفرز أولي لكم هائل من المعلومات التي تغزو الباحث"¹.

سنحاول في هذا الفصل تحديد أهم المفاهيم والمصطلحات التي تتعلق بالإشكالية العامة للبحث. يبقى أن نشير في الأخير إلى أنه لا يمكن أن تظل هذه المصطلحات والمفاهيم العلمية ثابتة وإنما هي خاضعة للتطور والتغير كلما استجدت ظواهر يهتم بها الباحثون².

1- التمية بين الازهاصات والافاق:

تعتبر التمية كمفهوم متعدد الأبعاد والجوانب من القضايا التي نالت قسطا وافيا من الاهتمام العلمي والنظري في مختلف الحقول المعرفية، وقد عرفت كموضوع للبحث والدراسة عدة مداخل ومقاربات، كما أنها استرعت انتباه الاقتصاديين الأوائل حيث شككت الموضوع المركزي لكتاب " آدم سميث" عام 1776.

الموسوم " ثروة الامم " والذي اعتبر من أهم المراجع البحثية التي فتحت المجال أمام الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الحديثة³.

على الرغم من وجود كم هائل من التراث النظري حول التمية، إلا أن عملية التمية على أرض الواقع في العالم النامي أخفت واثبتت فشلها، بحيث أنها لم تحقق مبتغاها، بل أنها تراجعت في المرحلة الأخيرة

¹ محمد عي محمد، مقدمة في البحث الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص 28

² عواج بن عمر إدارة الموارد البشرية في المؤسسات الصناعية بين التوجهات الاقتصادية وثقافة العامل الجزائري. أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2011، ص 15

³ ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS, S.A, France, 2002

ولم يعد هناك اهتمام بالتنمية بالأساس، وحتى ان وجد فلا يتعدى الابعاد المادية والتقنية والتكنولوجية مع اهمال واضح وجلي للبعد البشري الإنساني الذي يعتبر أهم الركائز والعناصر لذلك ذهبت أنثروبولوجيا التنمية وركزت على الابعاد السوسيو-ثقافية والسياسية في فهم أطر التنمية.

والحقيقة أن حتى هذا المفهوم فقد مغزاه وحتى الدول النامية التي ناضلت من أجل الاستقلال فقدت جوهر استقلالها من خلال عجزها عن تحقيق مضمون الاستقلال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولم تفشل التنمية في الدول النامية فقط بل دخل الفكر التنموي نفسه في أزمة، والاستقلال نفسه أصبح محل تساؤل، وإذا كانت التنمية تهدف في إحدى جوانبها توفير القدرة على التحرر أو مرادفة له، تبين أن هذه الدول النامية حررت أرضها ولم تحرر عقول شعوبها، والسيادة المفقودة توسعت وذوت من جراء اكتساح العولمة الجارف. وزيادة الفجوة القائمة بين الدول المتقدمة التي زادت تقدما والدول النامية التي تعاطمت مشاكلها وتنامى تخلفها وزادت شدة ارتباطها بالدول المتقدمة، بحيث أصبحت تعتمد اعتمادا كلياً عليها في كل الميادين الاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية وتخضع لإملاءاتها بدون أدنى ممانعة.

فالتنمية الاجتماعية ضرورية للتنمية الاقتصادية، فهي تدفع عجلتها وتضمن نجاحها واستمرارها، وفي الوقت ذاته تعتمد عمليات النمو الاقتصادي في الدول وخاصة المتخلفة منها على الرأس المال، كما تتطلب أيضا وفي المقام الأول رأس مال بشري على مستوى خاص من الصحة والتعليم والاسكان والإنتاج يمثلته التركيب السكاني للمجتمع، وبنائه الطبقي، ونظمه الاجتماعية، ومستوى الخدمات المقدمة إليه من تعليم وصحة وتغذية وتشغيل ونمط استهلاكي وتحدده وتؤثر فيه المعوقات المتصلة بالتغيير الاجتماعي كالمشكلات الاجتماعية والفوارق الكبيرة في مستوى المعيشة ومشكلات الهجرة الداخلية وإشكالية التوازن الجغرافي بين الريف و الحضر¹.

في تطرقنا لنظريات التنمية يجب أن نتساءل حول النظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع،

¹ سعيد فكرون، مرجع سابق، ص12

هل بالفعل تستجيب هذه النظريات التغيرات الكبيرة التي تطرأ على البناءات والتنظيمات الاجتماعية سواء في الدول المتقدمة أو الدول النامية؟ وهل هذه النظريات قادرة على تفسير الواقع الجديد للمجتمعات النامية، ولا سيما فيما يتعلق بالتحويلات المرجوة أو التتمية والتحديث؟ لأن التتمية في المقام الأول في عملية تغيير وتحويل مقصودة تستند إلى فهم عميق للمجتمع في كليته، وأن هذا التغيير فضلا على أنه إرادة، فإنه يمثل تحديا واعيا وهادفا.

منذ زمن آدم سميث ومفهوم النمو والتتمية يشغل اهتمام رجال الفكر الاقتصادي، إلا أن هذا الاهتمام بلغ ذروته في الخمسينيات من القرن الماضي مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وحصول دول عديدة من إفريقيا وآسيا على استقلالها السياسي.

فعند ظهور اقتصاد التتمية في تلك الحقبة من الزمن كان يعتقد "أن مصطلحي النمو والتتمية استخدمها كمرادفين لبعضهما، وخاصة في الأدبيات الاقتصادية الأولى.

فكلاهما يشير إلى معدل زيادة في الناتج القومي الإجمالي الحقيقي خلال فترة زمنية طويلة." كان معظم الاقتصاديين يعتبرون النمو والتتمية الاقتصادية مفهوميين مرادفين، أي أنه كان يفسر النمو بالتتمية والعكس صحيح.

وهذا ما ذهب إليه روستو¹ حيث عرف تتمية الدول على أنها "عملية الخروج من التخلف انطلاقا من النمو ويكون ذلك ببذل الجهد الكافي في مجال الاستثمار².

ولكن مع التطور الذي شهده الفكر الاقتصادي، بدأ الاقتصاديون يميزون بين النمو الاقتصادي والتتمية

¹ بالإنجليزية Walt Whitman Rostow: نالت وينمان روستو هو عالم اقتصاد، وبروفيسور. أستاذ جامعي) من الولايات المتحدة الأمريكية ولد في مدينة نيويورك.. ولد سنة 1916 وتوفي في 2003 م وهو عضو في الحزب الديمقراطي الأمريكي

² العايب عبد الرحمن. التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر. أطروحة دكتوراه. جامعة سطيف، 2010 ص 7.

الاقتصادية. حيث أصبح يرى معظم الاقتصاديين أن "مفهوم التنمية الاقتصادية يختلف في الفكر الاقتصادي عن النمو الطبيعية الفوارق الموجودة بينهما، فالتنمية الاقتصادية أوسع من النمو الاقتصادي وهي تلقى الاهتمام البالغ في نشاط الاقتصاديين في جميع أنحاء العالم وبالأخص النامية¹.

تعد فترة ما بعد الخمسينات من القرن الماضي، محطة بارزة في تاريخ البلدان النامية، حيث نالت الكثير من هذه البلدان استقلالها، وبرزت حركات التحرر في بلدان أخرى خلال هذه الفترة، كما تعددت التجارب التنموية التي ارتبطت بمحاولات البناء الوطني في ارتباطه بالاستقلال، بهدف تجاوز وضعية التخلف والتبعية التي تعيشها، وبذلك تعددت تجارب هذه البلدان في القيام بتنمية اقتصادية واجتماعية شاملة، بتعدد وتمايز واختلاف الإيديولوجيات التي سادت والأطر السياسية التي قامت وحكمت عملية التنمية².

يعد مفهوم التنمية من المفاهيم المحورية التي حظيت باهتمام العديد من الدارسين والمهتمين بحقول معرفية عديدة من قبيل الاقتصاد والسياسة والاجتماع، ولا أدل على ذلك تباين التعريفات لهذا المفهوم واختلافها، الشيء الذي يجعلنا في هذه الدراسة نحاول أن نتعرض إلى البعض منها بشيء من التحليل، وذلك قصد تبيان مضامينها التي تتماشى وفحوى هذا العمل.

يرتبط مصطلح التنمية بجميع مجالات حياة الإنسان. فيستعمل على سبيل المثال عندما التعبير على نمو حجم الإنسان أو على نمو ذكائه. ومن جهة أخرى، باستعمال مصطلح التنمية، يتم الإشارة إلى ظاهرتين، فالأولى يقصد بها الانتشار، أما الثانية فيقصد بها النمو، ولعل أبرز أمثلة على الظاهرة الثانية فهي نمو نشاط معين أو نمو دولة ما.

لذا تعرف التنمية لغويا على أنها " المرور من وضع بسيط ومؤقت إلى وضع أشد تعقيدا وأكثر

¹ الطيب داودي. الاستراتيجية الذاتية لتمويل التنمية الاقتصادية، دار الفجر للنشر والتوزيع، عمان. الاردن. 2008 ص5

² تزيه نصيف الأيوبي، استراتيجيات التنمية في العالم الثالث، مركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام، مؤسسة الأهرام، القاهرة،

1987، ص5

استقراراً¹.

تجدر الإشارة أنه في معظم القواميس يتم ربط مصطلح التنمية عندما يتم التعبير عن اقتصاد الدولة فتعرف التنمية على أنها "عملية تحسين نوعي ودائم للاقتصاد ولطرق سيرد".

وفي علم الاقتصاد، تعرف التنمية على أنها "التوليف بين التغيرات الذهنية والاجتماعية لمجتمع ما، مما يجعله قادراً على الرفع من ناتجه الحقيقي الكلي بصفة دائمة ومتراكمة"².

لقد اهتمت المجتمعات النامية بهذا الموضوع باعتباره أداة وطريقة لمواجهة التخلف، كما بذلت جهود عديدة وكبيرة لتحديد مفهوم التنمية فقد عرفت التنمية على أنها العملية الاجتماعية والاقتصادية التي تقضي على التخلف بكل مؤشرات وأسبابه كما ونوعاً والتي لا يمكن أن تتم إلا في إطار إنتاج اجتماعي معين حيث تحدد القوانين لهذا النمط مسيرة ومهام التنمية بشكل عام³.

بينما استخدم آخرون مفهوم التنمية بالمنظور الاقتصادي للإشارة إلى النمو الاقتصادي الذي يقاس من خلال مؤشرات عديدة وهي: معدل الدخل القومي. PIB. ومعدل الدخل الفردي، ومعدل النمو، ومعدل التضخم، ونسبة البطالة، وغيرها من المؤشرات ذات الطبيعة الكمية، على حين يرى عالم الاجتماع الفرنسي "غابرييل ليبرا" "Lebras Gabriel" أن التنمية ليست ظاهرة اقتصادية صرفة، بل هي مجموعة من الظواهر من نوع مختلف، ذات طبيعة سوسولوجية وبسيكولوجية⁴. كما عرفت هيئة الأمم المتحدة التنمية عام 1955 بأنها العملية المرسومة لتقدم المجتمع جميعه اقتصادياً واجتماعياً اعتماداً على اشتراك المجتمع المحلي ومبادئه، ثم عرفت عام 1956 تعريفاً آخر مؤداه أنها العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأفراد المجتمع، والمساعدة

¹Encyclopédie de la gestion et du management, sous la direction de Robert LEDUFF, Edition DALLOZ France, 2004, p.270.

²Encyclopédie de gestion et du management, Op.cit, p.271.

³حسين بن هاني: التنمية في الوطن العربي، الأردن. دار الكندي، 1990 ص 118.

⁴عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري، علم الاجتماع والتنمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985،

على اندماجهم في حياة الأمة في المساهمة في تقدمها بأقصى قدر المستطاع¹.

2- التمية عند "رونالد وارن وتيومين":

يتمحور تعريف التمية لدى كل من "رونالد وتيومين" حول التأكيد بأن جوهر التمية يتمثل أساسا في العملية وليس في الأنشطة او في الناتج، فالتمية عند "وارن" هي المحاولة المقصودة والمستمرة لدعم النمط الأفقي في المجتمع أي يخص مستوى العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع. فهو يعتقد بأن أنماط العلاقات والتفاعلات الاجتماعية هي التي تحدد مفهوم التمية² بينما "تيومين" فيرى بأن التمية هي بمثابة العملية المستمرة التي تهدف إلى تنمية الاهتمام لمعالجة المشكلات التي تواجه المجتمع، وتحضير الفرد من خلال الاعتماد على النفس لتحقيق التغير المنشود، ونجد هنا تقاربا في المفاهيم والمدلولات المعرفية لنصوص مفهوم التمية بين نظرة "تيومين" و"كاترين لافي".

3- التمية عند "ديليام بيدل":

يرتكز مفهوم التمية عند "بيدل" على النمو البشري كما يرى أن التمية تبدأ من الداخل وليس من الخارج، حيث يرفض تقديم الخدمات جاهزة من الخارج لفشلها في تحقيق تنمية حقيقية، كما يرى أيضا أن عملية التكيف وفق المعطيات والمتغيرات الجديدة تصعب كثيرا بالرغم من توفر مختلف العمليات التربوية . وعلى هذا الأساس فإن عملية التمية يجب أن تتم من داخل المجتمع انطلاقا من القدرات الذاتية لأفراده، فالتمية عملية تربوية تعتمد على الخصوصيات والمكونات الداخلية للمجتمع وتسير في عدة مراحل أساسية وهي:

¹- محي الدين صابر، التغير الحضاري وتمية المجتمع، مطابع سرس اللبان، القاهرة، 1962، ص 218.

²- نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص 126.

1. المرحلة الاستكشافية.

2. المرحلة النقاشية.

3. المرحلة التنظيمية.

4. مرحلة النشاط.

5. مرحلة التقييم.

6. مرحلة الاستمرار.

ويحاول "بيدل" تحديد خصائص كل مرحلة من عملية التنمية ولا يتقيد بهذا التسلسل في العمل التطبيقي، ولكنه يشير إلى ضرورة البدء بالمرحلة الأولى والانتهاؤ بالمرحلة الأخيرة، لأن هذا أمرا يقتضيه التسلسل المنطقي الخاص¹.

4- مفهوم التنمية عند اروين ساندرز:

أخذ التنمية وفق أربعة أبعاد أو مفاهيم أساسية وهي:

1. تنمية المجتمع كعملية.

2. تنمية المجتمع كبرنامج.

3. تنمية المجتمع كمنهج أو طريقة.

4. تنمية المجتمع كحركة.

¹ - نبيل السلموطي، مرجع سابق، ص132

والمقصود بهذه الأبعاد :

4-1- تنمية المجتمع كعملية:

وتعني التحرك في مراحل متتابعة من حالة معينة الى حالة أخرى، فهي تتضمن مجموعة من المتغيرات المتسلسلة والمتعاقبة التي تتم فيها وتتصل بمعايير معينة، وهي بهذا المعنى تعد اصطلاحا علميا يمكن أن يخضع للتحديد الدقيق والقياس الذي ينصب أساسا على العلاقات الاجتماعية¹.

4-2- تنمية المجتمع كمنهج أو كطريقة (عملية + هدف):

يكون في هذه الحالة التركيز على التتمية كمدخل موجه للعمل، ويظل الاهتمام في ظل هذا البعد بالعملية قائما، وبالتالي فعند استخدام المنهج من الضروري إدراك هذا المطلب بوضوح، ذلك أنه لا يمكن في نظر "ساندرز" فرض طرق أو خطط من خارج المجتمع لعدم استجابتها لحاجيات واهتمام أفراد المجتمع، والتي تصبح في نظرهم مدمرة لطموحاتهم واهتماماتهم².

4-3- تنمية المجتمع كبرنامج (طريقة + محتوى):

عادة ما يتم التعبير عن الطريقة في شكل مجموعة من الاجراءات، وبالنسبة للمحتوى فيعبر عنه في شكل قائمة من الأنشطة، فإذا ما قمنا بتنفيذ الاجراءات فإن الأنشطة ستتحقق، وعندما يكون البرنامج قد أخذ شكلا رسميا أي تم التخطيط له، فإن الإتمام يتركز عادة على ما يحدث للناس من تغيير في مجالات عديدة منها: التعليم التربية، الصحة، الخدمات الاجتماعية... الخ .

4-4- التنمية كحركة برنامج (تفاعلات + وجدانية):

وهنا يركز "ساندرز" على عنصر الترابط والالتفاف حول قضية التتمية من قبل كافة أفراد المجتمع، ويعني أن قضية التتمية بالنسبة للمجتمع تصبح قضية مصيرية من خلال إيمان الجماهير والالتزام بها كلية،

¹ - سوسن عثمان عبد اللطيف: دراسات في التتمية المحلية، القاهرة لمعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 1979، ص15

² السعيد فكرون، مرجع سابق، ص87

حيث أن التقدم الذي يبتغيه المجتمع النامي عادة ما ينظر إليه بالقياس إلى القيم والأهداف المختارة التي يمكن أن تختلف من نظام سياسي واجتماعي إلى نظام سياسي واجتماعي آخرين .

وخلاصة القول فإن التنمية كحركة تتوجه دوماً إلى أن تصبح في نظر "ساندرز" مؤسسة لتتشيء بناءاتها التنظيمية الخاصة، ويكون لها إجراءاتها المقبولة ويكون لها ممارسوها المهنيون¹.

وأخيراً يمكن الإشارة إلى أن السياق الاجتماعي أو البناء الاجتماعي يمثل أهمية كبرى في نظرية "ساندرز"، حيث يشير " إلى ضرورة الوقوف على العوامل الجغرافية والإيكولوجية والديمقراطية في المجتمع الذي نخطط لتنميته، إضافة إلى أنه يجب معرفة المنظور السوسولوجي لقضية التنمية بناء على القيم والمعايير الموجهة للفعل الاجتماعي والمرحلة التي وصل إليها المجتمع من النمو وعلاقته بنسق المجتمعات المتسلسلة رأسياً"².

5- تصور الخبير الدولي "صلاح العيد" لمفهوم التنمية:

لقد حاول بعض المفكرين والدارسين العرب تحليل قضية التنمية من وجهة خصائص ومكونات وحقائق الواقع العربي ومنهم نجد الخبير الدولي " صلاح العيد" الذي حاول مناقشة الأبعاد الحقيقية للتخلف الذي تعيشه دول العالم النامي، ومنه اعتبر أن التنمية عملية متشعبة الجوانب والأبعاد، فهي تقوم بالأساس على تعبئة وتنظيم جهود أفراد المجتمع وجماعاته وتوجيهها للعمل المشترك، مع الهيئات الحكومية بأساليب ديمقراطية لحل مشاكل المجتمع ورفع مستوى إبنائه اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً ومقابلة احتياجاتهم بالانتفاع الكامل بكافة الموارد الطبيعية والبشرية والفنية والمالية المتاحة³.

6- التيارات الكلاسيكية في تفسير التنمية والتخلف:

¹ سوسن عثمان عبد اللطيف/ مرجع سابق، ص15، ص16

² نبيل الساملوطي، مرجع سابق، ص124

³ صلاح العيد: علم الاجتماع التطبيق وتنمية المجتمع العربي، القاهرة، مؤسسة التعاون للطبع والنشر، 1972، ص 295

6-1- الاتجاه المادي الماركسي:

وندرج هنا رأي كارل ماركس، باعتباره رائداً حول التغيير الاجتماعي: فيما كان يسميه المفهوم المادي للتاريخ ان الأصول الرئيسية الاجتماعي في نظره لا تكمن فيما يحمله الناس من أفكار وقيم، بل ان حوافز التغيير الاجتماعي تتمثل في المقام الأول في المؤثرات الاقتصادية. والصراعات الطبقيّة. ونمو المجتمعات يتم عبر تنقلها من نمط إنتاج إلى آخر طبيعياً أو عن طريق الثورات¹. يعد "كارل ماركس Marx. K" من أبرز ممثلي هذا الاتجاه، حيث اهتم بدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إنجلترا، وفي مناطق أخرى من العالم، ثم قدم نموذجاً عاماً لتطور المجتمعات الإنسانية، ولقد استطاع ماركس من خلال دراسته لفلسفة هيغل المثالية، وأفكار "فيورباخ" المادية، أن يؤسس لمنظور جديد يقوم على المنطق الديالكتيكي الجدلي. وفقاً للتصور المادي، حيث استند ماركس إلى هذا المنطق في تفسير حركة التاريخ، وفي تفسير النظم السياسية والاجتماعية والثقافية بإرجاعها إلى الظروف المادية للحياة.

ويؤكد "ماركس" أن الناس في غمرة الإنتاج الاجتماعي الذي يمارسونه يقيمون علاقات محدودة، مستقلة عن إرادتهم الفردية، ومجموعة هذه العلاقات الإنتاجية، هي ما يشكل البناء الاقتصادي في المجتمع، وهو الأساس الحقيقي الذي يقوم عليه بناء فوقي من النظم القانونية السياسية، التي تطابقها بالضرورة أشكال محدودة من الوعي الاجتماعي، فأسلوب الإنتاج إذن هو الذي يحدد الطابع العام للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة، بعبارة أخرى أن وعي الناس ليس هو الذي يحدد وجودهم، بل الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم .

وعليه؛ يفرق ماركس بين البناء التحتي والبناء الفوقي في المجتمع ف، الأول يتألف من نظام الإنتاج الذي يشتمل على عنصرين هم:

¹ أنتوني غيدنز، كارين بيردسال، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط4، 2005. ص 69

قوى الإنتاج، وعلاقات الإنتاج المترتب عليها وتتكون قوى الإنتاج بدورها من تفاعل عاملين هما: وسائل الإنتاج وهي عبارة عن ما يلزم الإنتاج من آلات ومبان بالإضافة إلى الأفراد الذين يباشرون العمل الإنتاجي، أما علاقات الإنتاج فهي عبارة عن العلاقات التي تنشأ بين المشتغلين بمختلف فروع الإنتاج بالإضافة إلى العلاقات الخاصة بملكية الأموال ووسائل الإنتاج، أما البناء الفوقي فيمثل الأفكار والنظريات السائدة في المجتمع، فضلا عن النظم المقابلة لها مثل الدول والأحزاب السياسية والمنظمات والمعتقدات الدينية والخلقية¹.

ولقد حاول بعض الدارسين المحدثين، تحليل الإسهام الماركسي في ما يمكن أن يندرج ضمن قضية التمية، حيث وجدوا أن كتاب رأس المال يعد دراسة نظرية في تحول المجتمع الإقطاعي التقليدي إلى مجتمع بورجوازي حديث، كما تعد كتابات ماركس عن المجتمع الزراعي، إسهاما في تحليل المجتمع التقليدي، وكذلك الشأن بالنسبة لمقالات ماركس عن الحكم البريطاني في الهند التي تعد بالنسبة لهؤلاء الدارسين تحليلا لعملية التمية في مجتمع تقليدي "متخلف"، بل أن البعض يذهب إلى أن البيان الشيوعي ذاته ما هو إلا نظرية في التمية، والتحديث فمعالجتها للنظام الرأسمالي الحديث من خلال النظام الإقطاعي. التقليدي يمثل نموذجا لعملية التمية، وطبقا لهذا النموذج فإن التمية تتمثل في ظهور المشروعات الرأسمالية وما أدت إليه من نتائج وأثار على كل مظاهر المجتمع والوعي الاجتماعي ولقد حاول "ماركس" في مؤلفه "رأس المال" تتبع هذه العملية منذ نشأتها المتمثلة فيما أطلق عليه "بالتراكم الأولي" لرأس المال، حيث أوضح كيف أدت هذه العملية إلى تفكك المجتمع الإقطاعي تحت ضغط سلسلة التطورات التي تمت في انفصال المنتج عن وسائل الإنتاج وإلغاء القنانة، وتحرير عمال المدينة من القيود التي كانت تفرضها عليهم الطوائف المهنية خلال العصور الوسطى وظهور النظام الرأسمالي الصناعي، ويعتقد "ماركس" أن التقدم التكنولوجي والتوسع الصناعي - التجاري قد دفع البورجوازية إلى تبني نمط من

¹ - السيد الحسيني، التمية والتخلف، مرجع سابق، ص 26-27

الإنتاج الرأسمالي وتوسيع نطاقه، نحو إنشاء سوق دولية، ومجتمع متحضر، ثم ظهور وتوسع المدن على حساب الريف، وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تركيز الثروة في يد القلة، وظهور الدولة المركزية التي ترعى شؤون هذه الفئة، وتعيد إنتاج هيمنتها على صعيد المجتمع النظم وأساليب الحياة، والثقافة والأفكار والقيم. وتأتي تحليلات ماركس للتغيرات الثورية في سياق عالمي تاريخي، حيث يرى بان الثورة الرأسمالية التي نشأت في أوروبا الغربية، سرعان ما انتشرت في أنحاء أخرى من العالم بفضل الاكتشافات الجغرافية والحملات الاستعمارية لتأخذ بذلك الطابع العالمي. وعليه؛ فالتمية الرأسمالية حسب تحليلات ماركس عملية شاملة بدأت في أوروبا، ثم انتشرت في مناطق أخرى عبر العالم، مستفيدة من انتقال المؤشرات الثقافية البورجوازية إلى البلدان المختلفة.

ويتوقف التغيير الاجتماعي حسب ماركس على الصراع الدائم بين تطور قوى الإنتاج من ناحية وعلاقات الإنتاج من ناحية أخرى، ويكون التخلف حينئذ نتيجة ملازمة للتناقضات القائمة بين هذه العناصر.

منتها إلى افتراض مؤداه أن التوزيع غير العادل للقوة والثروة على صعيد البناء الاجتماعي، يؤدي حتما إلى صراع المصالح بين المسيطرين أصحاب القوة والخاضعين المفتقرين إليها¹.

وعموما يمكن إجمال وجهة نظر ماركس في التتمية على أنها عملية ثورية، تتضمن تحولات شاملة في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية، فضلا عن أساليب الحياة والقيم الثقافية، كما أوضح بأن أي تحول شأنه شأن أي تغيير شامل في نمط الحياة الإنسانية يتضمن صراعا ما بين القوى الاجتماعية، التي يكون التغيير لصالحها، وتلك التي يكون التغيير في غير صالحها.

وعليه؛ تعالج الماركسية قضية التتمية والتخلف من خلال مفاهيم الصراع، والعوامل الاقتصادية،

¹-احمد سليمان أبو زيد، نظرية علم الاجتماع "رؤية تقديمية راديكالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006،

والمراحل التاريخية والطبقية¹.

أما ماكس فيبر فيعتقد ان الدوافع والأفكار البشرية هي التي تقف وراء التغيير الاجتماعي ومقدور الآراء والقيم والمعتقدات ان تساهم في التحولات الاجتماعية.

وهي نتاج للتفاعل بين البني الاجتماعية والأفعال، بل ان الأفكار والقيم الثقافية قد أسهمت في تشكيل المجتمع وفي توجيه أفعال الأفراد².

6-2-الاتجاه الحضري:

ويركز هذا الاتجاه على العنصر الجغرافي من أوضاع وتوفر البلد على الموارد الأولية والعناصر الإنتاجية باعتبارها عوامل أساسية في تحديد مدى تقدم وتطور المجتمع أو تخلفه، ويسقط من حساباته كل العوامل والمكونات الأخرى للمجتمع التي يكون لها دور ضمن هذه العملية.

من أشهر هذه النظريات التي انطوت تحت لواء هذا الاتجاه نجد نظرية الحتمية الحضارية التي يرى روادها أن البلدان المتخلفة تقع إما في المناطق شديدة الحرارة أو شديدة البرودة، وأن غالبيتها تقع في المناطق المدارية في إفريقيا وأمريكا اللاتينية وبالتحديد في نصف الكرة الجنوبية وتتسم هذه البلدان الموجودة في هذه المناطق بتخلف شديد، وخاصة في مجال الخدمات الاجتماعية كالتعليم والصحة والتغذية وتفشي الأمراض والأوبئة المختلفة. بينما الدول المتقدمة تقع في المناطق المعتدلة كما يرتبط الإنتاج في تلك المناطق بانخفاض الإنتاج الحيواني نتيجة عدم توفر الأعلاف الكافية فبالرغم مما قدمه هذا الاتجاه ومدى توفره على بعض المنطلقات الموضوعية في تفسيره لمشكلة التنمية والتخلف إلا أنه قد واجهته انتقادات عديدة وعنيفة باعتبار أن الاتجاهات والنماذج المفسرة للتنمية من خلال العامل الجغرافي

¹-علي غربي وإسماعيل قيرة، في سوسولوجية التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص 19

² انتوني غيدانز، مرجع سابق، ص 71

لا يمكن أن يكون وحده سببا للتخلف، ذلك أنه يمكن التغلب على جزء المشكلات بواسطة البحث العلمي¹.

6-3-الاتجاه الاجتماعي:

يرتكز هذا الاتجاه في تفسيره لعملية التنمية بالمجتمعات النامية على البناء الاجتماعي والعمليات الاجتماعية، فحيثما يوجد نظام اجتماعي تقليدي يناهض التغيير يوجد التخلف.

ويعتمد أصحاب هذا الاتجاه في تفسيرهم هذا على جملة من المؤشرات منها:

1. العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تتصف بنمط الاستهلاك المفرط. مثلا أثناء

الاحتفالات بالأعياد والأعراس وغيرها.. بما لا يحقق منفعة حقيقية بل يسهم في زيادة الأعباء

الاقتصادية.

2. العوامل الثقافية والقيمية التي لا تسمح بتوجيه الادخارات. من ذهب أو أموال. نحو الاستثمار.

عدم توفر سياسات حقيقية وعلمية تهدف إلى فرض خطط دقيقة وواضحة لاستغلال أحسن

للقوة المنتجة من حيث توزيعها على القطاعات وفق الاحتياجات اللازمة والضرورية لعملية

التنمية وبروز مظاهر الغنى والثراء غير المنتج وانتشار المشاكل الاجتماعية كالرشوة،

والمحسوبية والجهوية، وهي بطبيعة الحال ظواهر تنتشر كثيرا بالمجتمعات النامية.

3. عدم إشراك المرأة في العملية الإنتاجية بشكل عام، مما يؤدي إلى تعطيل جزء مهم من عناصر

الإنتاج للمجتمع، وبالتالي يؤثر إلى حد كبير على مستوى الدخل الوطني والقدرة الإنتاجية

والاستهلاكية بالضرورة.

4. عدم اتساق المشاريع التنموية فيما بينها مع تعارضها في بعض الأحيان مع القيم الاجتماعية

والثقافية السائدة.

5. انتشار الفقر، والأمية والأمراض والأوبئة نتيجة ضعف المنظومة الصحية، وهذا راجع إلى

¹ السعيد فكرون، مرجع سابق، ص99

الانفصام بين المنظومات المتعددة لعملية التنمية باعتبارها متكاملة ومتناسقة.

يفسر هذا الاتجاه التنمية في ضوء ارتباطها بالشخصية القومية.

7-الاتجاهات المفسرة للتنمية:

يركز هذا الاتجاه على أهمية الهيكل السكاني في المجتمع وخصائصه المختلفة كأحد العوامل المؤثرة في التنمية، فضلا عن عوامل أخرى ترتبط إلى حد كبير بالتغير الديمغرافي مثل مشكلات البطالة وخصائص السكان وتوزيعهم بحجم العمالة والمستوى الصحي والثقافي السائدة¹.

7-2-الاتجاه الاقتصادي:

ينفق بعض الدارسين في حقل التنمية بأن معالجة مشكلات المجتمعات النامية تتم من الزاوية الاقتصادية وبالتالي ربط عملية التنمية بالمنظور الاقتصادي الخالص، وقد بدأ الاهتمام بهذا المدخل بعد تقسيم الدول إلى دول فقيرة متخلفة، نامية، شبه متقدمة ودول متقدمة. ولما كانت الرفاهية الاقتصادية عاملا رئيسيا في تحديد التخلف والتقدم فإن معالجة مشكلة النمو لدى أصحاب هذا الرأي ينبعث أصلا من خلال المعالجة الموضوعية لقضايا النمو المجتمعي نفسه، حيث يذهب البعض إلى اعتبار أن طبيعة النظام الاقتصادي الذي يهدف أصلا إلى تبني الطريقة المثلى لحل مشكلة الندرة النسبية لعناصر الإنتاج هو الذي يحدد وضع المجتمع أو المنطقة ومكانها من مستويات النمو. ومن أشهر التصنيفات التي طرحت في الفكر الاجتماعي تلك التي قدمها "إيوجي ستالي 2" stally Eugen "التي أقامها حول متوسط دخول الأفراد طبقا لإحصاء 1950 وقد أخذ "ستالي" في اعتباره عاملين آخرين هما: درجة التحضر ونسبة العمالة الزراعية. وانتهى هذا التحليل بتصنيف المجتمعات إلى متقدمة، نامية ومتخلفة. وبالرغم من اهتمام المجتمعات المعاصرة بمشكلات التنمية، واتجاه المؤسسات والحكومات في تحقيق معدلات سريعة للنمو بالبلدان النامية، من خلال

¹ محمد شفيق: مرجع سابق، ص24

² نبيل السمالوطي: مرجع سابق، ص 59.

زيادة متوسط الدخل الفردي، باعتبار أن الزيادة في مستوى الدخل الفردي يؤدي بالضرورة إلى ارتفاع في الدخل القومي، وتبقى المقارنة بين الدول المتقدمة و البلدان النامية هي بمثابة معادلة عكسية، بحيث في البلدان المتقدمة نجد ارتفاع مستويات الدخل يقابله انخفاض في مستوى النمو السكاني، بينما في الدول النامية فإن أي زيادة في الدخل الفردي يقابله ارتفاع في معدل النمو الديمغرافي .السكان. وهنا نجد أن معدلات الزيادة السكانية تمثل تحديا كبيرا أمام عملية نمو المجتمعات النامية الذي لا يساعد بالضرورة في خلق فرص لتحسين الدخل الفردي¹.

7-3-الاتجاهات الحديثة في دراسة التنمية والتخلف:

نظرية التحديث والاتجاهات المرتبطة بها : يعتبر مفهوم التحديث – كما مر معنا – من المفاهيم المرتبطة بمفهوم التنمية، ويشير إلى ظواهر هامة مثل القدرة العالية على استغلال كافة الموارد البشرية والطبيعية في تحقيق مزيد من التكامل والتماسك الاجتماعي، وتطوير أساليب أكثر كفاءة في مجالات السياسة والضبط الاجتماعي، والنهوض المستمر بمستوى الإنتاج والثروة، والاعتماد على العلم الحديث القائم على الملاحظة الواقعية والتجريب، وظهور تقنية أو أسلوب فني يركز على تطوير النظرية للاستخدامات العملية، وتدعيم مقومات التنظيم والقدرة الرشيدة².

انطلاقا من هذا التصور، يعتقد "ولبرت مور Moore. W " أن مفهوم التحديث يشير إلى ذلك التحول للمجتمع التقليدي والانتقال إلى أنماط التكنولوجيا و التنظيم الاجتماعي الذي بلغته الاقتصاديات المتطورة، وقد استند هذا التصور إلى فكرة مؤداها أنه يمكن وصف المظاهر العامة لكل من المجتمعات التقليدية والمتقدمة، الأمر الذي جعل أنصاره ينضرون إلى التنمية على أنها الانتقال من نمط إلى آخر³.

وقد انطلقت نظرية التحديث من تصور يقوم على التفرقة بين مجتمعين مختلفين تماما، أولهما: متقدم

¹ السعيد فكرون، المرجع السابق، ص103

² محمد علي محمد، القيم الثقافية والتنمية، مرجع سابق، ص 140

³ علي غربي وإسماعيل فيرة، مرجع سابق، ص 4

حديث وهو العالم الغربي، وثانيهما متخلف تقليدي وهو العالم النامي حيث يتوجب على الثاني وفقا لتصور هذه النظرية.

السير على نفس المسار الذي سلكه العالم الغربي، إذا أراد أن يبلغ نفس الدرجة من التقدم والتطور، وعليه أن يتشبع أيضا بقيمه، ويتشرب ثقافته الحديثة.

وتمتد جذور هذه النظرية التي تم تطويرها، إلى إسهامات الرواد الأوائل لعلم الاجتماع وخاصة "إميل دوركايم" وماكس فيبر، حيث ساهمت أفكارهما في إرساء الكثير من القضايا والمقولات التي استندت إليها النظرية وهي¹:

1. رفض مراحل تطور المجتمع الإنساني التي تقول بها الماركسية، واختزال هذه المراحل في مرحلتين رئيسيتين هما: مرحلة التخلف. المرحلة التقليدية، ومرحلة الحداثة التقدم.

2. رفض المحركات الماركسية في تحديد عوامل التغير التاريخي ومنها عامل الصراع الطبقي، والتأكيد على قوى التحديث الغربية، التي تحدث تغييرا في مؤسسات المجتمع التقليدي بفعل تبني النموذج الغربي، وتدعيم النخب المحلية التي تهيئ الظروف للانطلاق نحو التحديث.

3. رفض تفسير التخلف في البلدان النامية بالعامل الاستعماري وتأكيد دور المؤسسات التقليدية التي تركز قيم القدرية والغيبية، في مقابل تبني القيم العقلانية المتضمنة في النموذج الغربي.

4. إن عملية التغير الاجتماعي التي عرفتها أوروبا بفعل عامل التحضر والتصنيع وتحديث الشخصية، هي نفسها العملية التي تعرفها البلدان النامية التي تمر بمرحلة انتقالية. هي مزيج من التقليدي والحديث. ، لتنتقل تدريجيا . تمر عبر مراحل. إلى وضع حضاري يشبه الوضع الحضاري الذي عرفته البلدان الغربية الرأسمالية.

¹ - مجد الدين خمش، الدولة والتنمية في إطار العولمة، دار المجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ت)، ص. - 29

5. التأكيد على النمو الاقتصادي الصرف كأداة أساسية لتحقيق التنمية في البلدان النامية، واعتماد آلية اقتصاد السوق لتنشيط السوق الاقتصادية، ورفض التدخل الحكومي.

6. التأكيد على خاصية الدافعية والإنجاز لدى الأفراد، من أجل تحقيق التقدم الاقتصادي المنشود وتشتمل نظرية التحديث على ست اتجاهات أساسية وهي :

أ. اتجاه النماذج والمؤشرات:

يعد هذا الاتجاه من أكثر الاتجاهات النظرية شيوعاً في دراسة الدول النامية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه "سيمور ليبست Lipset. S" بي"و، د هوسيلت "ز Hoselitz. P" و، جالتونج Galtung"، "وتالكوت بارسونز Parsons. T" و، ماريون ليفي Levy. "ويعد من أكثر الاتجاهات النظرية شيوعاً في دراسة الدول النامية.

ويتخذ هذا الاتجاه شكلين أساسيين: الأولي كمي والثاني كيفي: وتتمثل الإجراءات المنهجية التي يتبعها هذا الاتجاه أنه يميل بصفة عامة إلى اختزال تنمية الدول النامية والتعبير عنها في صورة مؤشرات كمية ذات أنواع مختلفة حصرها في التنمية في المنظور السوسولوجي متوسط الدخل الفردي، وشبكة السكان الذين يعملون في الزراعة، ودرجة التعليم، وشبكة السكان الحضريين، وعدد الأطباء والمستوصفات وعدد أجهزة الراديو، وعدد الصحف اليومية، وعدد السيارات. والملاحظ أن أصحاب هذا الاتجاه يميلون إلى الاستعانة بهذه المؤشرات الإحصائية، لكي يبرهنوا على صحة مفاهيم معينة مشتقة من واقع البلدان الغربية، وهناك مجال كبير للشك في صدق هذه المؤشرات الحسابية، حيث أن هناك بعض الدول المصنفة ضمن الدول النامية ولكنها تعرف شبكة تعليم أعلى مثل الفلبينيين، ومتوسط دخل أعلى مثل الكويت.

مما يعني أن أنصار هذا الاتجاه سعوا إلى الوصول إلى متوسطات حسابية لا اجتماعية¹، لأن بعض الدول النامية تبدو غير متسقة مع المعايير التي وصفها هؤلاء العلماء في تحديد المراحل المختلفة التي

¹ - السيد محمد الحسيني، التنمية والتخلف، مرجع سابق، ص 53.

مرت بها المجتمعات الأوروبية، مما يؤكد الرأي القائل بأن هذه الإسهامات محدودة للغاية، فضلا عن استنادها إلى افتراضات تطويرية في طابعها، وافتقارها إلى التحليل الواقعي الذي ينهض على أساس النظرة التاريخية البنائية للدول النامية، والفهم التاريخي المقارن، إذ إن اعتمد معيار الدخل الفردي، لا يعكس لنا مستوى الاستهلاك أو التفاوت فيه، كما أن ارتفاع الدخل القومي لا يعني مستوى معيشي مرتفع للسكان.

وفي سياق تحليل اتجاه النماذج يمكن الإشارة إلى إسهامات "تالكوت بارسونز" Parsons. T و "بيد هوسيلتر"، وهو ما يعرف باسم اتجاه متغيرات النمط.

فقد عرض "بارسونز" نموذجا عرف بـ: متغيرات النمط حاول من خلاله تفسير التتمية على أنها عملية الانتقال من نمط معين إلى نمط آخر يقابله، وبمعنى آخر هي اكتساب أو فقدان خصائص معينة يعتقد أنها خصائص التتمية أو التخلف.

وبناءً على هذا التصور لمتغيرات النمط، أولى "بارسونز" مسألة القيم أهمية خاصة، حيث يعتبرها من المكونات الرئيسية لأي نسق من أنساق الفعل الاجتماعي بمعنى أنها تمتلك القدرة على التعميم التحليلي، فضلا عن كونها متغيرات يمكن أن تطبق على سلوك الفرد، أو سلوك الجماعة، وتفيد في تحليل الجماعات الصغيرة أو المجتمع الكبير ككل، ووصف أفعال الفاعلين الأفراد أو النظم الاجتماعية¹، وقد حدد "بارسونز" متغيرات النمط الخمسة واعتبارها إطارا تصوريا يسترشد به الباحث في تحديد إمكانات التغير والصراع بين القيم والمعايير التي ينبغي على المجتمع أن يتغلب عليها حتى يصون توازنه وأن يتحقق فيه التكامل والاستقرار، حيث يرى "بارسونز" أن النسق الأساسي للقيم المميزة للمجتمع الصناعي المتقدم تعبر عنه الأبعاد الواردة في متغيرات النمط، "ب" وأن النسق الأساسي للقيم التي تميز مجتمعا متخلفا تعبر عنه الأبعاد الواردة في متغير النمط "أ"، حيث تشير متغيرات النمط "أ" للقيم والمعايير التعبيرية المتعلقة بالإشباع العاطفي والوحداني، بينما تشير متغيرات النمط "ب" إلى الخصائص المميزة للقيم والمعايير

¹ جي روشيه علم الاجتماع الأمريكي، دراسة لأعمال "تالكوت بارسونز"، ترجمة أحمد زايد وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص77-78.

الوسيلية، التي تركز على تحقيق الأهداف وإنجاز المهام والأعمال¹.

ب. الاتجاه الانتشاري (الانتشار الثقافي)

يقوم هذا الاتجاه على قضية أساسية مؤداها أن التتمية يمكن تحقيقها من خلال انتقال العناصر المادية والثقافية السائدة في الدول المتقدمة إلى الدول النامية، حيث يتعين على هذه الأخيرة أن تشهد عملية "تتقيف" إذا ما أرادت تحقيق التتمية، الذي يتم حسب أصحاب هذا الاتجاه من خلال انتقال العناصر المادية والثقافية السائدة في الدول المتقدمة إليها، من خلال تأثير التكنولوجيا والسلع الاستهلاكية والأفكار والقيم الغربية، على افتراض أنها تشكل نسقا اجتماعيا معينا، وأن انتقالها سيؤدي إلى تغيير الثقافة والبناء الاجتماعي في مجتمعات البلدان النامية، والتتمية وفق هذا الاتجاه تتمثل في نقل رؤوس الأموال والتكنولوجيا والنظم والقيم من دول العالم المتقدم إلى الدول النامية. لأن ذلك سوف يؤدي إلى تغيير الثقافة والبناء الاجتماعي لهذه المجتمعات، بحيث تشبه في نهاية الأمر النموذج الغربي من المجتمعات.

ومن أهم منظري هذا الاتجاه، الذي تبلورت أفكاره أكثر بعد الحرب العالمية الثانية "، ولبرت مور " Moore. W" و دانييل ليرنر " Lerner. D" و كارل دويتش " Dwitch. K" و فيلدمان " Feildman" ولعل من أوجه النقد التي يمكن توجيهها لهذا الاتجاه إخفاقه في تحليل القضايا المرتبطة بالتخلف والتتمية حيث عمدوا إلى حجب الدلالات السياسية والإيديولوجية للمساعدات الاقتصادية، وإغفالهم لطبيعة البناء الاجتماعي الذي فرضه الاستعمار على الدول المتخلفة، كما تجاهلوا حقيقة وهي : أنه إذا كانت الرأسمالية قد نجحت في تطوير المجتمعات الأوروبية فإن ذلك لا يعني أن النموذج نفسه يمكن تكراره وإتباعه في حالة الدول المتخلفة الآن، والانتشار المزعوم ليس عملية اقتصادية سياسية حيادية، وإما ينطوي على علاقة سيطرة واستغلال من ناحية، وحجب النوايا السياسية والإيديولوجية من ناحية للمساعدات الاقتصادية من

¹ بلقاسم نوبصر، اثر التغيير على نسق القيمي، مرجع سابق، ص 92.

ناحية أخرى¹.

إذ تشير الشواهد إلى أنه في إطار العولمة التي يعرفها العالم اليوم، زالت الحواجز الثقافية، إلا أن التكنولوجيا المتطورة تبقى دائما من نصيب القوى المتقدمة و، لا يمكن للدول النامية أن تحصل عليها. كما أن الشواهد التاريخية تشير إلى أن معالجات الاتجاه الانتشاري لقضية تنمية الدول المتخلفة تنطوي على تضليل بالغ، إذ أنهم اغفلوا تاريخ الدول المتخلفة و المتقدمة على حد سواء، حيث لم يشيروا إلى دور الاستعمار في كبح تطور الدول المتخلفة كما تتضمن إسهامات رواد هذا الاتجاه الإشارة إلى الإنتاج السلعي المستند إلى نظام الصنع في القضاء على الصناعات الحرفية² وفي ضوء تحديد أصحاب هذا الاتجاه لعملية التمية على أنها مجرد اكتساب خصائص الغرب، يتضح أنهم بالغوا في التأكيد على ثنائية "التقليد - التحديث" التي لا تستند إلى صدق انطولوجي، هذا فضلا عن عدم تقديرهم للسياق التاريخي للتغير البنائي والثقافي الذي عرفته الدول النامية خلال تاريخها الطويل³.

وعليه نجد اصحاب هذا الاتجاه يحاولون تحديد جملة العناصر المادية والثقافية التي يمكن نقلها من الدول المتقدمة الى الدول النامية بهدف تنمية هذه الاخيرة فهو يقوم أساسا على ثنائية ويقسم العالم الى قسمين:

أ- عالم متقدم وهو العالم الصناعي الرأسمالي.

ب- وعالم متخلف وهو العالم النامي، والذي هو مرتبط بالأول بسبب حتمية التحديث والتطور المطالب به. وأن عملية الانتشار تبدأ بالعناصر الثقافية التي تنتقل من المجتمعات المتقدمة نحو المجتمعات النامية، والتي تبدأ عملية انتشارها في عواصمها الإقليمية ثم تنتقل الى كافة المناطق الأخرى، ويتم ذلك من خلال المنظمات الجماهيرية الشعبية والتعليم والسياحة... الخ. وهذا ما عايشته بعض الدول النامية منها الجزائر

¹ علي غربي وإسماعيل قبيرة، مرجع سابق، ص 16

² السيد الحسيني وآخرون، دراسات في التمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 81

³ نفس المرجع، ص 93.

أثناء فترة السبعينيات عندما انتهجت سياسة التحويل التكنولوجي من الدول الصناعية¹.

فقد واجهت هذه العملية انتقادات عديدة ذلك أن التكنولوجيا المستوردة لم تكن في درجة عالية من التقدم والتطور، بحيث بقيت الدول الصناعية تستحوذ على التكنولوجيا ذات النمط الاستهلاكي العالي، وهنا طرحت فكرة أخرى على الدول النامية وهو استيراد المعرفة التكنولوجية وليست التكنولوجيا في حد ذاتها. وقد لوحظ أن الدول الاستعمارية خلال مراحل تطورها قد نقلت شكلا معيناً من التكنولوجيا إلى مستعمراتها يتلاءم وأهدافها الاستعمارية، إضافة إلى ذلك فإن المجتمعات النامية تعيش هوة تكنولوجيا كبيرة وحتى بين المجتمعات الصناعية المتقدمة نفسها، مثلاً بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وأن هذه الأخيرة تحاول جاهدة سد هذه الهوة، فكيف يمكن للدول النامية سدها، وهي خاضعة تماماً لنظام احتكاري عالمي،² وما يؤخذ على هذا الاتجاه أنه جرد الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من أبعاده وحقائقه المرتبطة أصلاً بالبناء الكلي للمجتمعات النامية.

كذلك اهتم هذا الاتجاه أكثر بالجوانب المادية باعتباره العنصر الأساسي في أحداث أي تغيير شامل، وهذا غير ممكن باعتبار أن هناك عناصر مستمدة من الواقع المعاش، والتي لها دور مهم في فهم الواقع المركب للمجتمعات النامية وبالتالي في فرض تصور نظري شامل، إضافة إلى ذلك السياق التاريخي لعملية التغيير المنشودة، باعتبار أن الخصوصية أمراً لازماً تفرضه الأوضاع الواقعية لهذه المجتمعات.³

ت. الاتجاه السلوكي:

يعني أصحاب هذا الاتجاه بدراسة التنمية الاقتصادية والتغيير الثقافي في ضوء الخصائص السيكولوجية

¹ دالت روستو: مراحل النمو الاقتصادي، ترجمة برهان دجاني، بيروت، منشورات المكتبة، 1960 ص 40

² محمد شفيق: مرجع سابق، ص 40، 4

³ السعيد فكرون، مرجع سابق، ص 111

للأفراد، حيث أكدوا على أن درجة الدافعية الفردية أو الحاجة إلى الإنجاز هي الزعامة الأساسية للتمية الاقتصادية، حيث نجد أحد رواد هذا الاتجاه وهو "دافيد ماكلياند D. Mclelland." يعلل بوضوح أن القيم والدوافع، أو القوى السيكولوجية هي التي تحدد معدل التمية الاقتصادية والاجتماعية مؤكدا على دور الأفكار في تشكيل التاريخ، على عكس الجوانب المادية التي لا تلعب -حسبه مثل هذا الدور¹.

علم النفس هو أحد فروع العلوم الاجتماعية، يبحث في مجال دراسة سلوك الإنسان، ودوافع الفرد الداخلية وانفعالاته وميوله الفردية، وتفكيره وإحساسه وإدراكه وذكائه.

أي دراسة للعقل والشخصية الفردية. فمثلا يبين علم النفس أن الحرمان Frustration يتسبب عنه أما الكبت الذي يؤدي إلى عقدة نفسية أو أمراض عصبية أو عقلية، وأما أن يتصف الفرد بصفة العدوان aggression التي تظهر في مناقشاته مع الغير، وقد يكون التعويض replacement نتيجة للحرمان، وهنا يقنع الفرد المحروم ويستبدل بما حرم منه شيئا آخر.

وعلي ذلك يختلف علم النفس عن علم الأنثروبولوجيا ، فعلم النفس يقصر دراسته على الفرد بينما تركز الأنثروبولوجيا اهتمامها على المجموعة، وعلي كل فرد كعضو في تلك المجموعة ذلك هناك صلة وثيقة بين علم النفس والأنثروبولوجيا. فقد صدرت بعض الدراسات المتعلقة بعلم النفس الاجتماعي.

اكتشف علماء النفس أن الإنسان لا يعيش الا في وسط بيئة اجتماعية يؤثر ويتأثر بها، واهتم الكثير منهم بموضوع تفاعل الفرد مع بيئته، أو التفاعل بين شخصين أو أكثر. وكذلك دراسة العلاقات بين الجماعات، وتنصب الدراسة في علم النفس الاجتماعي على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمع والذوق العام والقيادة والزعامة وتأثيرها على المجتمعات، وكذلك دراسة الاتجاهات، "كذلك صدرت بعض الدراسات المتعلقة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية Psychological Anthropology تلك التي تدرس المظاهر السيكولوجية العامة لبني البشر حين يعيشون في " مصنع أو في

¹ - لسيد الحسيني وآخرون، دراسات في التمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 81 .

طبقة" أو في جماعة".

حيث أن الطبيعة الإنسانية هي من صميم علم النفس العام، كما أنها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية الإنسانية فقد يستخدم الباحث اثناء دراسته بعض الاختبارات السيكولوجية كأداة معملية. وذلك كان يجري اختبار ذكاء على الأفراد البدائيين ونفسياتهم لمعرفة علاقة الذكاء بالوراثة، أو الاكتساب وعلاقة الأمراض النفسية بظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية، مثل بحوث الدكتور مصطفى فهمي عن طبيعة الذكاء عند الأطفال.

والملاحظ أن أصحاب هذا الاتجاه حينما يؤكدون على دور الأفكار في مجال التتمية الاقتصادية والتغير الثقافي، فإنهم ينطلقون من نفس منطلقات "ماكس فيبر" في مؤلفه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، وكتاب "جوزيف شومبيتر" الموسوم بنظرية التتمية الاقتصادية¹.

ولقد عرف "ماكلياند" الحاجة إلى الإنجاز Achievement بأنها الدافع على صنع الأشياء بطريقة أفضل وأكفأ. وأن هذا الدفع يمثل خاصية عقلية فالأمم التي لديها درجة أعلى على مقياس الحاجة إلى الانجاز، تتطور وتتمو بشكل أسرع.

ومن هذا المنطلق فقد أعطى "ماكلياند" وزنا كبيرا للجانب السيكولوجي، وبالتالي محاولة الربط بين الدوافع النفسية — الحاجة إلى الانجاز بالذات —.

والتتمية، فهو يرى أن عملية التتمية في مجتمع تعتمد كثيرا على توفر مجموعة من الأفراد الميدانيين ذوي تركيب نفسي خاص، يدفع بكل منهم إلى الاجتهاد والابتكار والمخاطرة في سبيل الكسب المادي وتحسين المركز الاجتماعي² غير أن ماكلياند أوضح بعد ذلك أن الحاجة إلى الانجاز ليست كافية بذاتها، وأن العامل الأساسي الآخر هو الاهتمام بالآخرين، مقترحا إستراتيجية للتتمية تقوم على حشد مصادر

¹ - لسيد الحسيني وآخرون، دراسات في التتمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 163

² - خروف حميد، مرجع سابق، ص 63

الإنتاج العالي السائدة في المجتمعات المتقدمة، لكي تعمل هذه المصادر جنباً إلى جنب المصادر النادرة للحاجة إلى الإنتاج السائدة في الدول المتخلفة التي وصفها بالكسل، متجاهلاً علاقات القوة التي تشكلت عبر التاريخ بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، وحينما تبدأ التمية يكون لدى الناس حاجة متزايدة إلى الإنتاج، فالذين لديهم دافع قوي للإنتاج، لا بد وأن يحققوا إنجازاً في المواقف التي تكون فيها مخاطر الفشل معقولة، وهي المخاطر التي يمكن الحد منها بزيادة الجهد والمهارة¹.

أما "أفرت هيجن Hagen Evert" وهو من أنصار هذا الاتجاه فقد ذهب إلى أن الشخصية النمطية التي توجد في المجتمعات التقليدية هي شخصية غير خلاقية وملتزمة، ويعرف المجتمعات التقليدية بأنها أنظمة سياسية واجتماعية تسلطية، في حين تستدعي التمية بروز الفرد الخلاق الذي يتميز بطاقة للإنتاج والاستقلالية والانضباط، مما يعني بأن تحول المجتمع - حسب هيجن - من الطابع التقليدي إلى الطابع الحديث يستلزم إحداث تغيرات جوهرية في نمط الشخصية التقليدية، وتحولاتها إلى شخصية ديمقراطية خلاقية².

بينما يشير "ولبرت مور Moore. W" إلى أن التمية تستلزم توافر مجموعة من المقومات الأساسية، ومنها وجود إطار قيمي يسمح للفرد بالحركة، ونظام توظيف قائم على الكفاءة المهنية والقدرة على الانجاز، ويخضع لمبدأ التغير، لأن ذلك يعتبر شرطاً أساسياً من شروط إنجاز التمية.

وقد تناول "دانييل ليرنر Lerner. D" مسألة تنمية الدول المتخلفة في ضوء خصائص سلوكية وسيكولوجية معينة، من خلال متغيرات أساسية للتنمية مثل: التحضر، والتعليم، والمشاركة في وسائل الاتصال، والمشاركة السياسية، ولقد ذهب ليرنر إلى أن المجتمع الحديث هو المجتمع الذي يحقق درجة عالية على سلم هذه الخصائص أما المجتمع التقليدي فهو ذلك الذي لا يحقق سوى درجة ضعيفة على هذا السلم.

¹- السيد الحسيني، التمية والتخلف، ص 104

²- مرجع نفسه، ص 100

والواقع أن وجهة نظر ليرنر تعاني من غموض سيكولوجي، فضلا عن النفاص التي يعاني منها هذا الاتجاه ومنها افتقاده للمنظور التاريخي والثقافي و، الاعتماد على افتراضات تطويرية مثل اشتراط وجود حكومات ديمقراطية على النمط الغربي كمطلب ضروري من متطلبات التنمية في الدول النامية¹.

ث. اتجاه المكانة الدولية:

حاول هذا الاتجاه دراسة ظاهرة تخلف الدول النامية في ضوء فكرة النظام، أو البناء الدولي، حيث أشارت كثير من الكتابات المتعلقة بالدول المتخلفة إلى أن هناك نظاما أو بناءً دوليا، يمكن لدول العالم أن تتدرج فيه وفقا لمبدأ التكامل والاتساق في هذا البناء، وضرورة سعي الدول النامية لاكتساب رموز المكانة الضرورية التي تقربها من مكانة الدول الصناعية المتقدمة².

ويعد تالكوت "بارسونز" أحد الذين أسهموا في بلورة هذا الاتجاه، حيث ذهب إلى الاستقطاب يعد الخاصية الأساسية التي توسم المجتمع الدولي المعاصر، ويحدث الاستقطاب حسبه بين ما يطلق عليه بالعلم الحر "والكتلة الشيوعية"، حيث أن الصراع الإيديولوجي يفترض وجود إطار مرجعي مشترك، تتخذ في ضوءه الاختلافات الإيديولوجية معنى ودلالة.

كما أن "بارسونز" يميل إلى النظر إلى المجتمع الدولي في ضوء مظاهره السياسية المعمارية وعلى الأخص تلك التي تدعم عملية التكامل³.

يذهب "هورفيتز Horwitz" إلى أنه حينما يميز داخل المجتمع الإنساني بين عوالم ثلاث هي:

العالم الأمريكي، والأوروبي، والعالم الشيوعي، والعالم المتخلف أو العالم الثالث حيث تصور هورفيتز دول العالم الثالث بوصفها وحدات صغيرة مستقلة بذاتها، وتشكل عاملا مقفلا، كما نظر إليها بوصفها وحدات

¹ بلقاسم نوبصر، التنمية و التغيير في النسق القيمي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة 2010، ص 101

² الحسيني وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 112

³ مرجع نفسه، ص 112-113

محدودة ذات ملامح وخصائص محددة، وتميل إلى النظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أو الإتحاد السوفييتي على أنها نماذج عامة يمكن احتداؤها ، ومن ضمن المحاولات النظرية الهامة التي تناولت المجتمع الدولي تلك التي قدمها كل من "نيتل وروبرتسون" "Robertson" "Nettle" " اللذان صاغا نموذجا أطلقا عليه نموذج الإجماع، الذي يقوم حسبهما على توريث مجتمعات الدول المتخلفة من الدول المتقدمة، التي تمثل - حسبهما - الجماعة المرجعية .

وقد عرف "نيتل" و " روبرتسون " التنمية بأنها قدرة المجتمع على الاستجابة بإيجابية للتغيرات في مجال بيئته المادية والاجتماعية - الثقافية¹.

والواقع أن بعض العناصر التي يتضمنها هذا الاتجاه لا تؤكد الشواهد التاريخية، كونها أغفلت البناءات الاقتصادية والاجتماعية المميزة لدول العالم النامي، ذلك لأن مفاهيم مثل " الحياد الاجتماعي ، "لم تعد تتمتع بصدق امبريقي واضح، كما أن تحليلات "بارسونز" ضمن هذا الاتجاه، لا يؤديها الواقع، فمثلا كيف يمكن تصنيف الصين ضمن هذا الإطار، وأخيرا يمكن القول بأن تحليلات "نيتل" و روبرتسون " ضمن هذا الاتجاه، لا تغدو كونها مجرد تأكيد لجوانب معينة من نظرية الدور حينما⁴ تطبق على المجتمع الدولي داخل إطار الاتجاه الوظيفي "البارسونزي" .

وأخيرا ومن خلال عرض تفصيلي لنظرية التحديث والاتجاهات المرتبطة بها، يمكن إجمال أهم الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية فيما يلي² :

إن العوائق التي تمنع تقدم البلدان النامية، ليست متأصلة في مجتمعات هذه البلدان كما يدعي أصحاب نظرية التحديث، بل هي في الحقيقة من صنع البلدان المتقدمة، فالأنظمة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات التقليدية هي في الأصل نتيجة لسيطرة وهمية للبلدان المتقدمة، التي تقع عليها مسؤولية فشل سياسات

¹ الحسيني وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 115-116

² بلقاسم نوبصر، مرجع سابق، ص101

وبرامج التنمية التي طبقتها البلدان النامية، هذا بالإضافة إلى الأثر السلبي الذي خلفه العامل الاستعماري على الاقتصاد والمجتمع المحلي، كما أن وجهة النظر هذه تتجاهل حقيقة أساسية مؤداها أن الرأسمالية الحديثة.

وإن نجحت في بناء وتطوير المجتمعات الغربية إلا أن هذا النجاح لا يكسبها صفة شرعية فرض هذا النموذج، أو تكراره، أو إتباعه من قبل الدول النامية الآن، وقد انتقد "بول باران Baran. P" الإغفال المتعمد للواقع التاريخي، والتنوع والخصوصية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلدان النامية من قبل الدول الرأسمالية¹.

يرى "أندري قاندر فرانك Frank. G. A" أن اتجاهات نظرية التحديث تعاني جميعها من ضعف ظاهر، يتمثل في افتقارها للكفاءة النظرية والصدق الامبريقي والقدرة على توجيه سياسة فعالة تلائم تحقيق تنمية اقتصادية وتغيير ثقافي، إذ أن إسهامات رواد نظرية التحديث تركز على تناول مجموعة من الخصائص تمثل جانبا مما يطلق عليه النظام الاقتصادي الاجتماعي العالمي، ثم لا يلبث رواد هذه الاتجاهات أن يطبقوها على مجموعة الدول المتقدمة، وحينما ينتهون من هذه المهمة يشرعون في مهمة أخرى هي إقامة نظرية تتناول الدول المتخلفة، ويضيف فرانك بأن هذه الأعمال لا تستطيع أنه تسهم في تحقيق التنمية بقدر ما تسهم في تدعيم التخلف .

ويرى "سعد الدين إبراهيم"، أن أهم أوجه القصور في هذه النظريات أنها لا تفسر تخلف العالم الثالث كنتيجة حتمية للنظام الامبريالي الحديث، الذي ساد العالم ومازال بأشكال متفاوتة ودرجات مختلفة، وفي سياق رفض "سعد الدين إبراهيم" لوجهة النظر الغربية نجده يرفض وصف "ميردال" لمجتمعات الدول النامية التي لا تعرف حسبه مشكلات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية إنما هناك مشكلات معقدة يحتوي كل منها على جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية، رافضا في ذات الوقت الفروض التحتية لنظرية التحديث التي تزعم أن الدول

¹ مريم أحمد مصطفى وإحسان حفطي، قضايا التنظيم للتنمية في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 128 . ص، 1985

المتخلفة ستحقق التقدم بمجرد انتهائها من إزاحة المعوقات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية الموروثة من أبنية المجتمع التقليدي .

يظهر بشكل جلي من خلال تحليل نظرية التحديث دور العامل الإيديولوجي الأيديولوجية الرأسمالية في تحليلات أصحاب نظرية التحديث، فأغلبها عبارة عن أحكام قيمية تعيد تركيب التاريخ على نحو يضع الحضارة الغربية غاية وحيدة للتقدم المنشود، فدخل الشعوب غير الغربية التاريخ — على حد زعمها —

لا يتم إلا بفضل اتصالها بالغرب ومحركاته في قيمه الثقافية عبر نشر التقدم الاقتصادي والاجتماعي انطلاقاً من المجتمعات المتقدمة، ولا أدل على ذلك مما ذهب إليه "روستو Rostow 2" الذي لا يعترف بالتاريخ إلا إذا كان إعادة للتاريخ الغربي وتكراره¹.

8- الماركسية المحدثّة وواقع التمية للمجتمعات النامية:

حاول روادها تطوير أفكار ماركس في ضوء المتغيرات الدولية التي شهدتها القرن العشرين وبتناول هذا الاتجاه الظاهرة من منظور مختلف تماماً. فهو يتناول دول العالم الثالث في ضوء النظام الدولي الشامل مدعماً ذلك بتحليل تاريخي بنائي شامل للعلاقات المعقدة. التاريخية المعاصرة. بين الغرب ودول العالم الثالث، تلك العلاقات التي أسهمت — إلى حد كبير — في تشكيل النظام الدولي المعاصر الذي يقوم على وجود أمم متفاوتة التقدم والتخلف، ونقطة الانطلاق الأساسية في دراسات الماركسيين المحدثين هي ضرورة الدراسة في ضوء إطار نظري عالمي، وهو إطار يقوم على وجود اقتصاد دولي متحد موضوعياً وذي طابع جماعي، والواقع أن النظرية الماركسية قد ظلت على الدوام عالمية في طابعها، ولكن فقط إلى المدى الذي تتصور فيه الطبقة العاملة الصناعية هي الطبقة الأساسية التي يؤدي تحريرها إلى تحرير

¹ عبد العالي دبلّة، الدولة رؤية سوسيولوجية، دار الفجر، القاهرة، ط1، 2004، ص 111

الإنسان بوصفه نوعاً، ومع ذلك نجد عدداً من الماركسيين يذهبون إلى أن الطبقة العاملة في المجتمعات الغربية الصناعية لم تعد طبقة خاضعة أو مستغلة داخل النظام الرأسمالي لأنها تحصل على كثير من المزايا التي تحققها الإمبريالية، وأن هذه الطبقات قد تم إفسادها عن طريق طبع الصراع الطبقي بطابع نظامي وتكاملها أي الطبقة العاملة مع النظام الرأسمالي من خلال نقابات عمال تتصف أساساً بطابع بيروقراطي، كذلك يذهب الماركسيون المحدثون إلى أن التناقض الأساسي القائم عليه و ذلك الذي ينشأ بين الإمبريالية من ناحية وشعوب العالم الثالث من ناحية أخرى في إطار التفاعل و الامتزاج.

لقد جاءت النظرية الماركسية المحدثه كتغيير للواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات النامية وللظروف التاريخية التي مرت بها، وتمثل هذه الآراء في محتوياتها تحديثاً لآراء الماركسيين التقليديين وهو بمثابة استجابة لكل من الأسلوب الذي استخدمه "هاو وماو" "MAO et HO"، وأيضاً للفشل المتكرر للبعض الآخر ومنهم "روستو" "Rousteau" كما ذكر سابقاً. ويتناول هذا الاتجاه دول العالم الثالث في ضوء النظام الدولي الشامل مدعماً ذلك بتحليل تاريخي لبناء شامل للعلاقات المعقدة التاريخية المعاصرة بين الغرب وبين دول العالم الثالث، تلك العلاقات التي أسهمت الى حد كبير في تشكيل النظام الدولي المعاصر الذي يقوم على وجود أمم متفاوتة التقدم والتخلف.

يشمل التصور الماركسي المحدث للتخلف نمط الإنتاج بما يتضمنه من قوى وعلاقات إنتاج متخلفة، كما يشمل التكوين الاجتماعي بما يتضمنه من علاقات اجتماعية، ووعي اجتماعي متخلف، أي أن ظاهرة التخلف تتكون من عنصرين أساسيين هما العنصر الاقتصادي والعنصر الاجتماعي. وينطلق الفكر الماركسي المحدث من أنه يعتبر بأن العالم وحدة متكاملة فضلاً عن الخصوصية الثقافية والتاريخية للبناء الاجتماعي، وأن التنمية تكون ضمن أطر ذاتية، ذلك 1 أن كل تحول يجب أن يكون ذاتياً بالدرجة الأولى.

لقد أسهمت مجموعة من الظروف العالمية في ظهور هذا الاتجاه وخاصة بعدما برزت فكرة تقسيم العالم إلى دول صناعية، ودول منتجة للمواد الأولية، وسوقاً لبضائع الدول الصناعية.

يرى "بول باران" أن الأسلوب التدريجي كوسيلة للتنمية في المجتمعات النامية أمر غير مقبول، حيث أكد على أن التنمية ثورية وليست تطويرية، وأن السبيل إلى التنمية وتحقيق التقدم يكمن في اتباع أسلوب التخطيط الاشتراكي، وانتقد أيضا النظريات الرأسمالية والمحافظة، وخاصة بعد اغفالها المتعمد للواقع التاريخي والاختلاف الثقافي للبلدان النامية، ومن هنا فإن فرض أي نموذج تنموي على المجتمعات النامية لن يؤدي إلا إلى تشويه الواقع، فضلا عن صعوبة تغييره وتراكم تخلفه. ويتفق الكثير من الدارسين في حقل علم الاجتماع أن النظرية الماركسية عالجت قضية التنمية في المجتمعات النامية من خلال جملة من المفاهيم الأساسية التي تشكل محور الدراسات السوسيولوجية الماركسية، الصراع كقوة دافعة للتقدم، والعوامل الاقتصادية كمحددة لوضع المجتمع التاريخي وبنائه الاجتماعي، والمراحل التاريخية كمراحل حتمية بفعل التطور الجلي للمجتمع، والعلاقة بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، والنظام الإنتاجي، والطبقة كوسيلة لإحداث التغيير والتنمية ، وفي هذا الصدد يقول "محمود عودة" في كتابه "الفلاحون والدولة" ان عملية التنمية التحديث مرتبطة بثلاثة أبعاد هي:

أولاً: الاتجاه الذي يفهم عملية التحديث بوصفها عملية تباين وتفاضل مستمر في البناء.

ثانياً: الاتجاه الذي يرى أن التحديث يعني التغيير أو التحول الشامل لأنساق القيم التقليدية للمجتمع.

ثالثاً: الاتجاه الثالث والذي يفهم عملية التحديث بوصفها عملية تكامل بين العناصر التقليدية والعناصر

الحديثة.

وأخيراً لقد وجهت انتقادات عديدة للفكر الماركسي السوسيولوجي المحدث وخاصة عند تناوله مشكلة التنمية والأطروحات التي حددها من أجل فهم أكثر واستيعاب أوسع لعملية التنمية بالمجتمعات النامية وبالرغم من كل الانتقادات يمكن الإشارة هنا إلى أن معالجة قضايا التنمية في الدول النامية لا يمكن أن تكتمل وتتضح إلا باستعراض واسع النطاق للمنظور الماركسي، وذلك لأن أي معالجة خاصة لموضوع التنمية بعيدا عن الطرح الماركسي يعكس في نظرنا توجهها ناقصا أو خاطئا. باعتبار أن جل المفاهيم السوسيولوجية لماركس تعتبر

أساسية وجوهرية في تحليل قضايا التنمية والتغير في الدول النامية، أهمها مفهوم التغير الثوري الذي يهدف إلى ترتيب وتبني تحولا جذريا لكافة الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

إن الدول النامية اليوم لديها القدرة على تحديد مسار تنميتها وأن ذلك يتطلب تغيير التوجيه السياسي للتنمية بشكل عام. فبدل من تطلعها إلى الخارج عليها الاهتمام بالداخل.

فهي تواجه اليوم تحدي الاختيار الأيديولوجي على مستوى الفكر والتطبيق، خاصة إزاء مواجهة المشاكل المتفاقمة، وتساعد فاق المستويات الواقعية للتنمية وزيادة المعاناة الإنسانية بعد أن سيطرت الاتجاهات التوازنية على توجيه مسار التنمية في معظم البلدان¹ النامية خلال أكثر من أربعة عقود من التجريب".

ما يمكن استخلاصه من العناصر التي جاء بها هذا الفصل هو أن الاهتمام الذي أولي لقضايا التنمية وخاصة من طرف علماء الاجتماع ما هو في حقيقة الأمر إلا تعبيراً على أن هذا الموضوع يحتل مكانة كبيرة في مجال البحث السوسيولوجي، ومنه فإننا نؤكد على أن نظريات علم الاجتماع في القرن التاسع عشر بالخصوص والقرن العشرين جاءت كرد فعل طبيعي للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدتها المجتمعات الإنسانية، وخاصة المجتمعات النامية من جهة، واستجابة لجملة المطالب المعرفية التي كانت مطروحة الصراع الفكري الذي حدث بين اقطاب الفكر الماركسي منهم بوخرين نيكتين وروزا لكسمبورغ... الخ والتي عجزت في بنائها وتحديثها العلوم التقليدية التي كانت قائمة منها الاقتصاد، السياسة، والتاريخ من جهة ثانية.

حاولت الاتجاهات النظرية التي ذكرناها فهم ظاهرة تخلف الدول النامية، حيث انطلق كل اتجاه من هذه الاتجاهات من تصور محدد لهذه الظاهرة.

فاتجاه النماذج والمؤشرات سعى إلى تحديد عناصر كل من التقدم والتخلف، وحصر عملية التنمية في اكتساب الدول النامية لعناصر التقدم السائدة في الدول المتقدمة، أما الاتجاه التطوري المحدث فقد قام على تحديد المراحل المختلفة للتنمية التي يمكن أن تمر بها الدول النامية، وهي مراحل تمت

صياغتها في ضوء مراحل النمو الاقتصادي التي مرت بها الدول المتقدمة، وبذلك تصبح عملية تنمية الدول النامية متوقفة على فدره هذه الدول على تتبع نفس المسار الذي سلكته الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة، كما نجد أن الاتجاه الانتشاري يحاول تحديد العناصر المادية والثقافية التي يمكن نقلها من الدول المتقدمة إلى الدول النامية بهدف تميمتها، وهو نفس التفسير الذي حاول الاتجاه التطوري المحدث لعملية التنمية تحديده، حيث ركز على فكرة أساسية مؤداها أن الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة تمثل بالنسبة للدولة المتخلفة الصورة أو النموذج المراد تحقيقه أو الاحتذاء به.

ان الاعتناء بالتنمية الريفية كأحد أهم الدعامات للاقتصاد لضرورة و لا استغناء عنها بالنظر الى الواقع الذي نعيشه بحيث ترتكز التنمية الريفية المتكاملة علي إحداث تغيير مرغوب وذلك بالانتقال إلى مرحلة أخرى أو التعديلات أو التبديلات التي تحدث نتيجة للتغيير الذي حدث في مجتمع ما، إلا ان مفهوم التغيير المرغوب فيه يختلف باختلاف الفكر الذي تتم في ضوءه المعالجة وان التغيير المرغوب يكون موازياً للتطور المنشود ويترتب عليه تغييرات في الأجزاء الأخرى من المجتمع، ولذلك يجب مواجهة تغييرات المجتمع بمنهاج متكامل يضمن تحقيق أهداف ومتطلبات التنمية الرئيسية ، ناهيك من ان عملية التغيير المرغوب فيها ستواجه في الأغلب مقاومة من قبل أفراد المجتمع الريفي إذا لم تأخذ بعين الاعتبار العادات والتقاليد الاجتماعية والأعراف من القوانين والمعتقدات الدينية التي تؤثر في آرائهم واتجاهات وقرارات الأفراد وبخاصة الفقراء الذين يعتبرون جوهر وعنصر التنمية الأساسي، وربما يقاوم البعض التغيير الذي يحدث لتعارضه مع مصالحه الشخصية، عليه يجب ان تتبع السياسات الاجتماعية وتتفق مع أوضاع وأهداف هذه المجتمعات، وبالتالي يجب ان تخطط التنمية الريفية في إطار هذه السياسات وفي حدود أبعادها، ويجب ان تتبع المشروعات الإصلاحية وتستمد من واقع احتياجات الأهالي و رغباتهم ومطالبهم الأساسية.

التنمية لا تشتري من الخارج بعمله أجنبية غير موجودة في خزينتنا فهناك قيم أخلاقية واجتماعية

وثقافيه لا تستورد وعلى المجتمع الذي يحتاجها ان يلبها والتمية من تلك القيم، إنها لا تستورد بل تصنع في المكان نفسه¹.

لا تتحقق التمية في أي مجتمع الا اذا توافرت و تضافرت مجموعة من العناصر، و المكونات لتجسيدها فتتطلب التمية المحلية مجموعة من العناصر والركائز الأساسية التي لابد من تفعيلها و تثمينها للنهوض بها و أهمها:

أ - المقومات البشرية: يعد العنصر البشري أهم مقومات التمية المحلية خاصة، في العملية الإنتاجية فهو الذي يفكر في كيفية استخدام الموارد المتاحة وإدارة التمويل اللازم لإقامة المشروعات، فوسيلة تحقيق التمية هو الإنسان، كما أن هدف التمية المحلية هو تنمية الموارد البشرية من مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، باعتبار أن الإنسان لديه طاقات وقدرات ذهنية وجسدية تستلزم الاستفادة منها لتحقيق إنجازات التمية المحلية، وتطوير المجتمع المحلي، وفي هذا الإطار لا يمكن إغفال الجهود الذاتية المجسدة والمتمثلة في المشاركة الشعبية إلى جانب الجهود الحكومية من أجل تحقيق التمية المحلية، كما أن القاعدة الأساسية لنجاح التمية المحلية تكون بالمشاركة فنجاح تجربة أي دولة في النمو يرجع إلى اعتمادها على مواردها المحلية وأثمن هذه الموارد هو العنصر البشري، وإذا ما تجاهلت الدولة هذا العنصر وركزت على عناصر أخرى فإنها ستخلق عبئاً مستمر على التمية، وهو وجود عنصر بشري يزداد عدداً ويقل كفاءةً دون أن يقدر على تقديم جهد متزايد لخدمة التمية، وعليه فإن تحقيق التمية المحلية رهين باعتماد وتفعيل العناصر التالية والتي تدخل ضمن المقومات البشرية².

ب - المشاركة الشعبية: وهي ركيزة من الركائز الأساسية للتمية المحلية، إذ أن عملية المشاركة

¹ مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، دمشق، ط 01، 1978، ص195

² حيتالة معمر، إشكالية التمية المحلية المقومات والمعوقات، المجلة الجزائرية للاقتصاد والإدارة، 2017، ص165

من أكثر القضايا التنظيمية في صنع القرار، ومن ثم تؤدي إلى التجسيد الفعلي لمبادئ الديمقراطية¹. هي تعني: "إشراك المجتمع والمواطنين بوجه عام في تحديد احتياجات التنمية وصيانة العمل وتنفيذها وتقييمها وكذا إشاعة أسباب الثقة بين الأفراد، بمعنى تحقيق مفهوم المواطنة، والذي يعني تحسيس المواطن بدوره وأهميته في المجتمع وفي العملية التنموية².

ان الحديث عن التنمية بمنطقة عين الصفراء هو حديث عن تنمية لمجتمع محلي او لتنمية محلية، حيث أصبحت التنمية المحلية تقاس بالمشاركة بالمفهوم الواسع، والتي تتعدد صورها فقد تكون سياسية، من خلال إسهام الفرد بدوره كمواطن في الحياة السياسية بإبداء رأيه بالقبول أو الرفض لبعض القضايا السياسية المطروحة، أو يشارك في الانتخابات أو في الأحزاب السياسية، وقد تكون المشاركة اجتماعية من خلال مشاركة الفرد في برامج وأنشطة اجتماعية³.

وعلى الرغم من عدم اقتصار المشاركة على لون أو جنس معين، إلا أن مشاركة الشباب لها أهمية قصوى في العملية التنموية لما يتميز به الشباب من قابلية للنمو في النواحي الجسمية والاجتماعية والنفسية والتعليمية، وبالتالي فهو أقدر الفئات على المشاركة في إحداث التغيير والتطور في المجتمع المحلي.

وللشباب دور في التنمية المحلية الشاملة والمستدامة، وذلك من خلال مختلف الأنشطة الاقتصادية التي نهدف إلى رفع مستوى دخل المجتمع المحلي، وزيادة الكفاءة، من حيث الكم والكيف لتحسين مستوى معيشتهم، ومحاربة الإسراف والتبذير في الموارد الاقتصادية للتقليل من استهلاك مواد الخام، وتجنب الوقت الضائع في العملية الإنتاجية، كما أن زيادة الإنتاج تعتمد على الأساليب الفنية الحديثة، وبالتالي تقع على عاتق الشباب كقوة في التنمية مسؤولية الاهتمام بالعلم ومتابعة التطورات الحديثة في أساليب الإنتاج، وفي

¹ إحسان حفطي، علم اجتماع التنمية، دار المعرفة الجامعية، مصلا، 2004، ص416

² خفري خيضر، تمويل التنمية المحلية في الجزائر، وقع وأفاق، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر 3، 2011، ص 26

³ محمد سيد فهمي، العولمة والشباب من منظور اجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2009

جميع المجالات وكذا الأنشطة الاجتماعية والسياسية والثقافية والرياضية والفنية، وغيرها من النشاطات التي تساهم في التنمية المحلية، ومن أهم المقومات التي يساهم فيها الشباب لتحقيق التنمية المحلية في الميدان الاجتماعي الخدمة العامة وممارسة العمل اليدوي النافع¹، في المجتمع. كما أن مشاركة الشباب في الحياة العامة على المستوى الوطني والمحلي، مشاركة موسعة ومتعددة المجالات تحتاج إلى مجموعة من الهياكل والآليات التي تنظمها وتحميها منها: التشريعات والقوانين التي تعمل على تأطيرها، من جهة وإدماجها في التفاعل مع كل القطاعات التابعة للدولة والهيئات المتخصصة للمجتمع المدني، كالمنظمات غير الحكومية والجمعيات والنوادي المحلية للدور الذي تلعبه هي الأخرى والأحزاب السياسية².

9- المجتمع المدني ودوره في التنمية المحلية. Société Civile:

تعد منظمات المجتمع المدني من ركائز التنمية المحلية، ويعرف المجتمع المدني "بأنه جملة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية غير حكومية، التي تعمل في ميادينها المختلفة لتلبية الاحتياجات الملحة للمجتمعات المحلية، وفي استقلال نسبي عن سلطة الدولة، وعن تأثير رأسمالية الشركات في القطاع الخاص، حيث يساهم في صياغة القرارات خارج المؤسسات السياسية"³، ولها غايات نقابية كالدفاع عن مصالحها الاقتصادية، والارتقاء بمستوى المهنة، والتعبير عن مصالح أعضائها، ومنها أغراض ثقافية، كما في اتحاد الأدباء والمثقفين، والجمعيات والأندية.

وتلعب منظمات المجتمع المدني دور كبير في التطور الاجتماعي في والاقتصادي، ودعم التنمية المحلية، بحيث أصبح لها نشاطاً برامج و خطط التنمية، وفي تنفيذ بعض أهداف وبرامج السياسة ومكافحة الفقر، ونظراً السكانية، وكذا في مجالات البيئة لإدراك الدول وعلى غرار الدولة الجزائرية للدور المهم

¹ -محمد سيد فهمي، المرجع السابق، ص 143، 145، ص 148

² -حيتلة معمر، مرجع سلق، ص 166

³ -منى هرموش. دور تنظيمات المجتمع المدني في تنمية المستدامة، دراسة حالة الجزائر، جامعة باتنة، مكررة رسالة ماجستير، السنة الجامعية 2009-2010، ص 19.

لهذه المنظمات قامت بتسجيلها واعتمادها، وساهمت في تقديم العون لها كشريك فاعل وهام في عملية التنمية، ونموذج الجزائري خير دليل على ذلك، فبعد التحول الديمقراطي، وتبني سياسة التعددية في نهاية الثمانينات، تشكلت العديد من الأحزاب السياسية والجمعيات في مختلف المجالات، والتي كان لها القدرة على التأطير والتجنيد، وتوازيا مع ذلك تم اعتماد العديد من الجمعيات والتمثيل والمراقبة الثقافية والاجتماعية والرياضية والسياسية¹، مهدت إلى نمو وتطور الحركة الجمعوية في الجزائر التي ساهمت في بلورة وظهور المجتمع المدني كمقوم من مقومات التنمية، وكشريك هام في عمليات البناء والتطوير الوطني والمحلي، حيث أصبح يعمل في مختلف الأنشطة الحيوية مثل: مجال المشاريع الصحية والمشاريع الإنتاجية الصغيرة، ومجال الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات ومجال التنمية والاهتمام بالطفولة والشباب.

9-1- مفهوم المجتمع المحلي:

ارتبط مفهوم المجتمع المحلي شأنه في ذلك شأن معظم المفاهيم السوسولوجية المشتقة من الحياة اليومية بمعاني كثيرة ومتعددة، حيث نجد من المحاولات المبكرة لاستخدام المفهوم في علم الاجتماع محاولة " روبرت ماكيفر R. Maciver " الذي نظر إلى المجتمع المحلي على أنه "وحدة اجتماعية تجمع بين أعضائها مجموعة من المصالح المشتركة وتسود بينهم قيم عامة وشعور بالانتماء بالدرجة التي تمكنهم من المشاركة في الظروف الأساسية لحياة مشتركة².

إن هذا التعريف يتضمن فكرة "مجتمع المصلحة" الذي يعبر عن اشتراك مجموعة من الأفراد في المصلحة ووجهات النظر.

كما يكشف التصور السوسولوجي للمفهوم عن تأثيره الواضح بتفكير رواد مدرسة شيكاغو ممن أكدوا عامل المكان كأساس عام لقيام المجتمع المحلي، حيث نجد "روبرت بارك R. Park " يعرف المجتمع

1- عبد النور ناجي، دور منظمات المجتمع المدني في تحقيق الحكم الرشيد في الجزائر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سطيف، العدد الخامس، 2007 ص207.

2- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 32-33.

المحلي بقوله أن "المجتمع المحلي في أوسع معاني المفهوم، يشير إلى دلالات وارتباطات مكانية جغرافية"¹.

لكن "لويد وارنر Warner. L يرى بأنه أي المجتمع المحلي أكثر من مجرد مكان، حيث يعرفه بأنه "عدد من الناس يشتركون في مصالح واهتمامات خاصة وسلوك وعواطف مشتركة تجعلهم ينتمون لجماعة اجتماعية"².

ويؤكد على ذلك "لويس ويرث Wirth. L " حينما يقرر بأن المجتمع المحلي يتميز بما له من أساس المفاهيم الاعتماد المتبادل بين الأفراد، وبخاصة في مجال تبادل المصلحة. ويرى أ" موس ه "يولا Hawly.A بان المجتمع المحلي وحدة اجتماعية اصغر من المجتمع العالمي الذي يقربه "بارك"، مؤكدا على "التفاعل اليومي" كبعد جديد لتعريف المجتمع المحلي، حيث يرى بأنه من الملائم أن ننظر إلى المشاركة في الإيقاع اليومي والمنتظم للحياة الجمعية على أنها عامل أساسي² يميز المجتمع المحلي يعطي لسكانه طابع الوحدة³.

لقد تطور مفهوم المجتمع المحلي، بفعل التحولات التكنولوجية وبروز الحياة الحضرية كنمط جديد وبالتالي أصبح تصور المجتمع المحلي لا يركز بالضرورة على أساس الجوار المكاني، حيث أن الانفصال المكاني بين أفراد المجتمع الواحد أصبح ممكنا ومقبولا، حيث أن المجتمعات التي أصبح يرتبط بها الأفراد وينتمون إليها لم تعد مجرد مكان، بل أصبح الأفراد أكثر ارتباطا بمجتمعات المصلحة المتنوعة حسب تصور "ملفين" Weber. M " و رونالد وارن Warene. R " وتأسيسا على ما سبق يمكن أن نستنتج أن المجتمع المحلي يشتمل على ثلاثة أبعاد وهي:

¹ - السيد عبد العاطي السيد، المرجع السابق، ص 33 - 34

² - فادية عمر الجولاني، علم الاجتماع الحضري، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، ص 30.

³ - السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، ج 1، مرجع سابق، ص 3

- بُعد الاعتماد المتبادل والمصلحة المشتركة.
- بُعد الإقليم المكان.
- بُعد القيم والمعايير المشتركة التفاعل الاجتماعي وبالتالي فإن المجتمع المحلي يشير إلى تلك الوحدة الاجتماعية التي يشبع الأفراد من خلالها كل حاجياتهم اليومية داخل نطاق مكاني محدد وبالتالي يكون المجتمع المحلي الوحدة الأساسية الأولى من وحدات التنظيم التي تستوعب حياة الفرد كلها، ولها القدرة على إشباع حاجاته الاجتماعية والنفسية والفيزيولوجية، مما يعني أن تحليل المجتمع المحلي بوصفه نسقا اجتماعيا اصغر من النسق الاجتماعي الأكبر، يشتمل بناؤه على أنساق المكانة والأدوار وميكانيزمات للتفاعل وأخرى للضبط ونسق قيمي، يعتبر مدخلا مناسباً لدراسة المجتمع المحلي.
- وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن النظر إلى المجتمع المحلي الحضري باعتباره نسقا اجتماعيا يستوعب حياة الفرد بأكملها، ضمن نطاق مكاني واجتماعي معين، حيث يمكن اعتبار المجتمعات الصغيرة والقرى والمدن الصغرى والكبرى، والأقاليم الحضرية الكبرى كلها رغم اختلاف خصائصها، مجتمعات محلية.
- من خلال ما تم ذكره نخلص بالقول انه لا يمكن تحقيق تنمية بإنسان معطوب و محتل قيميا و ثقافيا حيث يشير "هاريس مارفين" إلى ان الثقافة هي الطابع الأولي للإنسان في نجاح انجازه للإنتاج وتعتمد النظريات الأنثروبولوجية في مجملها علي ان البناءات الاجتماعية التي تشكل المجتمع هي مجموعة من الأنساق الاجتماعية المتداخلة، كالقراية، النسق الاقتصادي و السياسي و العقائدي.. ، ويشمل كل ذلك المنظومة الثقافية لأي مجتمع، لذا فالعلاقة بين الثقافة و التنمية شديدة الارتباط، كون الثقافة مجموعة من النظم التي تتشابك و تتضامن فيما بينها لتشكل التنظيم العام للجماعات الإنسانية ،ولا يمكننا الحديث عن تنمية المجتمع

إلا في ظل نظامه الثقافي وهذا ما سنحاول التطرق إليه بشكل عام ، مع إبراز العلاقة بين ثقافة الأفراد وحقل التتمية علي وجه الخصوص.

الفصل الثاني

الأنثروبولوجيا والتنمية

تمهيد:

جاءت أنثروبولوجيا التنمية لتعنى وتهتم بالتنمية كهدف وغاية انسانية. وكمظهر من مظاهر السلوك والانتاج البشري فمقومات ومعوقات التنمية موضوع للبحث يتلاءم وينسجم مع العمل والطرح الأنثروبولوجي الذي يهتم بالثقافة كعنصر أساسي جوهري في حياة الشعوب، والذي يتناول الإنسان في أبعاده المتنوعة، في نشأته الأولى ونشأة لغته وأساليبه في التفكير والعمل والحرف ونظمه الانتاجية التي يمارسها، والمرتبطة غالبا بمحيطه ووسطه الطبيعي البيئي والجغرافي وبموروثه الثقافي الشعبي.

فأنثروبولوجيا التنمية وباعتبارها فرعا مشتقا من الأنثروبولوجيا الاقتصادية قطعت بونا و تقدمت اشواطاً في صياغة النظريات و اجراء التجارب و تثبيت المفاهيم قد بات من الضروري الاستعانة به كأداة حيوية ميدانية عقلية تساعدنا على فهم معاني الإنسان وتفكيك بنيته الثقافية وتشرحها على نحو يزيل عنه أكثر ما يمكن من الأغلال المانعة للتفسير العلمي الموضوعي لأسباب التخلف والتلهل و تردي أحوال الحياة اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا في خضم التحول و التغيير المحسوس والملموس في منظومة القيم الفكرية الذهنية و التمثلات الثقافية و الانشطة الاقتصادية في المجتمع الجزائري الذي شهد مخاضا عسيرا بعد الاستقلال في ضل مساعي قيام الدولة الوطنية و احداث التنمية المنشودة عبر اطلاق البرامج والمخططات التي ما فتئت تتوقف رغم الاخفاقات التي سجلت لأسباب معلومة و اخرى خفية مجهولة.

ويمكننا ان نستدل في هذا السياق ببعض المشاريع التنموية كمشروع القرى الاشتراكية والثورة الزراعية التي وصفت على انها مخططات معطوبة، ومقتبسة مبتورة من مناطق وايدولوجيات لا تتسجم وخصوصية ثقافتنا الوطنية والمحلية ولا تتناغم مع اعراف وسلوكيات، وممارسات بعض الجهات وبخاصة القروية والريفية أو ما يصطلح عليه بالمجتمعات ذات البنية التقليدية.

ومعلوم ان مجال الأنثروبولوجيا لا ينحصر كاختصاص علمي مميز في مجال محدد بعينه ولا

تقتصر إقترابات ومجهودات المشتغلين في حقوله على ميدان واحد دون اخر إذا ما سلمنا أن العلوم كافة ومهما اختلفت طبيعتها ومناهجها وميادينها تسعى الى تحقيق الرفاهية والرخاء للإنسان في إطار تكاملي ترابطي وفق حدود متداخلة متقاطعة تعيننا لفهم ما يعيقنا للنقدم وتمدنا بالأدوات اللازمة لتجاوز عقبات التشخيص وتلدليل العثرات المستعصية في طريقنا.

ولعل الجدوى الاستثنائية المتمخضة عن مخرجاته العلمية المتعمقة في كنه الامور وجوهرها لكفيل بالدعوة الى التعويل عليه في فهم الواقع الانساني بتحليله وتحديد مكامن الاختلال، من تم تشخيص السداء والمعضلة ومجابهتها بالآليات المناسبة والحلول الممكنة والمقترحات البديلة. علم يعرفه رواده الكبار بأنه «يبحث في معنى كونك إنساناً على نحو مستفيض». يطرح أسئلة تنبش من خلال الدراسات التجريبية الميدانية في معاني الحياة الإنسانية و اغوارها، فمن خصائص علم الانسان انه ينفذ الى كافة مناحي الحياة لاسيما تلك التفاصيل الدقيقة، و تلك الوحدات الجزئية التي تسبح في فلك الكلية و الشمولية مشكلة نسقا و بناء عاما، فضلا على انه يرصد تلك التحولات السطحية أو العميقة التي تحدث في الأبنية الاجتماعية لتغير طبيعتها ووظائفها خاصة حينما يتعلق الامر بالتنمية التي استجابت علماء الأثروبولوجيا و استرعت اهتماماتهم باعتبارها تركز على البعد الانساني القيمي حيث يحتل مفهوم القيم في علم الاجتماع و الأثروبولوجيا أهمية محورية شأنه في ذلك شان الثقافة و النظم، اذ تشكل النظم في جوانبها أحد الاركان الاساسية لثقافة المجتمع كما تشكل القيم منطلقات و دوافع تحدد اتجاهات السلوك الجمعي والنوع العام باعتبارها متغير له أهمية بالغة في جميع نواحي الحياة اقتصاديا و ثقافيا و اجتماعيا سيما حينما نعالج قضايا التخلف والتنمية والتقليد والحدثة، و ما يتصل بهم من معطيات عامة سواء تلك المتعلقة بالتخطيط أو بالسياسات العامة التي هدفت ولازالت تعمل على تحقيق تطلعات و متطلبات ساكنة الاقاليم الجنوبية و الهضاب العليا بتنميتها و توظيف ما تزخر به من امكانات للصالح العام.

وهو ما سنسعى الى ابرازه من خلال هذا البحث بعرض التطورات والتغيرات السوسيو-ثقافية وكذا السياسة التي حددت ملامح جهة الجنوب الغربي عامة ومنطقة عين الصفراء خاصة.

1- التنمية كوجهة للبحث الأنثروبولوجي

1-1- أنثروبولوجيا التنمية: Anthropology of development

مصطلح يُطبَّق على بنية العمل الأنثروبولوجي الذي يدرس التنمية من منظور ناقد. يمكن استخلاص نوع

القضايا المتناولة والآثار المترتبة على النهج المُتبَّع عادةً من قائمة التساؤلات التي طرحها غاو عام 1996.

تشمل هذه التساؤلات، علماء الأنثروبولوجيا الذين يتساءلون لماذا يزداد الفقر إذا كان أحد الأهداف التنموية

الرئيسية هو تخفيف حدة الفقر؟ لماذا توجد فجوة كهذه بين الخطط والنتائج؟ لماذا هؤلاء الذين يعملون في مجال

التنمية على استعداد تام لتجاهل التاريخ والدروس التي قد يقدمها؟ لماذا تكون التنمية مدفوعة خارجياً بدلاً من أن

يكون لها أساس داخلي؟ باختصار، لماذا تفشل هذه التنمية المخطط لها بجهد؟

فُرق هذا النوع من أنثروبولوجيا التنمية عن الأنثروبولوجيا التنموية. يشير مصطلح الأنثروبولوجيا التنموية إلى

وجهات النظر الأنثروبولوجية المطبقة على فرع دراسات التنمية متعدد التخصصات. وتتخذ من التنمية الدولية

والمساعدة الدولية أهدافاً رئيسية لها.

في هذا الفرع من الأنثروبولوجيا، يشير مصطلح التنمية إلى النشاط الاجتماعي الذي يقوم به مختلف العاملين

كالمؤسسات والعمل التجاري والمشاريع والدول والمتطوعين المستقلين الذين يحاولون تعديل الحياة الاقتصادية

والتقنية والسياسية و/أو الاجتماعية في مكان معين في العالم، بالأخص المناطق الفقيرة التي استُعمرت سابقاً¹.

لحاجتها الملحة في فهم معوقات التنمية والنكيف الاقتصادي في مستعمراتها، أنشأت الحكومة البريطانية معهد

رودس ليفينغستون عام 1937 لإجراء بحوث العلوم الاجتماعية في منطقة وسط أفريقيا البريطانية. كان جزءاً من

المؤسسة الاستعمارية، على الرغم من أن رئيسه -عالم الأنثروبولوجيا ماكس غلوكمان- كان ناقدًا للحكم

الاستعماري. "رفض غلوكمان وصف الاستعمار بأنه حالة بسيطة من «الاتصال الثقافي» لأنه لم يكن مجرد حالة

¹ Gow, David D. 1996) Review: The Anthropology of Development: Discourse, Agency, and Culture Reviewed work: An Anthropological Critique of Development: The Growth of Ignorance by Mark Hobart and Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World by Arturo Escobar, *Anthropological Quarterly* Vol. 69, No. 3, Healing and the Body Politic

ثقافات تؤثر ببعضها، بل اندماجاً قسرياً للأفارقة ضمن نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي أجنبي.

كان علماء الأنثروبولوجيا في المعهد أعضاء أساسيين في ما أصبح يعرف باسم «كلية مانشستر» للأنثروبولوجيا التي اشتهرت ببحثها حول قضايا العدالة الاجتماعية مثل التمييز العنصري والصراع الطبقي¹ يشترك علماء الأنثروبولوجيا التنمويون بالتزامهم بالنقد والإسهام المترامنين في المشاريع والمؤسسات التي تنشئ وتدير المشاريع الغربية الرامية لتحسين الرفاهية الاقتصادية لأكثر الفئات تهميشاً وللقضاء على الفقر.

ولئن كان بعض المنظرين يميزون بين «أنثروبولوجيا التنمية» حيث التنمية هي موضوع الدراسة والأنثروبولوجيا التنموية بصفتها ممارسة مطبقة، فإن هذا التمييز يُعتبر على نحو متزايد فكرة عفا عليها الزمن². فمسألة القيم وعدم التغافل عن البعد الثقافي في ارساء معالم التنمية وفي مساعي تنزيلها ترابيا وميدانيا في المجتمعات له دور بالغ في فهمها كمناطق ثقافية لها ما يميزها سواء بعلاقتها بالعمل أو التضامن أو غيره من التفاعلات التي تعتبر المنظومة القيمة منشأ لها فالثقافة كوعاء و اطار عام تستعب كل هذه التفاصيل، حيث يعتبر ترانديس **Trandis** الثقافة على أنها الوسيلة المميزة لجماعة في استجابتها لمحيطها الاجتماعي، و هي تتعلق بمجموعة من القيم التي تختلف من جماعة الى أخرى و التي تعطي لكل منها خاصية معينة و تظهر الأبعاد المختلفة للثقافة من خلال هذه القيم³.

جاءت نظريات التنمية كمشروعات تطلبت بطبيعة الحال تعاون المختصين في العلوم الأخرى نظرا لترابطها و تقاطعها، وفي حالات قليلة نجد علماء الأنثروبولوجيا يقومون بدور قيادي في تلك الجوانب من برامج التنمية التي تتناول الجماعات العرقية المحلية أو القروية، وأكثر الأمثلة وضوحا على ذلك هو المعهد الهندي القومي بالمكسيك، ففيه لعب علماء الأنثروبولوجيا دورا قياديا سواء في رسم البرامج

¹ Ferguson, James (1999). Expectations of modernity: myths and meanings of urban life on the Zambian Copperbelt. Berkeley : University of California Press.p26

² Edelman, Marc, and Angélique Haugerud. (2005). The anthropology of development and globalization: from classical political economy to contemporary neoliberalism. Malden, Mass: Blackwell Pub, page 40

³ Trandis. H, The analysis of the subjective culture, Michigan, U.M.I, 1997, p56.

أو تنفيذها، ومع ذلك فإن الشائع هو أن دور عالم الأثروبولوجيا في برامج التنمية يكاد يقتصر على مشاركته في مواجهة مشكلات متعددة الجوانب وكذا مشكلات التنمية بها¹، والعوائق التي قد تشكل حجر عثرة في طريق البرامج التنموية في هذه المجتمعات، كما أن دور الأثروبولوجيا ظل مرتبطا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بمدى قدرة الباحثين في ميادينها على تسليط ادواتها و مناهجها على العضلات الاقتصادية ذات الجذور و الأسباب السوسيو- ثقافية يتمثل في تقديم ما يساعد على تنفيذ البرامج التنموية أو بحث أسباب إخفاقها، وأحيانا التنبيه إلى معوقاتها مسبقا.

من هنا ظهرت الحاجة الملحة للتعرف على الخصائص الثقافية والاجتماعية للعامل، ودراسته في محيطه الاجتماعي، من أجل فهمه وحسن تحفيزه وتسييره.

لهذا ليس من المنطقي الاستمرار في استهلاك الطرق الغربية في التسيير البشري.

وأصبح من الضروري البحث في أساليب جديدة للتسيير انطلاقا من القيم المحلية وثقافة المجتمع وواقعه التاريخي والعقدي ونسقه القيمي، فالملاحظ أنه لم يعط البعد البشري في عملية التنمية حقه من الأهمية، وهمش البحث فيه، إذ أن الاعتقاد السائد هو أن الآلة هي التي تنتج بينما العامل تابع لها.

فإذا لم نراع حاجات العامل وخصائصه ومتطلباته، فإن الأجهزة المتطورة تبقى معاقة تشتغل دون طاقتها، كما هو الحال بالنسبة لغالبية المؤسسات بدول العالم الثالث² مادامت القيم الاجتماعية، هي الأساس المحوري للتنظيم الاجتماعي الكلي وباعتبار تنمية المجتمع، قضية تعبيري جذري لأساسيات البناء الاجتماعي للمجتمع المتخلف فقد. بات لزاما أن يستند التحليل الموضوعي لظاهرة التخلف على الفهم المتكامل لأبعاد كل من الإنسان والمجتمع والتاريخ، خاصة وأن التنمية والتحديث الحضاري، يتطلب إحداث التبادلات التالية:

¹ رالف. ل. بيلز، هاري هويز: مقدمة في الأثروبولوجيا العامة، ج2، ص 855 .

² بوفلجة غياث. القيم الثقافية وفعالية التنظيمات، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2015. ص7

- التغييرات الاقتصادية: بوضع برنامج تنموي، يستهدف الانتقال من النظري الاقتصادي التقليدي القائم على اقتصاديات الكفاف، وإحلال اقتصاديات الإنتاج الصناعي، بتوجيه الإنتاج لسد حاجيات المستهلك المحلي قصير المدى وتطبيق النظام الاجتماعي الرشيد وكذا الأساليب العلمية في الإدارة والإشراف، مع استثمار رأس المال في القطاعات الإنتاجية، وتعبئة القوى العاملة وتوجيهها نحو الصناعة والمهن الفنية العليا والخامات المطلوبة.

- التحولات الاجتماعية: ومن أهمها ارتفاع معدل التحضر ونمو الحراك الجغرافي والمهني والاجتماعي، المتمثل في الهجرات الدائمة أو الموسمية، الفردية والجماعية ودوران العمل والزوج الريفي، مع ما يترتب عنه من تحرك نموذج الأسرة و وظائفها وفي العلاقات والقيم، بتبديل علاقة الخضوع والسيادة بين الآباء والابناء الى علاقة حوار ونقاش، وظهور النموذج التحريري والديمقراطي في التربية محل النموذج التسلطي والقمعي وما ينجم عنه من تغير المكانة الاجتماعية للمرأة بفضل انتشار التعليم وخروج المرأة للعمل، فضلا عن تغير المكانة الاجتماعية للشباب و صراع الأجيال، مع أفول دور الأسرة كضابط، وفقد كبار السن لمراكزهم و هيبتهم بعد قيام نظام التقييم الاجتماعي على أساس الإنجاز والمكانة المهنية والتعليمية، وما يقدمه للمجتمع من منافع.

- التغييرات السياسية - تصاحب التنمية تغيرات سياسية، كمساهمة الدولة في التنمية، وترقية التنظيمات وتبني التحديث السياسي، في ظل الأفكار الوطنية والقومية، ومحاولة تبوأ المكانة الدولية داخل المجتمع العالمي.

- التحولات الثقافية: حدوث تحولات على الصعيد المادي واللامادي، وما يحدث من تغيرات للقيم والعلاقات والممارسات والأفكار والمفاهيم والأفكار السائدة وانتشار التعليم وبرامج الاتصال، وما يترتب عن ذلك من آثار سيكولوجية واجتماعية. لقد عجزت الهند عن منافسة إنجلترا في صناعة

المنسوجات خلال القرن 18" وفشلت مصر في مواكبة اليابان وألمانيا، رغم أنها كانت سباقة في التصنيع في أوائل القرن 19" في عهد محمد علي. ويعود نجاح الثورة التكنولوجية في الدول المتقدمة إلى التطور التلقائي وطبيعة المجتمع، مما يؤكد وجود توافق بين الحياة الفكرية والقيم من جهة، وسلوك الأفراد وأسلوب الحياة من جهة أخرى، وهو ما حدث لدى الشعوب المتطورة، التي شهدت توافق بين الحكام والمحكومين، حيث يتولى أمورها حكام مثقفون استوعبوا روح العصر¹، عكس ما يحدث في دول العالم الثالث، وبخاصة العالم العربي، الذي يعيش أزمات سياسية لقد عاشت الجزائر وعلى غرار كثير من الدول الفتية تجارب عديدة في التنمية و هذا في مسار البناء و مساعي التشييد والذي انطلق كمشروع نهضوي و تنموي تقدمي اقلعت مساعيه غداة الاستقلال ولازالت قائمة الى يومنا هذا فالتحولات الكبرى المشهودة، و التي مست الابنية الجوهرية للمجتمع حددت ووجهت سلوكيات الافراد و الجماعات ما ترتب عنها تغيير في البناء الاجتماعي "المكانة و الادوار والقيم" وفي الانشطة الاقتصادية و في البنى الثقافية ما انعكس على المجتمع الجزائري عامة والجنوب الغربي تحديدا ومنطقة عين الصفراء خاصة و هي المنطقة التي كانت تنتمي في الحقبة الاستعمارية الى الجنوب الوهراني، والتي حظيت باهتمام بالغ من طرف الفرنسي نظرا لخصائصها الاثنية و مقدراتها الطبيعية و موقعها الجغرافي، فقد عرفت المرحلة الاستعمارية نموا

¹ محمد بالراح. افاق التنمية في الجزائر. مخبر تطبيقات علوم النفس وعلوم التربية من اجل التنمية بالجزائر. جامعة

وهران. 2007ص

* ولد في 17 سبتمبر 1854 "Louis-Hubert. Gonsalve Lyautey" بمدينة نانسي هو لويس هيربرت جونسال ف ليوتي "دخل المدرسة العسكرية المتخصصة سنة 1873 وتخرج منها برتبة ملازم سنة 1877، ليرتقي الى رتبة نقيب في 22 سبتمبر 1882، وفي 22 مارس 1893 عين مسؤولا عن سرية، ثم ارتقى بعدها الى رتبة جنرال جويلية 1907، ثم مارشال في 19 فيفري 1921، كان مجندا في طونكين Tonkin ومدغشقر، حيث اكتسب شهرة واسعة في الأوساط العسكرية، عينه الحاكم العام جونار Jonnart على رأس القيادة العسكرية باقليم العين الصفراء، ومنحه صلاحيات واسعة، حتى أن ليوتي Lyautey كان يتصل مباشرة بالحاكم العام ووزير الحرب، متخطيا بذلك السلم والتراتب العسكري الذي كان يمر على قطاع وهران فالفيلق التاسع عشر. ينظر: Peyronnet, R, op. cit. PP. 488.495. Lyautey, Op.cit. P. 13 -Le Figaro, 05 Mars 1882 -²

عمرانيا كبيرا وذلك للوجود العسكري المعتبر في المنطقة التي شهدت حكم كبار الضباط الفرنسيين و لعل أبرزهم الجنرال ليوتي* **lyauti** وباعتبار ان الصحراء الجزائرية عامة والجنوب الغربي الجزائري خاصة جزء لا يتجزأ من الجزائر لم يسلم سكان من هذه السياسة الي اعتمدت فرنسا في جوانبها على الاستثمار العام والخاص وعلى التنظيم الإداري المحكم وعلى القوة العسكرية و ذلك من خلال تعيينها للجنرال ليوتي الذي اتبع خطة معاكسة عن أولئك الحكام الفرنسيين الذين سبقوه، إذ سارع إلى التراجع عن أهدافهم العسكرية الحذرة بالمنطقة والتي جعلت الاحتلال محصورا في دائرة ضيقة من الاراضي التي تحيط بالمراكز العسكرية في جبال القصور ووادي زوزفانة و الساورة¹ الحدودية فشيبت تكتات وكنائس وبنيات ومقاهي للمستوطنين وفنادق وسكنات فاخرة، كانت تنتشر حول هذه السكنات الأوربية بيوت سكان المنطقة اللذين كانوا يعتمدون في معاشهم على عنصرين هامين هما الرعي والفلاحة، مع مزاوله بعض الحرف التقليدية فلقد ظلت الصناعة الحرفية خاصة النسيجية منها و إلى زمن غير بعيد ممارسة من طرف الكثير من العائلات والحرفيين بمنطقة عين الصفراء ذلك من خلال منتجهم النسيجي المتمثل في الكثير من أنواع الزرابي والسجاد والجلابيب، والخيمة ومستلزماتها بالنسبة للبدو الرحل، فقد تمثل هذه الصناعة وجود ثقافي للصانع و للمستهلك ومصدرا اقتصاديا فرديا بالإمكان استثمارها و توظيفها في إنعاش قطاع الشغل، فهي تكامل بين الجانب الاقتصادي و البعد الثقافي باعتبارها قيمة اقتصادية نفعية تعود على الحرفي بعوائد مالية و تفتح له أفقا مستقبلية خاصة في ظل أزمة البطالة الخانقة التي تعتبر تحصيلا حاصلا أنتجته العديد من العوامل والسياسات والتوجهات والمشاريع المنتهجة من طرف الدولة التي غيرت في نظم المجتمع الجزائري و سلوكيات افراده.

¹ روس إ. دان. (2006). المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي. المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912. أحمد بوحسن المترجمون. الرباط: منشورات زتوية ص 235

لفهم أبعاد موضوع التنمية، يقتضي البحث السوسولوجي إبراز دور الدولة و مركزية وظيفتها الأساسية تحريك عجلة التنمية المحلية وتديير أولويات المجتمع خاصة فيما يتعلق بالسكن- الصحة- التعليم- الشغل- الدخل... الخ ، وذلك في إطار تحقيق تنمية متكافئة تقوم على تحقيق التوازن الجهوي بعيدا عن المبني أساسا على تمركز البنيات الاقتصادية و الإدارية في مناطق معينة، دون غيرها، مما يشير بأننا إزاء برمجة اقتصادية مرتكزة على نموذج تنموي غير متوازن يعمل على تعزيز تهميش شرائح اجتماعية مهمة ومناطق جغرافية عدة وعزلها عن المشاركة في البناء التنموي، وتوسيع الفوارق بين مناطق الوطن و اهمال التوازن بين الأقاليم و بين الجهات .

وتمثل التنمية الاجتماعية إحدى الوسائل الهامة التي تعتبر تطبيقاً لنتائج البحوث الاجتماعية والتي تهدف لحل المشاكل الريفية والنهوض بمستوى معيشتها وتطويرها. لقد تعددت المعاني لمفهوم مصطلح تنمية المجتمعات المحلية، إذ أنه في بعض مناطق العالم تعتبر تنمية المجتمعات المحلية إحدى وظائف الحكومة التي تستلزم إنشاء وزارة أو هيئة خاصة للقيام بتنفيذ هذه العملية.

من خلال الوقوف على نوعية النشاطات وتصنيفها ومن ثمة النظر في ترقيتها وتحسينها وهو السبيل إلى الوصول إلى الكشف عن المقومات والمعوقات بمنطقة العين الصفراء بولاية النعامة التي عرفت بمجالها البشري الأثنوديموغرافي المتميز والمتكامل والمتنوع وكذا بمجالها الطبيعي الهام والحيوي.

هذا إلى جانب العمل على تطوير الوضع الاقتصادي للمجتمع ككل ولا سيما بين الفئات الهشة والتي تحتاج إلى مرافقة ودعم وتوجيه.

وننفذ إلى الواقع المعاش بالوصف والتصنيف ولعل معايير التصنيف تتعلق بالحضر والريف والبادية، فالمنطقة كما أسلفنا بالذکر متنوعة اثنيا وثقافيا أما فيما يخص الأبعاد الثقافية فالمعروف أن المنطقة تمتاز بتنوع التركيبة البشرية فنجد القصور الذين يعتبرون الأقلية مقارنة بالقبائل الأخرى،

"وهم الشلوح ويسكنون القصر كما يسمى محليا ويعتبر نشاطهم الرئيسي هو الزراعة مع امتهانهم لأنواع متعددة من الحرف اليدوية. فالقصر نمط حاسم لصيرورة المعرفة من جهة وهي قيمة حقيقية بسبب وظيفتها المميزة والهادفة للمحافظة على العادات والمعتقدات والقيم وهي اشكال يراها المجتمع موافقة لخصائصه ومجسدة لمطامحه المشروعة والمنسجمة مع المراحل التاريخية والحضارية التي يحيى ويعيش فيها ذلك المجتمع"¹.

فضلا عن فشل ميكانيزمات التنمية المنتهجة في الوصول الى صميم الواقع و التتطابق مع المعيش الأ دليل على مجانية الاطار الذي اهملت و اغفلت فيه بعض القضايا الهامة في رسم التنمية و سياساتها، وهو ما يستشف من هذه التجارب التاريخية و هذه المحطات الهامة في مسار عمليات التنمية التي نحن بصدد طرحها كوضعية اشكالية تتأرجح مضامينها و محتوياتها بين رؤية السياسي و تدبير الباحث وأراءه المتمخضة عن مخرجات البحوث المستندة على الحقيقة العلمية دونما تحريف او تزييف ودراستها بربطها بعوامل ثقافية وسوسيو-اقتصادية تاريخية متراكمة كعدم قدرة المجتمع على احداث القطيعة الفعلية مع النمط التقليدي و مع الارث الكولونيا لي خاصة بالمناطق ذات الطابع الفلاحي الرعوي على غرار منطقة عين الصفراء ميدان هذه الدراسة التي تغلب على بلدياتها التابعة لها اقليميا و اداريا البيئة الريفية والحياة البدوية المرتكزة على الترحال في مزاولة نشاط الرعي و تربية المواشي و كذا الاشتغال في المجال الفلاحي في بعض الجهات علما ان المنطقة تفتقر و تفتقد الى المنشأة الصناعية و البنى التحتية الاقتصادية رغم المؤهلات المتوفرة عليها و المقدرات الطبيعية و السياحية و التاريخية المهدورة و الغير مستغلة.

وعلى راي عالم الأنثروبولوجيا المصري احمد ابو زيد في معرض حديثه عن شبكة العلوم المتقاطعة المتكاملة أن الحدود الفاصلة بين العلوم والدراسات الانسانية حدود مصطنعة وأحيانا تعسفية

¹ عبد القادر حليفي. من الموروث الثقافي الجمعي المغربي. منطقة العين الصفراء نموذجا. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2002.

الى حد كبير فهناك مناطق ومساحات مشتركة بينها جميعا.

من هنا ارتئينا الدفع بهذا العمل الى تناول مقومات التنمية في منطقة عين الصفراء وربطها بالمعوقات المعترضة لها ذلك بالاستعانة ببعض الدراسات المشابهة والسابقة التي جاءت في سياق تطور الأنثروبولوجيا و اقتحامها لمجتمع المدينة و عدم مراوحتها مكانها في الاهتمام بالبعيد و الغريب المنزوي و النأي بل و مسايرتها و مواكبتها للتطورات الانسانية و التقنية الحاصلة وسعيها ل طرح الحلول واقتراح البدائل، لاسيما الأنثروبولوجيا الاقتصادية التي بدأت ملامحها تتضح و محتوياتها تتشكل في القرن التاسع عشر على أنها العلم المختص بدراسة السلوك الاقتصادي للإنسان البدائي، ثم تطور هذا العلم في القرن العشرين، ليربط مكتشفات النيو كلاسيكية الاقتصادية بنتائج دراسة المجتمعات البدائية وبدراسة فلاحي العالم والقبائل أيضاً.

وتكمن أهمية الأنثروبولوجيا الاقتصادية في فهم الظاهرة الاقتصادية في بعدها الإنساني وتحديدًا كشف الغطاء على المحددات الثقافية في عملية الإنتاج والتبادل والتوزيع والاستهلاك "فلقد انتبه رواد الأنثروبولوجيا الأوائل مثل: مالينوفسكي ودالتون ومارسيل موس وفرانز بواس الى أهمية توظيف البعد الاقتصادي لفهم سيرورة المجتمعات البدائية كما ظهر الاهتمام بالأنثروبولوجيا الاقتصادية في كتابات العلماء الألمان والذين نجد من بينهم. فيلهلم كوبر-ماكس شيت-كارل بوشر-كونو-هيرمنت-كوهرل-لاش فون فالتر هاوش...الخ

2-أهمية أنثروبولوجيا التنمية

إن رغبة علماء الأنثروبولوجيا في تقديم دراسات أنثروبولوجية للإسهام في وضع حلول لمشكلات الرأسمالية المعاصرة، أملا في العثور على أجوبة من خلال دراسة المجتمعات البدائية شجعهم الى الترحيب بولادة فرع الأنثروبولوجيا الاقتصادية. وتجدر الإشارة ان تبلور فكرة انبثاق شعبة وفرع

الأنثروبولوجيا الاقتصادية جاء عبر نداء فريق من الأنثروبولوجيين بضرورة إنشاء الأنثروبولوجيا الاقتصادية التي تختص بدراسة اقتصاد المجتمعات البدائية وتلك التي تسير في طريق النمو، بعدما أخفق علم الاقتصاد الحديث في فهم وإيجاد الحلول للمشكلات الاقتصادية العالمية، بالإضافة إلى سقوطه في فخ الإيديولوجيا التي دفعته لدراسة الاقتصاد الرأسمالي وإغفال بقية الأنماط الاقتصادية للشعوب غير الرأسمالية.

لقد أعزى البعض الاخفاق في تحقيق التنمية إلى عوامل ذاتية كامنة في النسق الثقافي للمجتمع وفسرها آخرون بعوامل موضوعية أو مادية، وراها فريق ثالث في مجموعات متشابكة ومتداخلة تجمع بين ما هو مادي موضوعي، وما هو ذاتي ثقافي وما هو سياسي، وبين ما هو داخلي مرتبط ببنية ومورفولوجية المجتمع الاثنية، وما هو خارجي يتعلق بالعلاقات الدولية وأثارها في تشكيل أنماط قيمة مستحدثة.

تحدث جون بيار دي ساردون Jean-Pierre Olivier de Sardan في كتابه أنثروبولوجيا التنمية عن ثلاث مقاربات يتمحور حولها موضوع التنمية من الزاوية الأنثروبولوجية حين طرح حجم التداخل و التمازج الذي تشكله هذه الشعبة في ابدنيات البحث الانجلوفوني و الفرانكفوني في السنوات الاخيرة و نوه الى ضرورة التمييز و الفصل بين المقاربات الثلاث و هو السبيل الى رؤية الموضوع و دراسته بوضوح، المقاربة الاولى تتعلق بتفكيك بنية خطاب التنمية الذي يعزى غالبا الى براديجم واحد و هو خطاب التسلط و الهيمنة و الاستبداد، اما المقاربة الثانية فترتبط بالخطاب الشعبي الذي تغلب عليه منطلقات السياسية و الايديولوجيا و الذي يعتبر موجهاً للممارسات محدداً للمعارف و الاطر الثقافية و يفترض هذا النموذج استغلال الموارد المعرفية و المادية للشعوب خدمة للتنمية، اما المقاربة الثالثة فتتصب في الدفاع و الاهتمام بتقاطع و تماثل التصورات الاجتماعية و تباين و اختلاف الفاعلين المعنيين بتفعيل برامج التنمية و قواعدها. و عليه نستشف وفق ما طرح دي ساردون ان الاشتغال في حقل كهذا لا يتماس الا بالوقوف على المقاربات الثلاث التي ترسم طريقنا وتساعدنا في فهم الواقع والحفر في طبقاته الرفيعة والسميكة.

ومن هنا تجلت في هذا الإطار ووفق الأهمية القصوى للأنثروبولوجيا المهمة بالمجتمعات الريفية قيمة الدراسات التفكيكية التي تتحو صوب الخصوصيات الثقافية والمعطيات الاثنية وبخاصة تركيز على التغير الحاصل واثاره وانعكاساته التي تمس النشاطات والممارسات والدهنيات والتوجهات والسلوكيات.

فلا يمكن أن يعزل النسق الاقتصادي عن النسق الثقافي فأحدهما يكمل الآخر فالتحولات الاقتصادية تؤدي إلى تحولات ثقافية والعمليات الاقتصادية تخضع إلى قواعد تحريم ومعايير اخلاقية وذوقية.

إذ لا زال أغلب السكان في هذه البلاد يعيشون في المجتمعات الريفية بغض النظر عن النمط المورفولوجي الذي يتميز به كل مجتمع، ويعني هذا أن طابع الحياة في الكثير من الدول النامية مازالت تسوده المسحة التقليدية وغلبة الطابع الريفي سواء بالنظر الى نسبة العاملين في القطاع الزراعي او الى مجموع القوى العاملة او بالنظر للإسهام الذي يقدمه هذا القطاع في الانتاج القومي للبلاد¹.

ومن أجل فهم أعمق لتأثير التجربة التنموية على أنساق القيم، انطلقت الدراسات الأنثروبولوجية في تناولها ومعالجتها للقضايا المطروحة من النظرة البنائية الوظيفية التي تنظر إلى المجتمع باعتباره نسقا كليا يتضمن انساقا فرعية تقوم بوظائف محددة، ومنتظمة في إطار تكامل النسق الكلي للمجتمع وان العطب والخلل لا يفهم الا من خلال القراءة العميقة للتفاعلات الحاصلة والتأثيرات الواقعة والتراكمات المسجلة.

تأسيسا على ما تقدم فالموضوع الذي تحاول معالجته هذه الدراسة مرتبط بالتنمية التي قد يتبادر للأذهان منذ الوهلة الاولى انها تتحو اتجاه زاوية واحدة و هي المجال الاقتصادي الا انها و وفق ما تقتضيه ابعادها المتشعبة و ميادينها المتعددة المداخل و المقاربات و المتنوعة الحقول تتعدى و تتجاوز

¹ أحمد مصطفى خاطر، تنمية المجتمع المحلي الاتجاهات المعاصرة، الاستراتيجيات، نماذج الممارسة، الإسكندرية: دار المعرفة

الجامعية الأزرايطة، 2000، ص 58 1

هذا الافق الضيق و تفوقه شكلا و مضمونا، وهو ما أجمع حوله علماء الأثروبولوجيا حين تطرقوا للعلاقات السوسيو اقتصادية انطلاقا من دراسة الهبة لمارسيل موس و ما تلاها من دراسات ميدانية اخرى مبكرة كدراسات لوسي ماير و مالفينوفسكي و متأخرة كدراسة كريس هان و كيت هارث و جن بول دو ساردون.

إذاً ظلت الدراسات الاجتماعية لموضوع النمو والتنمية والتحديث إلى عهد قريب ذات طابع استرجاعي مركزه تركيزاً كاملاً على البلاد المتقدمة، ولم تحاول أن تتخذ طابعاً مستقبلياً في دراسته للدول النامية. و"كما يعبر عنه قاموس لاروس فإن التنمية في المنظور الاقتصادي، تبقى التطور النوعي الدائم لعوامل الاقتصاد الوظيفية الذي يؤدي إلى نمو المجتمع، واستنادا على هذا التعريف ظهر مصطلح المجتمعات النامية أو المجتمعات السائرة في طريق النمو للدلالة على تلك الدول التي كانت خارج إطار الدول الرأسمالية المتطورة، ودول المعسكر الشرقي الاشتراكية أما في إطار علم الاجتماع، فإن مفهوم التنمية لم يختفي من النظريات السوسولوجية منذ أن أسس سان سيمون علم الإنسان، واهتم من خلاله بالتحويلات الاجتماعية التي نقلت النظام الإقطاعي إلى المجتمع الصناعي واهتم كارل ماركس بتطور رأس المال ونتائج الحتمية التاريخية كما اهتم علم الاجتماع في حقبة تاريخية وبتجاهات مغايرة بمفهوم التنمية كما هو الحال عند هربرت سبنسر، ماكس فيبراميل دوركايم وغيرهم.

ونظرا لكثافة وتنوع ما جاءت به النظريات الاحتمالية حول التنمية تأسس في علم الاجتماع فرعا او تخصصا قائما بذاته يسمى علم اجتماع التنمية ولقد عرف علم الاجتماع غداة الحرب العالمية الثانية صياغة جديدة لمفهوم التنمية وتعريفا جديدا يستند اساسا على ظاهرة التفريق بين المجتمعات المتطورة

والمجتمعات المتخلفة¹.

ونجد أن الدول المتقدمة تقدم المساعدات والمعونات إلى بعض الدول النامية وإقامة مشروعات

تنموية فاشلة، ويكون فشلها عائد لسببين:

1. التركيز على الجوانب الفنية التكنولوجية والاقتصادية، وإهمال الجوانب المعنوية الثقافية

لعملية التنمية، لذلك يجب توعية أفراد المجتمع النامي بأهمية عملية التنمية وضرورة

المشاركة بها.

2. وقد يكون عائد لوجود أهداف تسعى لتحقيقها الدول المتقدمة في تقديمها للمعونات

والمساعدات وجعل الدول النامية كمنافذ لفتح أسواق تلك البلاد أمام سلع البلد الغنية، وخلق

احتياجات جديدة لدى جماهير المستهلكين فيها لضمان تسويق سلع القوى الكبرى و تكريس

فكر التبعية لدى دول الجنوب او دول العالم الثالث التي اعتبرت حقلا للتجارب و

المناورات الايديولوجية و حلبة للصراع بين الاقطاب المهيمنة على القرار الدولي، لذلك

نعتمد في قراءتنا للحالة و الوضعية التنموية بالاقتصاد السياسي الذي تحتاج الى تأصيلاته

الهامة في معرفة كل ماله علاقة بالمجتمعات النامية تماشيا مع خصوصية البحث

الأنثروبولوجي التي تركز على التنقيب في ما هو جزئي و تفصيلي تعتمد في الاساس على

دراسة الحالات الوضعية فهي بمثابة المادة الخام الضرورية لبناء المواضيع و طرح

النماذج و النفاذ الى اغوار الواقع والافصح عما يكتنف الظواهر من غموض و انطلاقا من

ضرورة ان تواصل الأنثروبولوجيا في ملاحظة الوحدات الصغيرة مهتمة بالعوالم التي

تتخللها و تكونها و تعيد تشكيلها².

¹ قويدر سيكوك، مرجع سابق

¹ مارك اوجي. أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة.. ترجمة وتقديم ميلود طواهري. دار الفجر الجدي. ص 14د2

وهو ما نحاول الانتباه اليه ونحرص على ابرازه بطرح عدة أسئلة تتسق وطبيعة البحث:

ظهر اهتمام العلوم الاجتماعية بالتنمية واستشكال قضاياها وبتناول محدداتها وعوامل قيامها كردة فعل للتغيرات التي حدثت في القرنين 18- 19 ميلادي. الثورات السياسية والصناعية والزيادة الهائلة في أعداد السكان.....الخ،، حيث ادت التغييرات والتحويلات الى ظهور العديد من المعضلات والمشكلات على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي والتي سعى علم الانسان والمجتمع الى مجابتهها بمعرفة الاسباب والعلل واقتراح البدائل والحلول والمخارج.

جدير بالذكر ان الاستقلال السياسي ليس غاية في ذاته انما هو بداية للتغير الاقتصادي والاجتماعي. وهو ما تم انتهاجه باعتماد مخططات و رؤى تنموية انبثقت عن استعارة نماذج اقتصادية عالمية "اشتراكية" التي تجلت محاولة تطبيقها في واقع مميز و معطيات غير مماثلة لبلوغ الاهداف المراد تحقيقها، و لا شك ان السير في رواق و نهج الارتقاء بالمجتمع من حالة الى اخرى محفوف بالتناقضات والمطبات التي تأخذ شكل المعوقات التي قد ترتبط و تتصل في الاصل بانعكاسات التحول من نظام الى اخر ومن مضامين ثقافية وظيفية الى اخرى رمزية غير قادرة على كبح السيل الجارف للتطور الحاصل، ومسايرة التغير العميق والمتسارع في نظم الانتاج و التوزيع الذي يجبرنا على تعديل وتطوير المهارات الحرفية والاقتصادية وضرورة التماهي مع الابنية الحديثة و التخلي عن النظم العتيقة، هي معطيات ووقائع نبغى من خلال هذا البحث كشف الغطاء عنها بالدراسة و التحليل لمجتمع طامح طامح لتحقيق التنمية المنشودة والمعيق المعترض لها في الوقت نفسه، بتخبطه في دهنيات تقليدية و لتثاقله بتراكمات تاريخية ثقافية متوطنة و متصلبة متجذرة في الضمير الجمعي و في الممارسات المختلفة و التي قد تحول دون تحقيق التنمية المنشودة. وكرنا للتنمية يسوقنا ويوجهنا ويحيلنا الى استشكال قضايا التنمية والى الرجوع الى الارضية التاريخية التي نشا في تربتها وبيئتها هذا المفهوم و هذا الموضوع المتشعب الواسع الذي تبنته حقول العلوم الاجتماعية والانسانية والذي أخذ قسطا وافيا

من المقاربات العلمية وفق مناهج مختلفة وإقترابات متباينة لكن بتقاطعات مشتركة ونقاط تماس متعددة متسقة.

مما لا شك فيه ان تخطي مرحلة التخلف والانتقال بالمجتمعات إلى مرحلة جديدة من الرقي والرخاء والنماء مطلب انساني وضرورة حضارية تقتضي وتتطلب فهم واقع المجتمعات ومعاينة نظمها الوظيفية الشاملة، ولعل الأنثروبولوجيا كحقل علمي لم تغفل عن تناول قضايا التنمية والتخلف انطلاقاً من صياغة المصطلحات وتحديد المفاهيم وصولاً الى الكشف عن الترابطية بين عناصر النسق العام ومدى اتصال واتساق عناصر البناء الكلي للمجتمع ببعضها البعض. فعلم الانسان يعلل ويفسر التغيرات والتطورات من خلال رسم المراحل التاريخية ورصد التطورات فهو يقوم على اهداف اساسية اهمها:

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم، في الحياة اليومية.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان: بدائي - زراعي - ريفي - صناعي - معرفي - تكنولوجي
- تحديد أصول التغيير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيير وعملياته بدقة علمية وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية / الحضارية

التي تتمّ دراستها، وبالتصوّر بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة¹.

فلا شك أن الارهاصات و المحاولات الأولية لدراسة النظم الاقتصادية في علم الأنثروبولوجيا انصبّت و اتجهت الى التفسير و الفهم و التشخيص و قد هدف علماء الأنثروبولوجيا إلى اكتشاف مبادئ التنظيم الاجتماعي على المستويات كلها، من أكثرها خصوصية إلى العام و الشمولي منها، وكان هدف الأنثروبولوجيا الاقتصادية في القرن التاسع عشر، حتى قبل أن تتشكل على هيئة علم اقتصاد الإنسان البدائي، هو اختبار الزعم القائل بوجود قيام نظام اقتصادي عالمي على المبادئ التي قام عليها مجتمع صناعي غربي يتوق إلى العالمية.. Universality. وكان البحث دائراً عن بدائل يمكن أن تؤمن اقتصاداً أكثر عدلاً، ليبرالياً أكان أم اشتراكياً أم فوضوياً أم شيوعياً ومن هنا جاء الاهتمام بالأصول والتطور، إذ كان مفهوماً أن المجتمع في حالة حركة، وأنه لم يصل إلى شكله النهائي بعد وكانت الأنثروبولوجيا هي الطريقة الأشمل للتفكير في الممكنات الاقتصادية تفرعت المعارف في القرن العشرين إلى درجة غير مسبوقة، متيحة المجال لظهور اختصاصات اجتماعية، وفق و العلوم الطبيعية، وصنفت الأنثروبولوجيا على أنها دراسية تهتم بتلك الأجزاء من النسائية التي لم تتمكن العلوم الأخرى من الوصول إليها.

وبإدخال الأنثروبولوجيا إلى الجامعات الآخذة بالتوسع، كان عمل الأنثروبولوجيين هو تجميع بنك من البيانات الموضوعية عن الثقافات الأخرى، معد لاستخدام المعنيين وقلة من الخبراء لا لاستخدام عموم البشر، وترسخت المهنة في النموذج باراديغم ثقافي نسبوي يعتبران لكل مجتمع ثقافته الخاصة ويتعارض بالتعريف مع حقائق علم الاقتصاد المعترف بها عموماً، كما بنى علماء الأنثروبولوجيا شهاداتهم على مكوّنهم واقاماتهم لفترات طويلة في مناطق نائية، ما أضعف كثيراً قدرتهم على تناول

¹ رالف لينتون. ص 15

المسار الاقتصادي العالمي.

وعليه فإننا نميز في تطور الأنثروبولوجيا الاقتصادية، بوصفها حقلاً مستقلاً، ثلاث مراحل:

أ. المرحلة الأولى:

التي امتدت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى أربعينيات القرن العشرين، أين انصب اهتمام معظم علماء الأنثروبولوجيا على ما إذا كان سلوك «المتوحشين الاقتصادي يستند إلى أفكار الكفاءة والعقلانية ذاتها التي يفترض أنها تحفز السلوك الاقتصادي في الغرب. وكرسوا جهودهم في البداية لوضع عروض موجزة من التاريخ العالمي الذي كان من وجهة نظرهم، عملية تطويرية.

ب. المرحلة الثانية:

وتأتي في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى، فقد أصبحت ممارسة العمل الميداني مهيمنة أكثر من أي وقت مضى، وسعي الإثنوغرافيون إلى ربط أعم فرضيات علم الاقتصاد السائد. «الكلاسيكي الجديدة بنتائجهم الخاصة عن المجتمعات البدائية. لكنهم أخفقوا أساساً لأنهم لم يفهموا المقدمات الأبنستمولوجيا لعلماء الاقتصاد.

في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، لأن الحرب الباردة كانت في أوجها، والاقتصاد العالمي مزدهراً، والحكومات في كل مكان تتعهد بتوسيع الخدمات العامة مع المحافظة على ضوابط صارمة بخصوص الأسواق المالية.

في تلك الظروف، كان علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية يتجادلون فيما بينهم في شأن النظريات والمنهجيات اللازمة لدراسة ميدانهم الخاص الذي كان قد امتد في ذلك الوقت ليشمل فلاح العالم إضافة إلى أبناء القبائل الذين كان عددهم في تناقص حينها، واعتقد الشكلاونيون. Formaliste. أن المفاهيم السائدة في علم الاقتصاد وأدواته كافية للقيام بهذه المهمة، في حين زعم الجوهريون. Substantivist. أن المقاربات المؤسساتية أكثر ملائمة، وكانوا يقصدون بكلمة المؤسساتية Institutional أن الحياة الاقتصادية في المجتمعات التي لم تهيمن عليها الأسواق المتجردة عما هو

شخصي متضمنة دائما في مؤسسات اجتماعية أخرى تتدرج من الأسرة الى الحكومة والدين.

مع التركيز على الثقافة والطرق التي سلكتها والتحويلات العميقة والحادة المتسارعة التي طرأت نتاجا لهذا الحراك الثقافي والتقني والقيمي، ولقد أكدت الدراسات الامبريقية العديدة على التأثيرات التبادلية ما بين البرامج التنموية ونسق القيم الاجتماعية، لتوجه الأنظار إلى ضرورة الاهتمام بإبراز مكانة العوامل الاجتماعية والثقافية في التنمية وأهمها القيم، وكذا تأثير مختلف برامج التنمية على تغير نسق القيم الاجتماعية". الامر الذي استقطب و استثار عديد التخصصات في الخوض فيها و البحث في عوامل الاخفاق و مسببات النجاح بالرغم من ان غايات التنمية كممارسة والاشتغال في تحقيقها قديم قدم الانسان لكنها كمفهوم عني و احيط بكثير من الاهتمام لم يبرز الا في العصر الحديث و تحديدا بعد منتصف القرن العشرين اين اتسعت الهوة و المسافة بين الدول او ما اصطلح عليه دول الشمال و الجنوب للإشارة الى الدول النامية و المتخلفة و الدول المتقدمة المهيمنة التي تسعى الى الاستقطاب و الدبلجة الممنهجة ومحاولة إذابة الاخر في نماذجها و معسكراتها سواءا فكريا او قيميا او اقتصاديا او إنسانيا وهي الممارسات التي تعرضت لها الدول التي خربتها و انهكتها الحرب العالمية الثانية او تلك التي نالت استقلالها و انطلقت في مساعي البناء الوطني واطلاق المشاريع والمخططات الهادفة الى الحفاظ على المكتسبات و توسيع الموارد و استغلال الطاقات وتنميتها و الخروج من دائرة التخلف و التبعية.

و هو ما لم يأتى و لم يثمر في كثير من الدول السائرة في طريق النمو على غرار الجزائر التي قد اصطدمت بعقبات او معوقات كبيرة ووقعت في ضبابية الرؤية الاستراتيجية رغم تبنيها لجملة من التجارب التنموية و رغم ما تتوفر عليه من موارد طبيعية و طاقوية الامر الذي رده و علله البعض بظاهرة العولمة التي تعكس في حقيقتها هيمنة الدول المتقدمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، فيما فسره البعض الأخر بطبيعة البناءات الاجتماعية الهشة التي ورثتها هذه المجتمعات عن الفترة

الاستعمارية، فضلا عن التفاوت الاقتصادي والاجتماعي الذي أفرزته التجارب التنموية التي طبقتها تلك البلدان.

3- التغيير الاجتماعي كمدخل للتنمية:

مما هو معلوم فإن المجتمعات الإنسانية تتطور وتتغير من فترة إلى أخرى وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة مغايرة، ويحدث هذا التغيير أو الحراك على مستوى الأفكار و القيم و المعتقدات و المهارات و الفنون و النشاطات الثقافية و الاجتماعية التي تركز عليها النظم الاقتصادية و المتمثلة في أنماط الأفعال و الممارسات الاجتماعية و الأساليب التي تستخدم لإشباع حاجات الإنسان المادية من إنتاج السلع النادرة والضرورية والمتعددة ومقايضتها و توزيعها واستهلاكها، وتبادلها فالإنسان يحتاج إلى الامن والغذاء و المسكن و الملابس و المأوى ليحقق وجوده و ليشبع حاجاته¹.

لذلك نجد التغيير الاجتماعي يشمل كل التغييرات الطارئة في مختلف الميادين الأخرى، أو بلفظ آخر: "إن المجتمع بحوامله المختلفة هو المرأة التي تنعكس عليها أو فيها كل التغييرات التي تطال الميادين الأخرى: الأخلاقية، النفسية، السياسية، الاقتصادية وغيرها"² وبالتالي فإن كل محاولة لتعريف مفهوم التحول الاجتماعي، تواجه مشكلات، وتنتج هذه المشكلات من تنوع التعريفات من جهة، ومن الطابع المعقد لعملية التحول الاجتماعي.

وأن الحديث عن التحول الاجتماعي يعني الحديث عن المجتمع برمته في تفاعلاته المعقدة وفي اتساعه في الزمان والمكان، كما أنه يشير إلى نقيضه أي إلى عناصر الثبات والاستقرار في المجتمع. فليس هناك تغيير

¹ رالف ل. بيلز، هاري هويجز: مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، ترجمة: محمد محمود الجوهري، سيد محمد الحسيني، يوسف ميخائيل أسعد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1988، ج2، ص 828

² عزت السيد أحمد، القيم بين التغيير والتغيير المفاهيم والخصائص والآليات، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد الأول والثاني، 2011، ص.607

بغير ثبات. ويمكن تصنيف تعريفات التغير الاجتماعي إلى خمس أصناف.

الأول: التعريفات التي تركز على التغيرات الهيكلية في البناء الاجتماعي: أي أن التحولات والتبدلات تكون

في الهياكل الأساسية في المجتمع مثل حجم المجتمع، وتركيب أجزائه المختلفة.

ومن أبرز المفكرين في هذه التعريفات نجد جينزبرغ Ginsberg الذي حدد التغير في البناء الاجتماعي

كالتغير في حجم المجتمع، وتركيبه ونمط التوازن بين أجزائه أو نمط تنظيماته، مثل تساؤل حجم الأسرة

وتحل الاقتصاد المعيشي على إثر ظهور المدن والتحول من الطوائف المهنية إلى الطبقات.

وهناك نوع آخر من هذه التعريفات قدمه ولبرت مور W. Moor حيث يقول إن التغير تبدل جوهري في

البنية الاجتماعية والتواصلية والثقافية وما تحمله من مضامين، أي في أنماط الفعل الاجتماعي¹.

كما للإنسان حاجات اجتماعية تدفعه للاتصال بغيره وفق أدوات اتصالية ثقافية تكاملية رمزية ووظيفية.

انطلاقاً من هذه العناصر تشكلت الملامح الرئيسية لعلم الأنثروبولوجيا الذي اهتم بالجماعات الإنسانية

وسلوكها ونتاجها.

ان علم الأنثروبولوجيا ومنذ بداياته الأولى و المبكرة اشتغل و دأب للتنقيب و التحري و التقصي

والبحث في كنه الانسان و طبيعته والخوض في ابعاده المتعددة المترابطة عبر تصنيف المجتمعات

وتحليل الثقافات و تحديد المراحل و الحالات التي مرت بها الشعوب، وقد صب علماء الأنثروبولوجيا

جهودهم و ركزوا اهتماماتهم في سبيل وصولهم الى اجوبة لأسئلة مطروحة وللغموض الذي اكتنف

كثير من القضايا و الخبايا و الخفايا و هذا بسعيهم للوصول و بلوغ بيانات العلبة السوداء للجنس

البشري التي تختزن كثير من المعطيات والتي بالحصول عليها يمكن ان نحدد اسباب التمايز واصل

الفوارق والاختلافات ونشخص مكامن الخلل التي تعترض بعض المجتمعات في اللحاق بركب التطور

¹ أحمد زايد واعتماد محمد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2000، ص 18 .

وتحول دون تجسيد التنمية بمختلف مستوياتها و مجالاتها و اشكالها.

من هنا ووفق هذا المعطى تبنت الأنثروبولوجيا قضايا التنمية و جدير بالذكر أن التطبيقات العلمية والمعرفية للتنمية بدأت تلوح مع بدايات القرن التاسع عشر وذلك عن طريق ملاحظة ظواهر اجتماعية واقتصادية فاعلة في التغيير الاجتماعي الذي صاحب النهضة الصناعية في المجتمعات الأوروبية، كزيادة المردود الإنتاجي الفرد وارتفاع الإنتاج القومي من السلع والخدمات وغيرها، تم عرفت هذه التطبيقات تحولا منهجيا مهما مع نهاية الحرب العالمية الثانية - منتصف القرن الماضي - خصوصا في مجال التفاوت بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة دول الشمال ودول الجنوب. وقد استقر النظر إلى مشكلات التنمية - بادئ الأمر - على أنها متعلقة بالمشكلات التكنولوجية والاقتصادية البحتة، ثم سرعان ما تغيرت الرؤى لتطال التنمية إلى إشكالات الوسط الاجتماعي والثقافي والتغيرات المتعلقة بهما.¹

وعلى ضوء كل هذه العوامل اهتمت الأنثروبولوجيا بمسائل التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمعات، مركزة على التحولات البنائية التي عرفتتها هذه المجتمعات، وهو ما يقصد به "مجموع التحولات والتغيرات التي تصيب المجتمع خلال تحوله من حالة الركود والتأخر إلى حالة من النشاط والحركة في كل الأنساق والأبنية السوسيو ثقافية والاقتصادية وحتى الدينية، والتي تهدف إلى طي مرحلة ما، والتوجه بنشاط وعزم للولوج إلى حياة أحسن وأفضل في مختلف المجالات، أو هو ما يتطلب من الباحثين التوجه الجاد نحو دراسة النظم والبنى الاجتماعية للمجتمعات المحلية في المجتمعات المستقلة حديثا وخاصة منها تلك الأقاليم الريفية التي نحاول من خلال هذا البحث معاينتها باعتبارها حقول بحثية تحتاج إلى تكثيف الابحاث والدراسات و توسيعها عبر النقاء و تقاطع عدة تخصصات في هدف و غاية التنمية التي ضاعت و تلاشت و تبددت لعدم انسجام و تواءم المخططات

¹ -سيد احمد اوراغي، مقال منشور في مجلة أنثروبولوجيا، العدد الأول.

و المشاريع الحكومية مع طبيعة هذه التجمعات السكانية الحضرية و الريفية، لأن هذه المجتمعات تعاني أكثر من غيرها، فهي تتميز بارتفاع النسب العالية جدا من الأمية بين السكان، بالمعنى السوسولوجي للأمية، وهو ما زاد من تأخرها ووسع من انتشار الفقر والبؤس والمرض بين سكانها¹. ان جوهر التنمية هو تلك السلسلة المتكاملة من العمليات المحدثة لتغيير في الجوانب البنائية والوظيفية بحيث يتحقق التكامل بين كل مجالات وقطاعات النشاط في المجتمع من خلال الاستثمار الامثل للموارد البشرية والمادية والتنظيمية².

وهي تركز في الغالب على دراسة التقاليد و العادات و النظم و العلاقات بين الأفراد و الأنماط السلوكية المختلفة بحيث أنها تدرس الحياة الاجتماعية و تنظر إليها نظرة شاملة وتهتم بدراسة البنية العامة و نظام التبادل الاقتصادي فنجد مثلا أن الحرف اليدوية تمثل العمل الذي نشأ قديما مع الإنسان ولا زال يصاحبه إلى غاية يومنا هذا، وتهتم بالعائلة و نظم القرابة و الدين، بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصصة إلى حد بعيد حيث تذهب إلى دراسة ظواهر محددة أو مشكلات معينة كالطلاق والأسرة الجريمة والبطالة والانتحار والتنظيم العمالي.... الخ و بصورة موجزة مختصرة نخلص إلى أن الأنثروبولوجيا تبحث عما يوجد وراء أفعال الأشخاص فهي لا تبحث عن الحقيقة بل عن المعنى والأبعاد حيث أنها تجعل الباحث يشعر بأنه اقدر على إدراك ما وراء الكلمات و العبارات مظاهر السلوك من معان خفية و تجدر الإشارة إلى أن هناك تخصص جديد النشأة يطفو على السطح و هو السوسيو-أنثروبولوجيا الذي يزيل كل الحواجز و الفوارق بين الحقلين³.

وهو تخصص يهتم بدراسة النظم الاجتماعية والاقتصادية والبناء الاجتماعي والأدوار والثقافة والتغير من

¹- عبد الحميد بوقصاص: التنمية في المجتمعات الريفية بين الواقع والأهداف، مجلة التواصل جامعة عنابة) مقاربات سوسولوجية للمجتمع الجزائري، ع 06، جوان 2000، ص .

²- ماهر ابو المعاطي علي الاتجاهات الحديثة في التنمية الشاملة المكتب الجامعي الجديد 2012مصر. ص 19

³- سليم درنوني. دورية كراس الثقافة 6. دار الطلائع أبريل 2010 ص 9

منطلق ووفق طرح سوسيو-أثروبولوجي، حيث يقوم العلماء الأثروبولوجيين بدراسات واسعة ومتنوعة لقضايا السكان والتنمية، وينكبون على الدراسة العمليات الاثنوديموغرافية في العالم المعاصر بعمق وشمول وفي ضوء المشاكل التي ازدادت حدة في الآونة الأخيرة. ويقومون بتحليل العمليات الديمغرافية التي شهدها العالم في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد طرأت تغيرات كبيرة على حركة وتركيب سكان كوكبنا الأرض، فانتهاج الاشتراكية في جملة من بلدان العالم، وظفر أكثر من مائة دولة بالاستقلال الوطني، والتي كانت قبل ذلك في المستعمرات أو شبه المستعمرات، والتطور الاجتماعي والاقتصادي المتسارع وانتشار التصنيع في العديد من البلدان المتخلفة سابقاً، والزيادة السريعة لسكان المدن فيها.

إن هذا كله أدى مع انخفاض الوفيات بشدة إلى تغير ملموس في مختلف المعطيات الديمغرافية. وازدادت الفوارق بين البلدان المتطورة صناعياً والبلدان النامية في تركيب السكان وطابع تجديده. وإلى جانب ذلك يجري التقريب بين بعض المؤشرات الديمغرافية في البلدان ممن شتى الأنماط وفق المسار والخط الناتج عن عمليات التغير الاجتماعي.

هذا التغير والتحول والانتقال من واقع إلى آخر ومن حالة اجتماعية واقتصادية وثقافية إلى حالة مغايرة يشمل ويمس كل الجوانب في الحياة مادية كانت أو غير مادية.

وبما أن الجانب المادي هو امتداد لما ينتجه الفكر من ابتكار وتحديث وتعديل جراء اتساع الأفق العقلي للإنسان وتطوره في ميدان العلم وتدرجه في سلم الحضرة والتقدم والتحديث، ومعلوم ان التحديث كفكر وتيار واتجاه ظهر وبرز في الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي العشرين وهو يستند إلى التصنيفات الثنائية الكبرى مثل ثنائية دوركايم و تونيز، حيث يصنف المجتمعات إلى مجتمعات حديثة ومجتمعات تقليدية، كما طورت مؤشرات ومفاهيم هذا الاتجاه لإيجاد اساس لهذا التصنيف، ومن ابرز المنظرين لهذا الاتجاه مجموعة من الباحثين الأمريكيين وأبرزهم بارسونز وقد أكد هؤلاء على ان التحول من العلاقات الاقتصادية المحدودة للمجتمع التقليدي إلى المؤسسات الاقتصادية التجديدية المعقدة التي يعرف بها المجتمع الحديث امر لا مناص منه فهو حتمي و

محصل لتطور وتباين النظم كما يعتمد التحديث على تغيير مسبق في قيم ومواقف وأعراف الناس و ثقافتهم و عاداتهم و وظائفهم وعلاقاتهم من هنا جاءت أنثروبولوجيا التنمية كمقاربة و شعبة من شعب الأنثروبولوجيا لترسم ملامح و مؤشرات وسمات المجتمعات في تباينها و تمايزها احيانا و تشابهها و تقاربها احيانا اخرى، و الظاهر أن أنثروبولوجيا التنمية يمكن عدّها علما حديث النشأة قياسا إلى فروع أخرى من فروع الأنثروبولوجيا، وهذا على الرغم من أن موضوع التنمية عرف منذ زمن بعيد من تاريخ البشرية، بيد أنه علميا لم تتضح معالمه ولم تتجل حدوده إلا مؤخرا، وقد بدأت قضية "التنمية" تحتل موقعا معرفيا مهما في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، على اختلاف مشاربه واتجاهاته الأيديولوجية.

ومن الناحية الاصطلاحية تؤكد أنثروبولوجيا التنمية - كما يشير مصطلحها - أهمية التغيير الاجتماعي والثقافي، والمشكلات التي تثار ههنا هي كيف يمكن رصد التغيير والتنبؤ بنتائجه ومن ثم توجيه مساراته، فهي تنظر إلى التغيير على أنه خاصية مميزة لكل الثقافات في تفاعل دينامي مع القومية التي تدعم الاستقرار. وتذهب أنثروبولوجيا التنمية إلى ما هو أبعد من المشكلات النظرية، فهي لا تهتم بعمليات التغيير ومصادره فقط، بل تهتم أيضا بالأساليب التي يمكن من خلالها تحريك هذه العمليات والمصادر وتوجيهها والتحكم فيها".

فظهر أنثروبولوجيا التنمية كفرع قائم بذاته مستقل بمعالمه جاء كنتيجة لتطوّر جهود الخبراء في شتى الحقول والمجالات من اجل تشخيص مكامن الخلل والاسباب والعوامل المعيقة لعملية التنمية بمختلف انواعها واشكالها ومستوياتها لا سيما التركيز على الانسان او بالأحرى تكثيف الجهود والمسااعي لفهم البيئة الاجتماعية والأرضية الثقافية وتفكيك عناصرها تدليلها صياغة وتحديد الحكام في وضع سياسات تنموية وخطط هيكلية تنظيمية اجتماعية وثقافية واقتصادية.

وكذا لانتفاحه على ثقافات المجتمعات الأخرى، تبعا ونتيجة لهذا كله يتم الانتقال من استخدام الوسائل والأدوات البسيطة المستعملة في الإنتاج الزراعي أو الحرفي التقليدي. إلى استخدام الوسائل والآلات المتطورة المركبة العالية التقنية، ما ينتج عنه التغيير في علاقات الإنتاج وفي البناء الاجتماعي الثقافي والاقتصادي وفي

النسق العام للمجتمع ككل.

لبناء اقتصاد جديد والقضاء على الجهل ومسيباته والفقر والأمراض ومسيباتها ، تستدعي اتخاذ توجهات وسياسات تعتمد على إمكانات وموارد كل دولة و وفق أيديولوجياتها مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل الخارجية التي تؤثر في هذه الدول ، ومعروف إن قيام الثورة الصناعية في أوروبا وانتشارها إلى أقطار العالم مثل اليابان و الاتحاد السوفيتي قد حقق نجاحات في النمو والتقدم على الأصعدة جميعها ،لذلك اجتهد الباحثين و المتخصصين في دراسة التجارب لوضع نظريات أو افتراضات لتفسير كيفية التحول من حالة التخلف إلى حالة التقدم في محاولة لإيجاد سبل لنقل الدول النامية إلى مصاف الدول المتقدمة .وقد اختلفوا بذلك ويرجع سبب الاختلاف إلى أسباب عديدة منها ما يتعلق بالمفهوم واقصد مفهوم التنمية ومنها اختلاف بالمنطقات التي تتخذ كقاعدة للتنمية.

وفي الواقع إن حراك المجتمع و التغيير الاجتماعي الذي يشهده و الانفتاح الذي يربطه باقتصاديات الاخر لا يمر بصفة عادية ولا يكون ايجابيا في كل الحالات، بما انه يؤدي إلى القضاء على العديد من القيم و النشاطات والمظاهر الاقتصادية المحلية التي تحمل في طياتها آفاقا مادية واعدة وفي عمقها دلالات ورموز ثقافية أصيلة بحثه و من هنا كانت الضرورة في الوقوف و المعالجة لمعوقات و مقومات التنمية في منطقة العين الصفراء التي تعد وجهتنا وموضوع بحثنا هذا .ومما هو معلوم فان الاقتصاد مرتبط بالثقافة التي توجه المجتمع المحلي و تدفعه الى اختيار النماذج الانتاجية كالحرف و الصناعات التقليدية فالصناعات التقليدية و الحرفية تعمل على خلق قيم اجتماعية لدى الأفراد، أهمها الانتماء في أداء العمل الحرفي إلى نسق اسري متكامل عبر أقاليم مختلفة¹.

إن البحث في موضوع التنمية و الخوض في مسألتها و قضاياها يسوق و يوجه الباحث إلى الاعتماد على الدراسة السوسيو أنثروبولوجية والدراسة الاقتصادية كون هذه الاخيرة ترتبط بالمجتمع و ثقافته و توجهاته و مميزاته، ومستوى حراكه ومدى تغييره الاجتماعي و نمط حياته الاقتصادية، لما يوجد في هذه الحقول المختلفة من تحليل علمي دقيق و موضوعي وبخاصة لموضوع التغيير الاجتماعي والثقافي و التغيير في نمط و أساليب الإنتاج

¹عبد ه أبو السيد احمد فتحي الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.2005ص62

الذي سوف نحاول الرجوع و الاعتماد عليه في تفسير و تحليل و دراسة هذه العملية المتعددة الأبعاد و خاصة البعد الثقافي الذي تهتم به الأثروبولوجيا بشكل محسوس و ملموس فهي احد العناصر الأساسية لمقومات أي مجتمع لاحتوائه خلاصة تجاربه و خبرته التراكمية و أن الإنهال من تجارب الأسلاف يعني تجدداً للأفكار الملهمة للأجيال القادمة و إن الاتصال و التواصل بماضي المجتمع المتجلي في نتاجه و مردوده يعزز الاندفاع الإيجابي الذي تتطلبه الحياة المعاصرة، و يضمن في الوقت نفسه التوازن لتفاعل عطاء و فكر المجتمع المحلي مع العطاء و الفكر العالمي فلا اقتباس إلى حد الذوبان و التقليد لا انغلاق إلى حد التخلف و التوقع¹.

وبما أن التنمية الدائمة لا تبنى على التطور الصناعي بل يغذيها التراث الثقافي و موارد الطبيعة و النشاط الثقافي الذي كان يمثل في الماضي لبنة أساسية في البناء الاقتصادي و الاجتماعي على غرار الحرف التقليدية و محرجاتها الذي كانت تعكس من خلال ما تنتج أنامل الحرفي المظهر الحضاري، و الإبداع الفني و الثقافي لمجتمعه أو لمنطقته ككل فمن خلال وظيفته كحرفي تمكن من تحصيل معاشه و حافظ على ارثه الثقافي و ساهم في توطيد العلاقات بين أفراد عشيرته.

حيث نجد أن الحرفة متوارثة أبا عن جد كما أنها تعبر عن انتماء الحرفي لبناء ثقافي و تشكيل اجتماعي معين بحيث يتجلى هذا و يظهر من خلال الموثيقات المعتمدة أو النمط الخاص الذي تتميز به صناعة كل منطقة، فالحرف التقليدية وجود اقتصادي يعكس وجوداً ثقافياً و يعكس وجود اجتماعي، أما فيما يخص الأبعاد الثقافية فالمعروف أن المنطقة تمتاز بتنوع التركيبة البشرية فنجد القصور الذين يعتبرون الأقلية مقارنة بالقبائل الأخرى، وهم الشلوح و يسكنون القصر كما يسمى محلياً و يعتبر نشاطهم الرئيسي هو الزراعة مع امتهاتهم لأنواع متعددة من الحرف اليدوية.

فالقصر نمط حاسم لصيرورة المعرفة من جهة وهي قيمة حقيقية بسبب وظيفتها المميزة و الهادفة للمحافظة على العادات و المعتقدات و القيم وهي اشكال يراها المجتمع موافقة لخصائصه و مختثة لمطامحه المشروعة

¹ علي عبد المعطي محمد. فلسفة الفن، رؤية جديدة دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985. ص 89

والمنسجمة مع المراحل التاريخية والحضارية يحيى ويعيش فيها ذلك المجد.

ونجد العمور الذين يمثلون الأغلبية في المنطقة ويعيشون و يتكسبون من النشاط الرعوي و تنمية الثروة الحيوانية و يقطن أغلبهم بالبادية ذلك لحاجتهم الضرورية لترحال المستمر و التنقل طلبا للمراعي و مواطن الماء و الكلاً، و رغم أن المنطقة عرفت نزوحا ريفيا رهيبا بسبب و نظرا للعديد من العوامل والأسباب كالجفاف أو بسبب التحولات الجزرية التي عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال و ما يعرف بالهجرة الريفية إلا أن بقاء و تمسك فئة من المربين بحياة البدو و الترحال ساهم في الاحتفاظ بهذه الثروة الحيوانية و سلامة سلالاتها و زيادة عددها، التقليدي، و ينتهي نسب العمور إلى بني هلال التي دخلت الجزائر حوالي القرن الحادي عشر ميلادي، وهم يشكلون مع القصور و بقية سكان المنطقة وحدة متكاملة في إطار التكامل الاقتصادي الثقافي والاجتماعي.

الفصل الثالث
تحولات وسياسات التنمية
وتوجهاتها في الجزائر بعد
الاستقلال

تمهيد:

يحاول هذا الفصل رصد بعض التحولات في المجتمع الجزائري عموما ، انطلاقا من كوننا في حاجة إلى فهم أثر هذه التحولات في قيم وسلوك أفراد المجتمع و أثرها على قيم الإنتاج و على مسار التنمية ككل، في ظل رهان التكيف مع التحولات الحاصلة محليا وعالميا خصوصا ما يرتبط بقيم العمل، ومن ثم فهم آليات السلوك والفعل الاجتماعي في البنية الثقافية، و لا شك أن الالمام بهذه المعطيات لا يتأتى إلا بفهم التغيرات والتحولات التي تحدثت على مستوى الماكرو المجتمع والتي تنعكس على مختلف البنيات والأجزاء وكذلك قيم وتوجهات ومواقف الأفراد والجماعات.

من المهمات الأساسية للأنثروبولوجيا رصد التحولات التي يعرفها المجتمع في مختلف المجالات في فترات زمنية محددة وهذا في سبيل فهم مختلف الظواهر انطلاقا من التراكمات التي أنتجتها وقوى التغيير التي تساهم في حركية وديناميكية المجتمع، ولا يختلف اثنان في أن المجتمع الجزائري عرف جملة من التحولات في العقود الأخيرة اجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا أثرت على بنيته وسلوك أفراد وقيمهم واتجاهاتهم، ومنه يمكن رصد بعض مظاهر التحول في المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة في المجالات التي ذكرناها.

لقد تعرض المجتمع الجزائري كغيره من مجتمعات العالم إلى عدة موجات تغير على مستوى بنيته الاجتماعية الثقافية، والمسلمة التي ننطلق منها هي أن المجتمع الجزائري عرف تحولات نوعية في بنيته وقيمه من خلال عوامل يمكن إجمالها فيما يلي: الاستعمار، سياسة الدولة بعد الاستقلال، الأزمة الاقتصادية والاجتماعية 1980-1990 ، إعادة الهيكلة الاقتصادية، العوامل الديموغرافية، التربية والتعليم، وانتشار وسائل الإعلام وانفتاحها.... الخ¹، وهذه العوامل ساهمت في التحولات

¹-Sidi Mohammed MOHAMMEDI : changement social et famille en Algérie, les cahiers du CRASC n°27, 2013, p110.

الاجتماعية والاقتصادية والقيمية على مستوى بنية المجتمع ككل.

1- أهم التحولات التي شهدتها المجتمع الجزائري:

١- التحول في المجال الديموغرافي:

عرف المجتمع الجزائري في العقدين الأخيرين تحولات على المستوى الديموغرافي مست حجم السكان وتركيبهم وتوزيعهم، ويمكن ملاحظة هذا التحول من خلال بعض الإحصائيات من مصادر مختلفة، علما أن أهم مصادر المعطيات الديموغرافية تتمثل أساسا في التعدادات والمسوح والسجلات الحيوية، فحسب الديوان الوطني للإحصائيات.ONS.1 فقد بلغ عدد سكان الجزائر في 1 جويلية 2016 حوالي 40.8 مليون نسمة بمعدل نمو طبيعي قدر بـ 2.17% نظرا لزيادة حجم الولادات الحية وتراجع حجم الوفيات، ومن المتوقع أن يصل إلى 42.2 مليون نسمة في جانفي 2018، وهذه الزيادة في حجم سكان الجزائر مرتبطة بتحسين الرعاية الصحية، علما أن عدد سكان الجزائر بعد الاستقلال قدر بحوالي 12 مليون نسمة ، وسنة 1982 بـ 18 مليون نسمة وسنة 1990 قدر بحوالي 25 مليون نسمة ، وسنة 2000 بـ 30 مليون نسمة أما سنة 2010 فقدر بـ 35 مليون نسمة ، في حين لم يعرف سكان الجزائر بعض تحولات كبيرة في تركيبة السكان من حيث متغيري العمر والجنس ، ففي سنة 2016 قدرت نسبة السكان الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة بـ 29.3 % بزيادة طفيفة عن سنة 2015، أما نسبة السكان في سن النشاط الاقتصادي فقدت بـ 61.8% حيث تراجعت بالمقارنة مع سنة 2015، في حين ارتفعت نسبة السكان فوق 60 سنة وقدرت بـ 8.9% مقارنة بسنة 2015، أما من حيث الجنس فلم تسجل تغيرات كبيرة في نسبة الذكور مقارنة بالإناث، فعدد الذكور حسب الإحصائيات يفوق بقليل عدد الإناث منذ بداية التعدادات الرسمية والمعطيات الديموغرافية

¹ الديوان الوطني للإحصائيات، 2017.

² المرجع نفسه.

باستثناء مرحلة ما بعد الاستقلال مباشرة، كما تظهر التغيرات الهيكلية للهيم السكاني التي بدأت منذ 30 سنة ولا زالت متواصلة من خلال اتساع قاعدته فحجم فئتي السكان من 0-4 و 5-9 سنوات سنة 2016 هو الأكبر كما يلاحظ تراجع حجم الفئات العمرية 10-14 و 15-19 و 20-24 سنة.

وعلى العموم يمكن رصد مظاهر التحول الديموغرافي في المجتمع الجزائري من خلال مايلي:

- الزيادة في حجم السكان نتيجة لزيادة معدل الولادات وتراجع الوفيات، وهذا مرتبط بتحسين الرعاية الصحية والاستقرار الأمني والسلوك الإيجابي في المجتمع.
- زيادة الكثافة السكانية في المدن نتيجة الهجرة من الأرياف لظروف أمنية أو اقتصادية.
- من خلال الهيم السكاني يلاحظ استمرار اتساع قاعدته مع تغيرات طفيفة في التركيبة السكانية من حيث العمر والنوع.

وبالتالي يمكن القول أن التحول الديموغرافي قد مس تركيبة السكان خاصة من حيث العمر، وتوزيعهم من حيث الكثافة السكانية في الريف والمدينة، وكذلك الحجم من خلال الزيادة المستمرة في كل سنة في عدد السكان، ومن ناحية أخرى يمكن رصد بعض التفاصيل والجزئيات في التحول الديموغرافي كالخصوبة والولادات ومعدلات الزواج والطلاق ومعدل الإعالة ونشاط السكان، وكذلك معدلات الهجرة الداخلية والخارجية، وهي متغيرات هامة في معرفة التحول الديموغرافي من خلال مقارنة المعطيات حسب السنوات، ويبقى التحول الديموغرافي أحد مظاهر التحولات السريعة التي يعرفها المجتمع الجزائري بحيث لها علاقة بالأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

٣-١- التحول في المجال التربوي:

يقول مالك بن نبي: "يجب إعادة النظر في المدرسة، ليس من الناحية المادية بل على أنها المعبد

الذي يتشعب فيه الضمير بالقيم فبقدر ما تستعيد معناها الأصلي تستطيع القيام بدورها الثقافي¹.

تعتبر منظومة التعليم مؤسسة في التنشئة الاجتماعية بما يتوافق مع تطلعات السلطة السياسية والأهداف التنموية والاقتصادية مع مراعاة هوية المجتمع وعناصره الثقافية، ومما يجدر الإشارة إليه ان معظم الاقتصاديين الإنمائيين ذهبوا إلى فكرة المطلب الأساسي للتنمية وهو توافر المناخ المناسب للإنسان لكي يتعامل بفعالية مع المادة لإحداث التنمية وفق إستراتيجية جديدة، وهي التعليم من أجل التنمية أي تعليم الإنسان كي يتعرف على حقوقه الأساسية المشروعة ويحصل عليها فيكون مشاركا فعالا في تحقيق التنمية المنشودة².

وقد عرفت منظومة التربية والتعليم، والتعليم العالي في الجزائر عدة تحولات منذ الاستقلال خاصة في عدد التلاميذ والطلبة ونظام التدريس والبرامج البيداغوجية وحركية الإصلاحات التي قامت بها الدولة خاصة تلك الإصلاحات في قطاع التربية في جويلية 2002 كاستجابة للتغيرات السريعة التي عرفتها الجزائر منذ 15 سنة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية³.

بالإضافة إلى الإصلاحات الهيكلية في العشريات التي سبقتها، وقد مست هذه الإصلاحات الجوانب البيداغوجية بالدرجة الأولى في محتوى البرامج التعليمية تماشيا مع تحديات العولمة في تصور وزارة التربية الوطنية.

لقد فرضت التحولات السوسيو-اقتصادية على المستويين المحلي والعالمي على الدولة إصلاح منظومتها التربوية فاتجهت نحو "العقلنة التربوية"⁴ كرهان جديد وذلك بإنشاء مدارس ذكية والسعي

1- بن براهيم الطيب مرجع سابق 69

2 نحو مجتمع المعرفة والتنمية المستدامة في الوطن العربي، بين الواقع والمأمول، مركز الإنتاج الإعلامي، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، السعودية الإصدار 11، سنة 1427هـ/2006، ص290

3 Sous direction de Toualbi Noureddine : La refonte de la pédagogie en Algérie , UNESCO , ONPS, 2005, p7.

4 Ibid,p20.

لتحسين جودة العملية التربوية، رغم أن هذه الإصلاحات طرحت إشكالات وأفرزت جدلا أبستمولوجيا وإيديولوجيا على مستوى النخب والمهتمين بالحقل التعليمي، ومن جهة أخرى فقد عرف قطاع التربية والتعليم في الجزائر زيادة معتبرة في عدد التلاميذ من الذكور والإناث، فقد بلغ عدد التلاميذ في مختلف الأطوار التعليمية قرابة ثمانية ملايين تلميذ سنة 2011 بعدما كان يقارب مليونين سنة 1970، وستة ملايين سنة 1990، أما سنة 2000 فكان يفوق سبعة مليون تلميذ، كما ارتفعت نسبة تدرس الإناث بالمقارنة مع العقود السابقة، حيث بلغت سنة 2008 حوالي 94.31 بالمائة بعدما كانت لا تتجاوز 41 بالمائة سنة 1970 و 77 بالمائة سنة 1990¹

وهذا راجع إلى التحول الديموغرافي في المجتمع الجزائري وأيضا إلى تحسن ظروف التدرس والهجرة من الريف إلى المدينة بالإضافة إلى إجبارية التعليم، كما يلاحظ ارتفاع نسبة الإناث المتمدرسات عكس المراحل السابقة التي كان فيها تعليم الأنثى يلقى بعض الصعوبات المرتبطة بثقافة المجتمع خاصة في المناطق الريفية فالتغير السوسيو-ثقافي في المجتمع وتغير بعض القيم في التعامل مع الأنثى أزال التحفظ على تعليمها وتدرسها.

2- نظرة القروي الريفي للتعليم:

يمكننا ان ندرج هنا التحليل الذي قدمه "الآن توران" حول تفكير القروي في كتابه "علم الاجتماع القروي": ترتبط نظرة القروي الريفي إلى التعليم بعاملين هما: مجموعة القيم التي توجه حياته ويسعى إلى تحقيقها إضافة إلى حاجاته الرئيسية على أساس أن الزراعة هي مهنته الأولى والأخيرة. فمن حيث القيم الأساسية في حياة القرويين فكانت تنلخص في قيمتين أساسيتين هما المهارة في العمل الزراعي والقدرة على الإنجاب، وإنجاب الذكور بخاصة وهما قيمتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا بالمظهر العائلي

¹ - الديوان الوطني للإحصائيات، 2017. انظر الملاحق).

للحياة الاجتماعية والاقتصادية بالريف ، فالرجل يرتفع قدره في العائلة أو ينخفض تبعاً لتفانيه في العمل الزراعي وقدرته على إتقان جميع عملياته¹ ، فالأرض والأولاد هما المظهران المميزان لقوة العائلة ونفوذها بين العائلات ولهذا كانت معرفة القراءة والكتابة تعتبر هدفا يسعى إليه الفرد أو تضمه العائلة في حساباتها وتنظيماتها لحياتها العامة ، ومن حيث احتياجات العائلة كانت تحتاج إلى اليد العاملة أكثر من حاجتها إلى التعليم ، لكن ليس معنى ذلك أن التعليم على أية صورة لم يكن له وجود في القرية ولكن طريقة معيشة القرويين وسيادة المهنة الواحدة على نشاطها جعلهم يدورون في إطارها ، أما إذا ارتبط التعليم بحاجة دينية يكون في هذه الحالة مرغوباً وفي أضيق الحدود.

مما سبق يمكن إجمال التحول في قطاع التربية والتعليم في الجزائر من خلال ما يلي:

- الزيادة المستمرة في عدد التلاميذ في مختلف الأطوار التعليمية. الابتدائي والمتوسط والثانوي وما صاحبها من زيادة المنشآت القاعدية. المدارس، والمتوسطات، والثانويات ، بالإضافة إلى ارتفاع عدد المعلمين في مختلف الأطوار.
- التغيير في محتوى البرامج التعليمية والتربوية بما يتماشى مع التطورات العالمية والمحلية بالرغم مما تطرحه هذه " الإصلاحات " من جدل إعلامي وإيديولوجي.
- ظهور مشاكل اجتماعية في قطاع التربية الإضرابات وما تنتجه من مطالب مهنية واجتماعية وبيداغوجية من قبل المعلمين، إلى جانب بعض المشاكل المرتبطة بالتسرب المدرسي ونتائج التلاميذ وبعض حالات العنف في الوسط المدرسي.
- بناء المدارس بكل أطوارها التعليمية بالقرى والأرياف ما سمح لشريحة البدو الرحل وأبناء الفلاحين من مزاولة الدراسة، بعدما كان عسيرا عليهم في وقت مضى بسبب بعد

¹ بن شراط نجاه، الحياة الاجتماعية والثقافية ببني سنوس بين الواقع ومتطلبات التنمية، اطروحة دكتوراه/ جامعة تلمسان، 2021،

خيامهم وأراضيهم عن المدن والمدارس ما نتج عنه تمسكهم بأعمالهم خارج الاهتمام بالتعليم والمدرسة وهو ما قد يدفع بالتغيير في ومنا هذا.

أما في قطاع التعليم العالي فقد اتجهت الجامعة الجزائرية في الآونة الأخيرة إلى تبني نظام تعليمي جديد يتمثل في نظام "ل م د" أو نظام. ليسانس، ماستر، دكتوراه.، سعيًا منها لتكريس إصلاح التعليم العالي والبحث عن آفاق جديدة تكفل ضمان الجودة في التدريس الجامعي.

وقد صاحب هذه المرحلة بعض التغيرات في واقع التعليم العالي خاصة على المستوى الكمي. عدد الطلبة حيث ازداد عدد الطلبة الجامعيين بشكل كبير إذ أصبح يفوق " 1600000 طالب يؤطّره قرابة 60 ألف أستاذ"¹، علما أن الجامعة الجزائرية تبنت رسميا نظام LMD سنة 2004 ويتمثل نظام LMD في هيكلة جديدة للتعليم واكتساب المعارف وتعميقها وتنويعها في مجالات أساسية ذات ثلاث أطوار تكوينية: ليسانس، ماستر، دكتوراه – تتساوى مع المحيط الاجتماعي المهني مع توسيع فرص التكوين من خلال إِمماج وحدات تعليمية استكشافية وأخرى للثقافة العامة².

إن تبني هذا النظام الجديد كان استجابة للتغيرات العالمية والمحلية في ظل رهان التنمية الاقتصادية وتحسين مخرجات قطاع التعليم العالي ، فبدأت القطيعة مع نظام التعليم الكلاسيكي تدريجيا ، وكما سبق فقد تم اعتماد نظام ل،م،د LMD رسميا في الجامعة الجزائرية في الموسم الجامعي 2004-2005 ، وقد مضى على دخوله الجامعة ما يفوق 10 سنوات وأصبح شبه معمم على جميع جامعات الوطن في جميع الشعب التقنية والأدبية ، وقد عرف قطاع التعليم العالي زيادة معتبرة في عدد الجامعات والمراكز الجامعية ففي إحصائية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي³ بلغ عدد الجامعات سنة 2015 ، 50 جامعة و13 مركزا جامعيًا و10 مدارس عليا للأساتذة و20 مدرسة

¹ - <https://www.mesrs.dz/ar2016> - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

² بادي مراد: القيادة الإدارية وعلاقتها بتنفيذ نظام "ل م د" دراسة ميدانية بجامعة سعد دحلب - البليدة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجنان، لبنان، 2010، ص 56-57.

³ <https://www.mesrs.dz> ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 2015

وطنية عليا في مختلف التخصصات و 12 مدرسة تحضيرية، ويلاحظ أن قطاع التعليم العالي في الجزائر عرف تحولات عميقة خاصة يمكن تلخيصها فيما يلي:

- التخلي عن نظام التدريس الكلاسيكي والانتقال لنظام lmd رغم التحديات والمعوقات التي صاحبت تطبيقه من حيث نوعية مخرجاته وتكيفه مع سوق العمل ومستوى الخريجين وكذا إشكالية البحث العلمي.
- ارتفاع عدد الطلبة في الجامعة تبعا لارتفاع نسبة النجاح في البكالوريا وكذا عدد المؤسسات الجامعية وما صاحب ذلك من تخصيص ميزانية معتبرة لقطاع التعليم العالي.
- ظهور بعض المشكلات المرتبطة بالجانب البيداغوجي في التعليم الجامعي ونوعية التكوين في ظل رهان الجودة لأن التعليم العالي كغيره من الأنساق المفتوحة التي تتضمن مدخلات وأنشطة ومخرجات وتغذية عكسية، وبالتالي فإن حسن تسيير المادة الخام المتمثلة في الطالب وإنتاجها في قالب معرفي يضمن خريج يلبي احتياجات الاقتصاد والمجتمع بالجودة المرجوة يحتاج إلى تطبيق المعايير الأساسية ومراجعة الخطط والبرامج من خلال المعلومات المرندة.
- قد لا يمكن الحكم على نجاح نظام L. M. D من عمه بناء على نتائج المخطط العشري 2004-2014 ، وهي مدة قصيرة ولدا قد يحتاج تطبيق هذا النظام إلى عشرية أخرى لتدارك النقائص.

٣-٢- التغيرات في المجال الاقتصادي:

لا شك أن التنمية يجب أن يكون هدفها منصبا على الإنسان، ولذلك يجب التركيز على البعد الثقافي للتنمية وتهدف التنمية الثقافية إلى بناء الإنسان وإثراء وجدانه بالقيم والتقاليد الأصيلة غير المعوقة للتنمية، ومحو أميته الثقافية وبناء المواطن المستنير الذي بيدع ويبني الدولة العصرية وإزالة كل الضغوط النفسية والاجتماعية، وإشاعة التفاؤل وتحقيق جو من الحرية تزدهر فيه كل طاقة الفكر والإبداع الفني الرفيع، ويشتمل البعد الثقافي على بعض متغيرات

تتضمن التكنولوجيا، الفلسفة، المعتقدات، أنساق الرموز المعبرة عن الفن وأشكال القيم المختلفة¹.

لذلك ورغم أننا سنأتي على حقب و مراحل عرفت مخططات اقتصادية هامة الا أننا دائما نسعى لربطها بالمحددات الثقافية من أجل فهم أعمق لواقع الاقتصاد الجزائري، فحري بنا أن نغوص في العمق التاريخي من خلال التطرق لتعاقب نماذج التسيير ومراحل تطورها ، فالتراكم عبر السياق الزماني يحيلنا إلى فهم بعض الخلفيات التي ساهمت في تشكيل ذهنية المسيرين وبيئة التنظيم الحالية ، وقد عرفت المؤسسة الاقتصادية العمومية الجزائرية عدة نماذج في التسيير وكانت مسرحا لأحداث تنظيمية متعاقبة بدأ من مرحلة ما بعد الاستقلال إلى يومنا هذا.

أولا: الاقتصاد الجزائري غداة الاستقلال:

ورثت الجزائر منذ الاستقلال مؤسسات شبه معطلة، من جراء سياسة الأرض المحروقة التي مارسها المستعمر الفرنسي قبل مغادرة الجزائر، حيث هجرت الإطارات المسيرة لهذه المؤسسات، في غياب إطارات وطنية مؤهلة².

فقد ألقت الكولونيا لية بالمؤسسات الاقتصادية الجزائرية دون جهاز تسييري مما تطلب البحث عن مسيرين أكفاء وكذا عمال مهرة لتسيير هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر، فكل ما كانت تملكه الجزائر هو عمال بسطاء وفلاحين، بالإضافة إلى غياب إطار تنظيمي أو نموذج تسيير واضح المعالم خصوصا أن الدولة كانت عازمة على إحداث قطيعة مع النظام الاستعماري، لكن الأمر كان بغاية الصعوبة.

فقد كانت المؤسسات في المرحلة الاستعمارية مخصصة لنهب الخيرات الاقتصادية للبلاد³. كما احتكر المستعمر الإدارة والتسيير وجعلها للمعمرين أو المسيرين الفرنسيين ، أما الجزائريين فكانوا في مناصب ومهام تنفيذية بسيطة، وهذا طبعا سيضع الدولة أمام تحد كبير وهو إعادة بعث المؤسسات العمومية الاقتصادية من

¹ شريف زهرة، التغيرات الاجتماعية و آثارها في الشخصية القروية، دراسة مونوغرافية عن بلدية بوعينان -البلدية-، أطروحة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، 2008/2009، ص 117

² بوفلجة غياث: بحوث في التغيير التنظيمي وثقافة العمل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية، ط2004، ص 1، ص 07.

³ الطيب داودي: تقييم إعادة هيكلة المؤسسة الاقتصادية العمومية الجزائرية، مجلة المفكر العدد الثالث جامعة بسكرة، ص10.

جديد كونها الشريان الأساسي لاقتصاد المجتمع ، فبناء مؤسسة اقتصادية يحتاج إلى موارد بشرية مؤهلة وكذلك مسيرين أكفاء وتشريعات قانونية تنظم إطار العمل ، ولهذا حاولت الدولة الاستفادة قدر المستطاع من مخلفات المرحلة الاستعمارية إلى الحد الذي يضمن تجاوز تلك المرحلة الصعبة، كما تجدر الإشارة أن بعض المؤسسات بقيت تحت إدارة الفرنسيين لفترة زمنية حيث بقي الاحتكار الاستعماري ساري المفعول غداة الاستقلال لأسباب سياسية ، كما أن رحيل المعمرين قلص المنتج الزراعي بشكل كبير جدا وازداد حجم البطالة بين الفلاحين والعمال المسرحين من المصانع ، وأيضا بالنسبة للذين خرجوا من السجون الفرنسية ، فكل هؤلاء كانوا في حاجة لإعادة تشغيلهم والتخفيف من حدة البطالة.

وهذا ما سيمهد لمرحلة التسيير الذاتي للمؤسسات كأول تجربة تسييرية في تاريخ المؤسسة الجزائرية رغم غياب نصوص قانونية منظمة ومهيكله للاقتصاد وغياب الإمكانيات التي ذكرناها سابقا.

ثانيا: مرحلة التسيير الذاتي للمؤسسات:

وامتدت هذه المرحلة بين 1963-1967.، وهكذا برز أول هيكل تنظيمي للمؤسسات الجزائرية لملء الفراغ القانوني مع صدور قرارات التسيير الذاتي في 22 مارس 1963¹.

حيث يمكن اعتبار هذه القرارات هي التي بينت معالم التسيير ووضع أسس التنظيم الرسمي للمؤسسة الاقتصادية الجزائرية، وقد أدى التسيير الذاتي إلى إيجاد صيغة قانونية وتنظيمية لتسيير المزارع والمؤسسات الصناعية الموروثة عن الاستعمار، ومن نتائج صدور هذا القانون تشكيل لجان التسيير الذاتي في أكثر من 500 مؤسسة صناعية معطلة².

وقد اعتبرت هذه المرحلة تكريسا لتوجهات سياسية معينة، ذلك إن الأساليب والتقنيات المستعملة من أجل

¹ بوفلجة غياث: بحوث في التغيير التنظيمي وثقافة العمل، مرجع سبق ذكره ص 9.

² المرجع نفسه ص 9.

التنمية الاقتصادية قد طغت عليها فكرة الإيديولوجية الاشتراكية¹، وهذا الخيار والتوجه السياسي يمكن إرجاعه إلى أمرين أساسيين الأول: محاولة إحداث القطيعة مع الإيديولوجية الكولينيالية الرأسمالية والثاني: بداية ظهور القطبية الثنائية الغرب- الاتحاد السوفياتي. حيث اختارت الكثير من الدول الحديثة الاستقلال الانضواء تحت التوجه الاشتراكي الثوري التحرري.

ومن الناحية التنظيمية وسلوك العمل الذي ميز هذه المرحلة فقد أدى ذلك إلى بروز المدير كسلطة أقوى من سلطة مجالس العمال وأدى ذلك إلى مراقبة المؤسسات واحتكار المعلومات باعتبار الأمية منتشرة بين العمال، وإلى ممارسة مركزية اتخاذ القرارات. وقد أدى الأمر في كثير من الأحيان إلى عرقلة نشاط المؤسسات، بل وتأخير حتى في صبر الرواتب الشهرية للعمال، وسوء الاتصال التنظيمي بين العمال والإدارة، وهو ما أعاق التطبيق السليم لنظام التسيير الذاتي.²

على العموم هذا أهم ما ميز هذه التجربة التسييرية الأولى، فقد كان الهدف هو الدفع بالمؤسسة الاقتصادية الوطنية ضمن عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ورغم الصعوبات والمشاكل التي عرفتها هذه المرحلة إلا أنها خلقت إطار هيكلي وتنظيمي، وكانت محطة مفيدة لتجارب ستأتي بعدها في مسار المؤسسة الجزائرية.

ثالثا: مرحلة التسيير الاشتراكي للمؤسسات:

لا شك أن هذه المرحلة أعقبت مرحلة التسيير الذاتي من أجل سد الفراغات والثغرات التي تركتها، كما يمكن القول التسيير الذاتي للمؤسسات أثبت فشله خاصة مع التحولات السياسية والاجتماعية، فكان لا بد من مرحلة أخرى تكون فيها القوانين المركزية هي التي تسيير المؤسسات لكن قبل هذا فقد سبقت مرحلة انتقالية كمحاولة لخلق مؤسسات وطنية كبيرة وقوية إلا أنها كانت مجرد تمهيد لمرحلة بناء المؤسسات الاشتراكية.

¹ بن عنتر عبد الرحمن: مراحل تطور المؤسسة الجزائرية آفاقها المستقبلية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة العدد الثاني، 2002.

² - بوفلجة غيات: بحوث في التغيير التنظيمي وثقافة العمل، مرجع سبق ذكره ص 9.

ويرى بوفلجة غياث¹ أن المؤسسة الاشتراكية هي عبارة عن مرفق عام، يدار عن طريق منظمة عامة تتمتع بالشخصية المعنوية، وتتضمن وحدة إنتاجية أو عدة وحدات تسيير وفقا لمبادئ التسيير الاشتراكي، ومن أهم خصائصها اشتراك العمال في الإدارة.

إلا أن مرحلة التسيير الاشتراكي للمؤسسات لم تمثل قطيعة مع نمط المؤسسة الحكومية، بل كانت امتداد لها، مع التركيز على مشاركة العمال في تحديد شكل تسيير المؤسسة، وهو ما عبر عنه نص الميثاق الوطني 1976، فقد نصت المادة السابعة من قانون التسيير الاشتراكي للمؤسسات على " أن العمال في المؤسسة الاشتراكية هم منتجون يتحملون مسؤولية تسيير المؤسسة". لقد كان التسيير الاشتراكي للمؤسسات يدخل ضمن مشروع مجتمعي اقتصادي تنموي يحمل بعض التوجهات الإيديولوجية للدولة، ورغم وجود نصوص قانونية تشرك العمال في تسيير هذه المؤسسات إلا أن مركزية اتخاذ القرارات والإجراءات البيروقراطية حال دون التجسيد الحقيقي لإشراك العمال ماعدا الانخراط في اللجان الدائمة للمؤسسة، فمن ناحية التنظيم الرسمي الهيكلي للمؤسسات في هذه المرحلة يمكن ذكر الأجهزة التالية:

أ. مجلس العمال: وهو مجلس يتكون من مجموعة العمال منتخبين من طرف زملائهم في المنشأة، حيث يتراوح عدد أعضائه ما بين 7 إلى 25 عضوا وتدوم مدة صلاحياته ثلاث سنوات.

ب. اللجان الدائمة: وتتألف اللجان الدائمة من أعضاء يعينهم مجلس العمال بالأولوية من بين أعضائه وهذا لتسهيل العمل ومراقبة مختلف نشاطات المؤسسة، وفي كل الأحوال في أن عددها لا يمكن أن يزيد عن خمس لجان وهي:

✓ لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية.

✓ لجنة المستخدمين والتكوين.

¹- مرجع نفسه، ص 10.

✓ لجنة الشؤون الاجتماعية والثقافية.

✓ اللجنة التأديبية.

✓ لجنة الصحة والأمن.

ويعتبر هذا الجهاز مسؤولاً أمام المنتخبين باطلاعهم على الوضعية داخل المؤسسة مرة في السنة على الأقل.

ت. مجلس المديرية: يتشكل مجلس المديرية من 9 إلى 11 عضواً حسب أهمية المؤسسة، على أن

يكون بينهم ممثلان يعينهما مجلس العمال من بين أعضائه، ويجتمع مرة في الأسبوع على الأقل

في اتخاذ القرارات الهامة المتعلقة بتسيير المؤسسة.

ورغم وجود هذه الأجهزة للتنظيم الرسمي للمؤسسة الاشتراكية كهيكل إلا أن فعاليتها على أرض الواقع لم

تكن بالشكل المنتظر نظراً لمركزية القرار وبطئه وكذا ظهور بعض المشاكل العمالية خاصة على مستوى الفئة

العمالية المنتجة التي لم تكن ممثلة بالشكل الكافي في اللجان ومجلس العمال، وهذا ما خلق بعض الاضطرابات

والصراعات بين الإدارة والعمال.

وعلى العموم يمكن تقييم هذه المرحلة من الناحيتين السلبية والإيجابية كما يلي:

فمن الناحية الإيجابية فإن التسيير الاشتراكي للمؤسسات حقق بعض المكاسب بالنسبة للطبقة العمالية منها:

✓ الأمن المهني: فغالبية العمال كانوا موظفين من طرف الدولة ولم يكن هناك احتمال طرد

المستخدمين إلا في حالات نادرة¹.

✓ المساهمة في التسيير: وهذا عن طريق مختلف اللجان الدائمة للمؤسسة.

✓ الخدمات الاجتماعية: مثل النقل والإطعام والتعاونية الاستهلاكية والخدمات الصحية والترفيهي على

العموم و تأسيساً على ما سبق فإن أسلوب التسيير الاشتراكي كان خياراً مناسباً كتوجه من قبل

¹ - بوفلجة غياث: بحوث في التغيير التنظيمي وثقافة العمل، مرجع سبق ذكره، ص 11.

الدولة من أجل بناء مؤسسات قاعدية، وهذا من خلال القوانين المنظمة لهذه المرحلة إلا أن هناك جوانب سلبية أفرزتها هذه التجربة التسييرية على صعيد التنظيم والتسيير والعلاقات التنظيمية نذكر منها: المركزية الشديدة في القرارات، وهذه إحدى أهم المعوقات البيروقراطية التي عرفتتها هذه المرحلة ، حيث رغم وجود أجهزة إدارية داخل المؤسسة لكن لم تكن تملك الصلاحيات الكافية والحرية لإصدار القرارات وحل بعض المشاكل، حيث يرى .عبد اللطيف بن أشنهو . ، بأن هذا الوضع كان مصدرا لبعض النزاعات في العمل وخلل في الاتصالات وفوضى في الهرمية الإدارية

كما أدت أيضا لبطء عملية اتخاذ القرارات: حيث كانت إجراءات اتخاذ القرارات في إطار التسيير الاشتراكي للمؤسسات، طويلة وثقيلة ومعقدة، حيث تعدد الجهات المكلفة باتخاذ القرارات، مما نتج عنه كثرة الاجتماعات واللقاءات بالإضافة إلى عقم الاجتماعات.

يمكن القول أن نموذج التسيير الاشتراكي للمؤسسات مساوئه أكثر من محاسنه وهذا ما عجل فيما بعد لإصلاحات جذرية مست هيكلة وتسيير المؤسسة الجزائرية ، حيث اعتبر هذا النموذج توجهها سياسيا إيديولوجيا لم يأخذ بعين الاعتبار مختلف المتغيرات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية لتكييفه مع ذهنية العمال وتطلعات المجتمع والمشروع الاقتصادي ككل ، فحينها كانت المؤسسة تدور في حلقة مفرغة من الناحية التنظيمية وأصابها الجمود نظرا للعراقيل والتعقيدات البيروقراطية والتي انعكست على السلوك العمالي الذين لم يجدوا الحلول لمشاكلهم نظرا للوصاية عليهم من قبل المدير وهذا الأخير لا يملك الصلاحيات الكافية لاتخاذ الإجراءات اللازمة.

رابعاً: مرحلة إعادة الهيكلة الاقتصادية للمؤسسات:

مع بداية سنة 1980 بدأ النقاش على الصعيد السياسي من أجل البدا في تدابير تنظيمية تخص المؤسسة الجزائرية ويمكن القول إن هذه المرحلة اتسمت بالتوجه الإصلاحية للمؤسسة العمومية الاقتصادية بهدف إنفاذها

من الإفلاس، وكانت البداية مع ما عرف ب إعادة هيكلة المؤسسات العمومية.

حسب المرسوم رقم 80-242 المؤرخ في 14 أكتوبر 1980 المتعلق بإعادة الهيكلة تبين الهدف من هذه الإصلاحات ، حيث عبرت المادة رقم 02 من المرسوم على أن الغاية هي اقتصادية بجعله يلبي حاجات السكان المتزايد عددهم وتحسين الإنتاج.1 وهذا هدف عام شمولي يعكس نظرة الدولة لوزن المؤسسات العمومية ودورها في الاقتصاد الوطني ، وسنرى بأن الإصلاحات في الغالب مست الجانب الإداري والتنظيمي، أما مفهوم إعادة الهيكلة كما جاء في المراسيم الرسمية فيتضمن مجموعة من الإجراءات الهادفة إلى رفع وتحسين قدرات المؤسسات الاقتصادية عن طريق التحكم في توزيع وتنظيم الموارد المادية والبشرية².

قد عرفت إعادة الهيكلة عدة إجراءات على المستويين التنظيمي والتسييري لمؤسسات الدولة خاصة ذات الطابع الإنتاجي، ومر تطبيق هذا المشروع بمرحلتين هما عملية التجزئة نظرا للحجم الكبير للشركات الوطنية مما جعلها صعبة التسيير، وتضاعف عدد المؤسسات من 100 شركة وطنية إلى 480 مؤسسة عمومية بعد إعادة الهيكلة، أما المرحلة الثانية فهي إعادة التنظيم المالي، بمعنى تقييم الوضعية المالية لكل مؤسسة قبل إعادة هيكلتها، وعموما تتميز هذه المرحلة بما يلي:

✓ تخفيض حجم الشركة وذلك عن طريق تجزئتها.

✓ فصل وظيفة الإنتاج عن وظيفة الاستثمار، أي استناد هذه الأخيرة إلى مؤسسة وطنية مختصة تهتم

بوظيفتي التطوير والبحث.

✓ فصل الوظيفة الإنتاجية عن الوظيفة التجارية.

✓ وهناك مجموعة من الأهداف التي سعت إليها هذه العملية يمكن تلخيصها فيما يلي:

¹ الجريدة الرسمية، العدد 41، السنة 17، 123.

² لهتسمي مقراني وآخرون: لقطاع الصناعي الخالص والنظم العالمي الجديد لتجربة الجزائرية)، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، قسنطينة،

2010، ص 66.

✓ التخلص من المركزية التي عرقلت كثيرا نشاطات المؤسسة.

✓ زيادة الإنتاج وتفعيل التسويق والنقل.

✓ تسهيل عملية التسيير والاتصال داخل المؤسسة.

✓ إزالة العراقيل البيروقراطية وفتح باب روح المبادرة والمشاركة العمالية.

✓ تقوية الجهاز التخطيطي للاقتصاد الوطني.

وعلى الرغم من إيجابيات هذه المرحلة إلا أنها عرفت بعض الصعوبات والعراقيل مثل صعوبة التخلص من مركزية التخطيط وأيضا مقاومة بعض الأطارات والعمال ورفضهم لإجراءات تجزئة المؤسسات، بالإضافة إلى بعض المشاكل المتعلقة بسوء التسيير والتنظيم الإداري من قبل الإداريين الذين وجدوا أنفسهم أمام نموذج تنظيمي وتسييري جديد.

خامسا: مرحلة استقلالية المؤسسات الاقتصادية:

لقد ألفت مرحلة إعادة الهيكلة وما صاحبها من مشاكل وسلبات بعانقها على الدولة وعلى المؤسسة العمومية الجزائرية حيث تبين بان إعادة الهيكلة لم تحقق الأهداف المرجوة، كما تزامن ذلك مع ظهور أزمة شديدة للاقتصاد الوطني تمثلت في انهيار أسعار المحروقات التي تعد المصدر الرئيسي لاقتصاد الوطن وما صاحبها من احتجاجات اجتماعية وسياسية ، كما تميزت بتزايد البطالة لدى الشباب وفي ظل هذه التراكمات وجدت الدولة نفسها أمام إصلاحات أو مرحلة جديدة تمثلت في الانتقال إلى استقلالية المؤسسات الاقتصادية شيئا فشيئا ، وهكذا صدر قانون 01/88 المؤرخ في 12 جانفي 1988 والذي تضمن جملة من الإصلاحات مست المؤسسة الاقتصادية العمومية.

وقد لجأت الدولة إلى هذه الإجراءات استقلالية المؤسسات لعدة اعتبارات منها:

✓ حل مشكلة الفعالية، وعجز الميزانية الدولة عن تمويل المؤسسات.

✓ التغيير الذي حدث في هرم السلطة، بمعنى فتح المجال للمبادرات وحرية التعبير والسماح

بإنشاء أحزاب معارضة حيث امتد التحول السياسي إلى المؤسسات الاقتصادية¹

نلاحظ منذ حلال استقراءنا لطبيعة المرحلة وسياقها السياسي أن هناك سببان رئيسيان للجوء لخيار استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية أحدهما اقتصادي والآخر سياسي قانوني كما لا يمكن إغفالا للأسباب الاجتماعية والتي تمثلت في تفشي البطالة وسط الشباب القادرين على العمل والعجز المتفاحم للسكن الاجتماعي بالمدن والندرة في تمويل السوق بالمواد حتى الضرورية والقدرة الشرائية المنخفضة لأفراد المجتمع... الخ. كما أن بروز طبقة الأغنياء المؤثرة على مراكز القرار جعل نوع من الغموض يحوم حول المسؤوليات الملقاة على عاتق المؤسسة الاقتصادية التي لم تصبح قادرة على تحمل عبء الاقتصاد.

وبذلك أصبح من غير المنطقي المواصلة في ضخ الأموال لتغطية عجزها بنفس الهياكل والمسيرين.

وبالتالي البحث عن هيكل جديد ومسيرين جدد بدهنيات جديدة قابلة للتأقلم مع المحيط أصبحت ضرورية.

لقد كانت تهدف استقلالية المؤسسات إلى رد شخصية وهوية المؤسسات العمومية وجعلها تتكفل بطريقة مباشرة بشؤونها دون تدخل أي وصاية، وتصبح خاضعة لقوانين السوق بغية تحسين فعاليتها¹، وعلى العموم تعتبر هذه الرحلة بداية التمهيد لخصخصة المؤسسات وتهيئتها لدخول اقتصاد السوق وتقليص العبء المالي الملقى على عاتق الدولة.

لهذا أصبح من الواجب إعادة النظر في الهيكل التنظيمي للمؤسسات العمومية، وفي أساليب تسييرها، وفتح

المجال أمامها للتكفل بأمورها بعيدا عن تدخل الوصاية، ورغم هذه الإصلاحات بقيت المؤسسة تعاني من العجز

¹ سعيد أوكيل: استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية، الجزائر، 1994، ص 51.

¹ - الهاشمي مقراني وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 72.

المالي وحتى في تغطية أجور عمالها، الشيء الذي أدى إلى غلق الكثير منها².

لقد كان لهذه المرحلة من مسيرة المؤسسة الاقتصادية الجزائرية انعكاسات على مستوى المحيط التنظيمي داخل المؤسسة، وأيضاً على المحيط الخارجي. المجتمع، حيث تم تسريح آلاف العمال زيادة عدد البطالين، وظهور مشاكل تسييرية نظراً لعدم تكيف وانسجام ذهنية وثقافة العمال والمسيرين مع نظام الاستقلالية، بالإضافة إلى عجز هذه المؤسسات عن تسيير شؤونها المالية بالدرجة الأولى من حيث مصادر التمويل بعد تخلي الدولة عن ذلك وأيضاً في تسيير الكتلة المالية من حيث أجور العمال والتجهيز وتكاليف الإنتاج والتسيير.

ونظراً لعدم تحقيق مرحلة استقلالية المؤسسات للأهداف التي كانت مرجوة فإن هذا ما أدى بطبيعة الحال بالدولة إلى التفكير في الخروج من مخلفات هذه المرحلة والارتقاء بالمؤسسة العمومية لمرحلة أكثر فاعلية تمثلت في إقحام المؤسسة العمومية اقتصاد السوق الذي كان خياراً بديلاً نظراً لما ذكرناه سابقاً، وأيضاً للتغيرات الاقتصادية العالمية التي كانت تضغط على الدول والمؤسسات من أجل ضمان التكيف والاستمرارية.

سادساً: مرحلة الخصخصة ودخول اقتصاد السوق:

ذكرنا سابقاً أن خيار دخول اقتصاد السوق بالنسبة للاقتصاد الجزائري والمؤسسة الجزائرية والذي كان يهدف أساساً إلى أحداث التنمية وتحقيق الرفاه والتأكيد على أن الحسم والنجاح في معركة البناء والتشييد وتوطين التجربة الصناعية والفلاحية بأيدي وعقول جزائرية لا يقل شأناً عن معركة التحرير ونيل السيادة، خاصة وأن هذه الخطوات والمساعي كانت استجابة لتحولات عميقة داخلية ودولية ألقت بثقلها على المناخ السوسيو اقتصادي. فالقيم العالمية الزاحفة التي تمثلها الرأسمالية الحديثة مع بداية التسعينات ألقت بظلالها على الاقتصاد الوطني كما سنرى لاحقاً.

² - بوفلجة غياث: بحوث في التغيير التنظيمي وثقافة العمل مرجع سبق ذكره، ص 14.

والخصخصة حسب "بوفلجة غياث" هي التحول الجزئي أو الكلي للملكية من القطاع العام إلى القطاع الخاص، وتمس المؤسسات التي ليس لها إمكانيات الاستمرار كما كانت كونها لا تخدم الاقتصاد الوطني أو أن ظروفها سيئة فهنا يمكن للقطاع الخاص أن يشتريها لعدم استجابتها لمتطلبات التنافس والربح. إن خصخصة المؤسسات الاقتصادية كان الحل الأخير نظرا لفشل نماذج التسيير السابقة والخيارات الاقتصادية للدولة أو نتيجة لتغير المحيط الاقتصادي الدولي الذي يضغط على اقتصاديات الدول النامية، فبدأ القطاع الخاص في الظهور شيئا فشيئا فنجد أنفسنا أمام نموذج تسييري جديد لا تتدخل فيه الدولة وإنما الخواص الذين اشتروا مؤسسات عامة أو أسسوا لمؤسسات جديدة لأهداف ربحية ذاتية مع دفع الضرائب للدولة فق القانون الذي يخضع له القطاع الخاص من حيث إجراءات التسيير والنشاط ، ويمكن اعتبار ذلك طفرة جديدة من أجل التكيف مع الديناميكية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجديدة.

وبغض النظر عن إجراءات الخصخصة والمراحل التي سبقتها في سيرورة وتحول المؤسسة الجزائرية من النواحي التقنية ومعوقاتا وسلبياتها وإيجابياتها فإن الغرض من كل هذا هو الوقوف عند السياق التاريخي للتغيير التنظيمي للمؤسسة الاقتصادية والذي قد يساعدنا من الناحية السوسولوجية في فهم واقعها اليوم من حيث الأبعاد التنظيمية والسلوكية والقيمية.

٢-٢- التحول في المجال السياسي:

لا يمكن فصل التنمية عن التحولات و السياقات التاريخية و السياسية للدول فقد عرفت الساحة السياسية في الجزائر تحولات هامة في السنوات الأخيرة استجابة لمجموعة من الأحداث والتطورات منها ما ارتبط بتطلعات وبرامج الدولة التنموية والاجتماعية كما ارتبط بعضها بعوامل خارجية دولية، ولقد كان "الميثاق الوطني" منطلقا نحو آفاق المستقبل ووثيقة تاريخية طورته فئات الشعب الجزائري انطلاقا من مبادئ الثورة، فهذا الميثاق يمكن القول بأنه أول لبنة في تاريخ الدولة الوطنية الجزائرية في بعده السياسي

والاجتماعي ، وقد عرفت الجزائر نظام الحزب الواحد منذ 1962 إلى غاية أحداث أكتوبر 1988 وهي سنة بداية الانفتاح السياسي وإقرار التعددية الحزبية، فدستور 1989 كان استجابة لمطالب الحركة الشعبية الراضة للأوضاع السياسية والاقتصادية التي تعيشها البلاد والذي أسس لنمط جديد من الممارسة السياسية والاقتصادية وتحديد طبيعة العلاقة بين المجتمع والدولة¹.

أحداث أكتوبر 1988 وما صاحبها من انتقال سياسي هي مرحلة أحدثت الطلاق مع الحزب الواحد وكانت خلفية انبعاث التعددية الحزبية، وأسست لمفاهيم جديدة سوف يكون لها وقع على المجتمع الجزائري وأبنيته المختلفة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن خلفية أحداث أكتوبر 1988 هي اجتماعية اقتصادية بالدرجة الأولى وهي تعبير عن حال طبقة اجتماعية واسعة تعرضت لمختلف أدوات القهر والتهميش فسعت للتعبير عن تدمرها لوضعيتها الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما نبه السلطة إلى ضرورة التغيير والبحث عن الإصلاح السياسي.

التعددية الحزبية وفتح المجال للحق في تأسيس الجمعيات. وكذا الانطلاق في إصلاح اقتصادي سننترق إليه لاحقا، ومن جهة أخرى فإن مرحلة الانفتاح السياسي وظهور أحزاب جديدة سيؤدي إلى أحداث وتحولات جديدة وصلت إلى درجة العنف المسلح بعد إلغاء المسار الانتخابي الذي فاز به حزب " الجبهة الإسلامية للإنقاذ FIS ".

لم تنتهي مرحلة العنف المسلح إلا بعد إقرار قانون الوثام المدني مع وصول الرئيس " عبد العزيز بوتفليقة " لرئاسة الدولة سنة 1999، بعدها عرفت الجزائر تحولات أخرى في المشهد السياسي قائمة على الخلفيات والأحداث السابقة حيث عرفت الجزائر عدة انتخابات رئاسية وبرلمانية ومحلية، كما ظهرت أحزاب جديدة وحركات اجتماعية كان لها الأثر على قيم المجتمع واتجاهات الأفراد ومواقفهم وخاصة الشباب منهم وذلك

¹–Mohammed Brahim: Le pouvoir en Algérie et ses formes d'expression institutionnelle, OPU ,Alger ,1995,p50.

من خلال ما يلي:

✓ التحولات السياسية كان لها انعكاس سلوك وتمثلات الأفراد وخاصة الشباب سواء من خلال الممارسة أو من الناحية الرمزية كالتعبير والنقد والمشاركة السياسية والموقف من الانتخابات والعلاقة مع السلطة.

✓ صاحب هذه التحولات بعض الأحداث ارتبطت بمطالب الحركات الاجتماعية خاصة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية وصلت أحيانا إلى درجة الاحتجاج والعنف والتخريب أحداث الزيت والسكر 2011.

✓ رغم الانفتاح وحرية التعبير والمشاركة السياسية تبقى إشكالية العلاقة بين الدولة والمجتمع مطروحة فيما يخص الثقة والمشاركة الفعلية للشباب في الفعل السياسي وموقفه منه.

✓ التناقض في الرؤى والقيم السياسية بين جيل الثورة وما بعد الاستقلال والجيل الحالي الذي يمثله غالبية الشباب.

٣-٢- أثر التحولات على منظومة القيم في المجتمع الجزائري:

إن الغرض الأساسي من إدراج مظاهر التحول في المجتمع الجزائري في هذا الفصل هو إدراكنا لمدى أهمية أبعاد هذه التحولات وعلاقتها بمسألة القيم لدى أفراد المجتمع ، فالقيم اليوم تتشكل ويعاد تشكيلها انطلاقا من جملة متغيرات وتحولات سياسية واجتماعية واقتصادية نتيجة انفتاح العوالم والمجتمعات على بعضها ونتيجة لتلاقي الأفكار والثقافات والتطور التقني السريع هذا إلى جانب دور المجتمع الشبكي- الذي تحدث عنه "دارن بارني"¹ في إعادة تشكيل القيم بعيدا عن دور البنيات الاجتماعية والمؤسسات وهذا ملاحظ في المجتمع الجزائري مع ظهور وسائط التواصل الاجتماعي والشبكات العنكبوتية وإقبال الشباب عليها .

¹- انظر: دارن بارني: المجتمع الشبكي، ترجمة أنور الجمعاوي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط1 2015.

كما يلاحظ أن القيم في مجتمع المدينة الحالية في الجزائر لا هي قيم ريفية تماما، ولا هي قيم حضرية وذلك راجع إلى نزوح الكثير من سكان الريف إلى المدينة خلال حرب التحرير وخلال العقود الأخيرة، كما يتجلى أثر التحول القيمي على الأسرة وبنيتها وخاصة في صورتها الممتدة والتي تغرس مجموعة القيم المعتمدة بالنسبة للذكور والإناث¹.

أولا: أثر وانعكاس التحولات على قيم الأسرة: من الواضح أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة قد غيرت التركيبة الأسرية - من أسرة ممتدة إلى أسرة نواة - فبدأت الأسرة الممتدة تنقلص نتيجة لتغير الظروف المادية والثقافية التي أصبحت غير متلائمة مع طبيعتها بل تتلاءم مع نسق الأسرة النواة، وبذلك تضاعف عدد الأسر النواة حيث تشير الإحصائيات إلى أن 60 بالمائة من الأسر الجزائرية هي أسر نواة بعدما كانت لا تتجاوز 46 بالمائة في أواخر ستينات القرن الماضي².

ولم يقتصر انعكاس التحولات الاجتماعية والاقتصادية على بنية الأسرة فحسب بل انعكست أيضا على قيم أفرادها ووظائفها، فقد أجمعت بعض الدراسات الجزائرية³ على أن التغير الوظيفي للأسرة الجزائرية يمكن تناوله من خلال عناصر أساسية وهي:

¹ - محمد العربي ولد خليفة: التحولات الاجتماعية والسياسية. ملامح الحاضر ومتطلبات جزائر المستقبل، دار القصة للنشر، الجزائر، 2016، ص 261.

² الطاهر بوشلوش، مرجع سبق ذكره

³ بلقاسم سلاطونية: تغير الأدوار الوظيفية للأسرة الجزائرية، مجلة التغير الاجتماعي. العدد الثاني، 2017، جامعة بسكرة، ص 14-8.

✓ التغيير على مستوى نظام الزواج والاعتراف الاجتماعي به.

✓ التغيير على مستوى استمرار الجنس البشري وتكاثره عن طريق الإنجاب.

✓ التغيير على مستوى التنشئة الاجتماعية وتأهيل الأفراد لتبوء مكانتهم الاجتماعية.

✓ التغيير على مستوى تأمين الاستقرار النفسي.

✓ التغيير على مستوى الوظيفة الاقتصادية للأسرة.

لقد تغيرت الأسرة الجزائرية الحديثة من حيث البنية - الدور والمكانة داخل الأسرة - وأيضا من حيث الوظيفة التنشئة وإنتاج القيم. فظهرت بعض المتغيرات لم تكن معهودة في النموذج التقليدي فيما يخص الأدوار والمكانة داخل الأسرة مثل رأسمال التعليمي والخبرات الشخصية والدخل لدى الزوجين¹، وهذا ينعكس على توزيع الأدوار ومكانة الزوجين والسلطة داخل الأسرة كما ينعكس على تنشئة الأولاد وحتى على العلاقات الاجتماعية بصورة عامة.

إن المعروف عن الأسرة الجزائرية التقليدية انطلاقا من دراسة "مصطفى بونفوشات"² أنها أسرة "ممتدة" أو موسعة تضم عدة عائلات زواجية في فضاء سكني واحد كما أنها "بطريركية" أبوية وهي الأسرة التي تخضع لسلطة الجد والأب الروحية بناء على تقاليد حضارية وتاريخية، وهذا النمط التقليدي من الأسرة بدأ يتلاشى شيئا فشيئا حيث حل نمط جديد وهو الأسرة الحديثة "النواة"³ نتيجة للتغيرات في المجتمع، حيث عرفت نقلات نوعية منذ الثمانينيات بعد التحول الاقتصادي الذي وفر حياة أفضل حيث بدأ يظهر القطاع الخاص هذا أدى إلى تراجع الأسرة الممتدة وظهور الفردانية كوسيلة لتحقيق المصلحة المادية كون الفرد

¹Radjia Benali: Rôles et statut dans la famille Algérienne contemporaine, ARABPSYNET E.

Journal. N°21-22 P 90.

² ينظر: مصطفى بونفوشات: العائلة الجزائرية. التطور والخصائص الحديثة)، ترجمة، أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

³ - المرجع نفسه، ص 39.

موظف له أجر خاص يجعله في غنى عن الآخرين، وبالتالي ظهرت معايير جديدة لمتوقع الفرد وتحديد مكانته، فقل اهتمام الفرد بالأسرة الكبيرة، ومن جهة أخرى تغير دور ومكانة المرأة بخروجها للتعليم والعمل وما صحبه من اكتساب قيم جديدة، هذا كله سيؤثر على تنشئة الأم للأطفال بالإضافة إلى دخول قيم جديدة في عملية التنشئة.

ثانيا: انعكاس التحولات على النسق القيمي للمجتمع: إن المسألة القيم في المجتمع الجزائري لا يمكن الإحاطة بها نظرا لتشعب عوامل تشكيلها وإعادة تشكيلها وأيضا لاختلاف التصور حول مفهوم القيم في حد ذاته إذا أخذنا بعين الاعتبار الخصوصية الثقافية والدينية والتاريخية للمجتمع الجزائري التي تختلف عن باقي المجتمعات، فعلماء الاجتماع الغربيين أجمعوا على أن المجتمع والجماعة هو معيار الحكم على القيم في حين أن العلماء المسلمين يرون أن المعيار هو القرآن والسنة¹، فالدين له دور مهم في تحديد مفهوم القيم بالنسبة للمجتمع الجزائري، فالقيم الدينية قد يفسره البعض ويرجعه إلى نسق القيم التقليدية التي تجد نفسها في مواجهة قيم الحداثة وهنا تبرز إشكالية مهمة وهي كيفية تعايش قيم التقليد والحداثة إلى جانب إشكالية أخرى تتعلق بفاعلية نسق القيم بصفة عامة وهو ما أشار إليه "برنار لويس" حيث يرى أن المجتمعات قد تواجه إشكالية فاعلية القيم حين تتحول من قيم ميدانية توجه السلوك الاجتماعي والسياسي لأفراد المجتمع إلى قيم غير مفعلة في الواقع، وذلك من خلال تبني الأفراد للقيم نظريا فقط دون أن يكون لها دور في السلوك العملي².

ولا شك أن التغير الاجتماعي بصفة عامة أدى إلى اختلال نسق القيم في المجتمعات العربية حيث حلت القيم المادية والاقتصادي في القمة في مفهوم القيم وذلك من خلال السعي للكسب السريع في مقابل العمل المنتج وحل الاستهلاك في مقابل الادخار والاستثمار، والنمطية في مقابل الإبداع

¹-نادية محمود مصطفى وآخرون: القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1 2011، القاهرة، ص460.

²- المرجع نفسه، ص460.

واللاعقلانية في مقابل العقلانية، وتفضيل المصالح الشخصية على المصالح الوطنية¹، هذا على صعيد القيم المجتمعية بصفة عامة.

أما على صعيد الأسرة فقد تغيرت القيم الأسرية هي الأخرى حيث حلت قيم جديدة مثل: قيم تأخر زواج الشباب، والمعايير المادية في الاختيار للزواج، وعدم القدرة على التخطيط للمستقبل، والإحباط... الخ، فالشباب يجد نفسه عاجزا عن تحقيق حاجاته الأساسية المشروعة².

لا شك أن التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة سوف تتجلى انعكاساتها بصورة واضحة على نسقه القيمي، وقيم الأسرة، والشباب، وقيم العمل، وصولا الى مظاهر ومؤشرات التنمية من سلوكيات ومنطلقات، ومن بين تجليات آثار التحولات على نسق القيم في المجتمع نجد:

إن التحولات التي شهدتها المجتمع الجزائري في العقود الثلاثة الأخيرة أثرت على الكثير من المعايير والقيم لدى أفراد المجتمع، ولعل تغير نظرة أفراد المجتمع لتعليم وعمل المرأة نحو النظرة الايجابية وتلاشي القيم التقليدية شيئا فشيئا فيما يخص عمل وتعليم المرأة، كل هذا يعد أحد ثمرات هذا التحول، حيث حققت المرأة مكاسب كثيرة نتيجة لهذا التحول حيث ارتفع مستوى تعليمها في مختلف التخصصات، وهذا ما يساعدها على اقتحام سوق العمل في عدة مجالات كالطب، والإدارة، والتعليم، والمحاماة... الخ. فإقبال الفتيات على التعليم، وخاصة التعليم الجامعي ودخول سوق العمل لهو دليل قاطع على تغير منظومة القيم الاجتماعية لدى أفراد المجتمع، وتغير نظرة المجتمع إزاء تعليم الفتاة وعملها خارج البيت³.

كما أن الاحتلال الفرنسي يعتبر أكبر صدمة للتحول القيمي في المجتمع الجزائري حيث عملت المقاومات الشعبية على غرس بذرة التغيير والمقاومة، كما عمل الاستعمار على تفكيك منظومة القيم

¹ - محمد احمد بيسوني، غفاف عبد المنعم ناصر: علم الاجتماع العائلي. دراسة التغيرات في الأسرة العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 357.

² محمد احمد بيسوني، المرجع السابق، ص 357.

³ الطاهر بوشلوش، مرجع سبق ذكره.

التقليدية، لتأتي الثورة التحريرية لتوقع على أعمق تغير في القيم المجتمعية، حيث لم يعد ترتيب العلاقات الاجتماعية يخضع لمعيار السن، كما تحررت المرأة من النظرة الدونية وأصبحت تشارك الرجل في المهام البطولية في الثورة.

أما في العهد الأخير فقد تدعمت مكانة المرأة بفضل عدة تشريعات منها، حماية المرأة من التجاوزات الأسرية وتحريرها نسبيا من الوصاية¹.

وبالتالي نجد أن نظرة المجتمع للمرأة بدأت تتغير شيئا فشيئا من حيث مكانتها والنظرة لعملها وخروجها من البيت....الخ.

من جهة أخرى فقد أدت التحولات في المجتمع الجزائري إلى ظهور قيم جديدة لدى الشباب، وهنا لسنا بصدد الحديث عن مشاكل الشباب أو تطلعاتهم وإنما رصد ملامح التحول لدى قيم الشباب. قيم العمل ، القيم الدينية ، الفردانية....الخ باعتبارهم جيل جديد هو محصلة منظومة اجتماعية محلية وعالمية خاصة فيما يتعلق بالتعارض بين قيم التقليد والحداثة وصراع الأجيال، فالشباب في كل مكان وفي جميع أدوار التاريخ حتى يومنا هذا ، أداة التغيير في المجتمعات ذلك لأن لديهم من القدرة ما ليس عند غيرهم من الفئات في تغيير المجتمعات وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ولعل ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى أن الأجيال الشابة أكثر تقبلا للتطور والتغير ولا ترى حرجا في تقبل أي تغير اجتماعي أو اقتصادي بل ربما تجد هذا التغير ما يتفق مع طبيعتها وخصائص نموها ، وبالتالي الرغبة في التغير والصراع مع القديم².

يمثل الشباب من الناحية الديموغرافية غالبية المجتمع الجزائري ،بمعنى أن معظم أفراد المجتمع الجزائري معاصرين لقيم الحداثة بغض النظر عن تنشئتهم الاجتماعية، فأصبح الشباب يشكلون ضغطا على

¹ - محمد العربي ولد خليفة، مرجع سبق ذكره، ص 251-255.

² - الشيباني عمر محمد التومي: الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، الدار العربية للكتاب، ط9، 1984، ليبيا، ص 18.

البنى الاجتماعية التقليدية وعلى رأسها العائلة، فأصبحوا يتلقون تنشئة اجتماعية خارج النظام العائلي وبالتالي أصبح الشباب يحمل تصورات وسلوكيات تخالف تلك التي كان عليها آباؤهم وأجدادهم كعدم تمسكهم بالأرض أو بالفلاحة، واهتمامهم بأنشطة خارج رساميلهم الاقتصادية، فنتج عن ذلك صراع بين الطرفين أساسه تمرد الشاب على سلطة أبيه في معظم السلوكيات خاصة مع الانفتاح الإعلامي وزيادة انتشار شبكات التواصل الاجتماعي حيث تتجلى بعض قيم الفردانية لدى الشباب الجزائري من خلال ما يلي:

- ✓ رفض بعض القيم التقليدية واستبدالها بقيم حديثة وهذا ينتج عنه تعارض القيم بين جيل الآباء والأبناء.
- ✓ تراجع النشاط الرعوي وتربية المواشي كنشاط هام بالمنطقة نتيجة لعدم تمسك الجيل الجديد بمهنة ابائه وبحثه عن حياة حضرية بعيدة عن مشقة البادية والأرياف.
- ✓ تراجع دور الأسرة في اختيار الزوجة للابن حيث يفضل معظم الشباب الاختيار بأنفسهم.
- ✓ الاهتمام بالموضة وأنماط اللباس ومجاراة النجوم والشخصيات الشهيرة والتأثر بهم.
- ✓ الاستقلالية في اختيار التخصص الدراسي الجامعي والعمل أيضا لدى الكثير من الشباب.
- ✓ التوجه للاستقلالية في الإنفاق والسكن بعد الزواج والانتقال الى الفردانية و نظام الاسرة النووية.
- ✓ السعي لإشباع حاجات نفسية وشخصية مرتبطة بالحرية الشخصية.
- ✓ ظهور قيم عمل جديدة تتماشى مع تصورات الشباب لواقعهم الاجتماعي ومستقبلهم.

وقد عدد ويليام أوجيرن خصائص المجتمعات الساكنة والمتحركة كما يلي¹:

صفات المجتمع المتغير	صفات المجتمع الساكن
تحاول عناصر ثقافة جديدة القيام بتجارب واختبارات جديدة	لا يقبل التجارب والاختبارات الجديدة
الاعتقاد بفكرة التقدم	الاعتقاد بالقضاء والقدر وبطبيعة الأشياء الحتمية التي لا يمكن تجنبها
يعتبر الماضي عندهم عبئا ثقيلا عليهم	للماضي مكانة اعتبارية عظيمة عنده
يتحكم الشباب بالمعلومات من خلال الكتب والنوريات	يتحكم كبار السن بالمعلومات ونقلها من جيل لآخر
الإرشادات والتوجيهات العقلانية تقوم بتوجيه وإرشاد سلوك الأفراد	الماضي والتراث يقودان ويوجهان سلوك الأفراد
لديهم آخر الموضوعات الشهيرة	لا توجد موضوعات للباسهم
لا يكون تصرف الأفراد موزونا	يكون تصرف الأفراد موزونا
الطبيعة البشرية محفزة وغير مقموعة	الطبيعة البشرية مقموعة
الفردية عالية و عندهم عادات في تغير دائم	لا وجود للفردية عندهم بل هم محترمون العادات
وجود طبقات اجتماعية	وجود جماعات صغيرة وطوائف
غير عاطفيين تجاه كل شيء جديد	عاطفيون اتجاه الأشياء
الأدب الفني تحول على موضوعة	يجيد الأدب الفني

¹ - لطيفة طبال، التغير الاجتماعي و دوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر، العدد 08، جوان 2012، ص 426.

<p>الدين اقل تأثيرا وينظر إليه نظرة عامة ويتسبب في تغير المجتمع</p>	<p>الدين منتفص للأمل لذلك يمنع الثورة ضد المؤسسات التي تسبب القلق والاضطراب</p>
---	---

ثالثا: انعكاس التحولات على نسق قيم العمل: لقد غيرت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الجديدة الكثيرة من تصورات واتجاهات الشباب نحو العمل، فارتفع معدلات البطالة وارتفع تكاليف المعيشة وركود سوق العمل وضعف فرص التوظيف قد جعل الكثير من الشباب يحمل تصورات سلبية اتجاه العمل خاصة في مناطق تعيش اضطرابا في الاقبال على بعض الأنشطة الفلاحية كرعى الغنم و زراعة الأرض و تربية الانعام باعتبار القيم الحديثة حسب الشباب لا تنزع الى هكذا مهنة، ما يجعل طالب العمل في حيرة و تيه في الاختيار ما يجعله ينظر إلى مستقبله المهني نظرة تشاؤمية وهذا ما أدى بطبيعة الحال إلى التسرب المدرسي وتراجع مستويات التعليم لدى الشباب الذكور خاصة لاعتقادهم بعدم جدوى التعليم في الحصول فرصة عمل .ومن جهة أخرى نجد أن الشباب ينظر نظرة سلبية لبعض المهن والحرف الشاقة خاصة اليدوية مثل البناء وقطاع الفلاحة بكل جوانبها خاصة في المناطق السهلية الرعوية التي تشهد تراجعا للبدو الرحل كتركيب اجتماعي له دوره و وظائفه بسبب عزوف الكثير منهم عن العمل بهذه القطاعات التي تعرف عجزا كبيرا وهذا راجع للعامل الثقافي بالدرجة الأولى حيث يفضل الكثير من الشباب العمل المريح والذي يمنح صاحبه طريقا اجتماعيا، وهذا ما سوف يخلق مشكلة حقيقية تنمية القطاعات المنتجة في الاقتصاد الوطني - التي لا تلقى إقبالا من الشباب عليها- و التي ستتحول الى واحدة من المعوقات التي تقف كحجر عثرة امام التنمية المحلية، وبالمقابل نجد تشبعا في بعض القطاعات كقطاع التجارة والخدمات والتي تستقطب شريحة واسعة من الباحثين عن الوظائف بها و هو ما نعتبره في دراستنا معوقا و مطبة لا يمكن اغفالها و يعتبر من الضروري معالجتها لتحقيق مقتضيات وشروط التنمية الاجتماعية و الاقتصادية.

٣-٤- التحول في المجال البيئي (المناخ):

أن حجم وسرعة التغير في الجوانب المختلفة للثقافة ليست واحدة، وأن استجابات الأفراد للتغير ليست متساوية، فحين يقبل بعض أعضاء نفس المجتمع على القيم الجديدة، يحرص آخرون على التمسك بالقيم القديمة، بينما يميل البعض الآخر إلى الخلط بين الجديد والقديم. وقد تفقد العناصر القديمة أهميتها ووظيفتها أثناء التغير، وقد تستمر العناصر القديمة وتعيش مع العناصر الجديدة بصورة تختلف أو تتغير فيما مسالة التساند لأي منها¹. ما يعني أن المزج بين الحداثة و الأصالة يضمن للمجتمع معادلة منسجمة ضمن أطر البيئة الاجتماعية و الطبيعية التي لطالما اعتبرت من محددات الثقافة و التنشئة الاجتماعية فالحديث عن التنمية لا ينعزل عن البحث في البيئة العامة ككل لتأثيراتها على الثقافة المادية و المعنوية و هو ما يهتم به المدخل الايكولوجي للثقافة حيث ركّز هذا الاتجاه على علاقة البيئة بالمجتمع، وعرف باسم الإيكولوجيا والمقصود بها تتبع العلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة عامة، وأثر العوامل البيئية في الإنسان والنظم المختلفة من اقتصادية وسياسية ودينية².

فالعوامل البيئية المتمثلة في كل العناصر المشكلة لها، وكذلك كل التحولات التي تطرأ من حين لآخر، والإيكولوجيا تتمثل في التفاعل بين هذه العوامل والإنسان، وكذلك النظم التي يتميز بها البناء الاجتماعي ككل، باعتبار أن الإنسان يتمثل في جزء من النسق المشكل من النباتات، ومختلف الحيوانات وكل عناصر البيئة الطبيعية المختلفة، فبناء على هذا يتكوّن النسق الايكولوجي ومن بين الذين اهتموا بهذه النظرية هم الأنثروبولوجيين، حيث انطلقوا في دراساتهم من طرح تساولين أساسيين هما: "

¹ -جودت، عبد الكريم يوسف. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع. ديوان المطبوعات الجامعية

الجزائر

² - محمد حسن الغامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، 1989، ص 44.

✓ لماذا تتواجد عناصر خاصّة أو مجموعة من العناصر الثقافية في فترات زمنية معيّنة، وفي أماكن

محددة؟

✓ كيف تقوم هذه العناصر الخاصّة بدورها داخل بيئة ثقافية وطبيعية معيّنة؟¹

فمن خلال هذين السؤالين فإن الثقافة تعني التكيف، أي العناصر الثقافية كيف تتكيف مع الوسط

والمحيط ككل؟

وجاء اتجاه الإيكولوجيا الثقافية كبديل ناقد لتطور مبدأ الحتمية البيئية الذي ساد الفكر الاجتماعي

لفترة زمنية معتبرة، حيث ظهرت نظريات نالت صفة التراكمية، ففي البداية جاءت فكرة الاحتمالية

البيئية، مفادها أنّ "العوامل البيئية قد تحد من إمكانيات التكيف في ثقافة ما، لكنها لا تحدد أنماط

التكيف، أو الاختيارات التي يقوم بها المجتمع"²، بمعنى أنه يمكن أن تكون البيئة ملائمة لنشاط معين،

ولكن المجتمع لا يهتم بذلك، فيمارس نشاطا آخر.

فقد تختلف الظاهرة الثقافية من زمن لآخر رغم تواجدها في مكان واحد، وهذا ما وصل إليه

"الفريد كروبر" عند دراسته لمجتمع هنود البيلو والتفاهو في الجنوب الغربي الأمريكي.

ولم يتوقف الباحثون عند هذا الحدّ بحثا عن إشكالية العلاقة بين البيئة والثقافة، فتوصلوا إلى ما يعرف

بالإيكولوجيا الثقافية، التي جاءت معدّلة للتصورات السابقة، من الحتمية ومبدأ الاحتمالية البيئية.

فأول من اهتم بهذا الاتجاه هو الأنثروبولوجي "جوليان ستيوارد" سنة 1955، وانطلق في دراسته من

تساؤل: ما هي العمليات التي يحدث من خلالها توافق المجتمعات مع بيئاتها؟ أي بحث في مجال توافق

المجتمع مع عناصر البيئة المشكلة للوسط الذي يعيش فيه.

وقد أوضح "ستيوارد" الخطوات التي ينبغي على الباحث اتباعها عند دراسة الإيكولوجيا الثقافية تتمثل

¹ - محمد حسن الغامري: مرجع سابق، ص 45.

² - المرجع نفسه، ص 46.

في:

" تتمثل الخطوة الأولى في تحليل التفاعل بين البيئة والتكنولوجيا المستخدمة، لأنّ بعض عناصر البيئة يمكن أن يكون لها تأثير أكثر من عناصر أخرى، وهذا ما ينعكس على التكنولوجيا المستخدمة، بحيث أن أي مجتمع لا يستطيع استغلال كل ما تجود به بيئته حتّى عند التكنولوجيات المتقدمة.

بحيث يؤكد "ستيوارد هنا أنّ الثقافات البسيطة تتأثر مباشرة بالبيئة التي تتواجد فيها، في حين نجد هذا التأثير يقلّ في الثقافات الأكثر تطورا، بحيث عند هذه الأخيرة تستطيع التغلّب على العديد من الصعوبات البيئية، كحرارة المناخ، ووعورة الأراضي والمرتفعات، فتستخدم أجهزة التكيف للمناخ غير الملائم، ومدّ الطرقات وبناء الجسور لوعورة التنقل.

أمّا الخطوة الثانية فتتمثل في تحليل أنماط السلوك التي تتضمنها عملية استغلال عنصر معين بواسطة تكنولوجيات معينة، فهل هذا يتطلب التعاون؟ وهل أنّ هذا التعاون يؤدي إلى الانتفاع الأقصى للمصدر؟ ومن هنا فالإيكولوجيا الثقافية يجب أن تهتمّ بالإمكانيات المتاحة والمستغلة لوسائل تنبيه الناس إلى أماكن مصادر استغلال البيئة.

والخطوة الأخيرة تتمثل في مدى تأثير أنماط السلوك المتضمنة في عملية استغلال البيئة على مظاهر الثقافة الأخرى. ومن بين تلك المظاهر تنظيم الجماعات القرابية، والتنظيم السياسي والاجتماعي، والكثافة السكانية¹.

وبحسب هذه الخطوات فإنّ الإيكولوجيا الثقافية تبحث في كيفية توفير الحاجيات لدى المجتمع، وتلك التكنولوجيات التي تستغل بها مصادر تلك الحاجيات المختلفة، وتبحث في التنظيمات المصاحبة والناجئة عن تلك التكنولوجيات المختلفة المستخدمة في استغلال البيئة من أجل التكيف مع الوسط العام الذي يعيش فيه المجتمع.

كما يؤكد ستيوارد من خلال نظريته بأن المجتمع كلّما طوّر وغير من جملة التكنولوجيات

¹ محمد حسن غامري: المرجع السابق، ص ص 47 48.

المستخدمة في عملية سدّ حاجاته تزيد درجة توافقه مع البيئة التي يعيش في كنفها، فالتغير يعني كلا من البيئة والثقافة، فإذا تعيّرت عناصر البيئة تتغير تبعاً لها عناصر الثقافة.

نستنتج ان للبيئة تأثير بالغ في الثقافة وفي التنمية ايضاً، فقد اختلفت المفاهيم المتعلقة بهذا المصطلح تبعاً لاختلاف المجالات العلمية والمعرفية، فكل اختصاص علمي يعرف البيئة من زاوية معينة حسب الإجراء الذي يتناوله. وعلى العموم نستطيع القول أنّ كلمة البيئة تطلق في معظم الأحيان عند الكلام عن "حالة الاستقرار والتوازن"¹، يعني أنه ارتبط مصطلح التوازن بالبيئة، فأصبحتا كلمتين متلازمتين نظراً لما حصل من اختلال في النظام البيئي سيما في الآونة الأخيرة، حيث كثرت المشكلات البيئية من تلوث واستنزاف للموارد الطبيعية وكذا ما تعلق بمشكلات البيئة الاجتماعية.

فمن الناحية اللغوية، البيئة هي: "المكان أو المحيط أو المنزل المستقر فيه"². وهذا باتفاق معاجم اللغة العربية. ومن الناحية الاصطلاحية، فقد عرفها مؤتمر ستوكهولم 1972 بأنها: "كل شيء يحيط بالإنسان"³.

ويعني أنّ الإنسان يعيش في وسط يتكوّن من كائنات مختلفة سواء حيوانية أو نباتية، وكذا الأرض وما تجود به من ثروات مختلفة باطنية أو سطحية، إلى جانب الهواء وطبيعة المناخ وما يدركه الإنسان من كواكب ونجوم وغير ذلك مما تتكون منه الطبيعة وقد عرّفت البيئة في دائرة المعارف الجغرافية الطبيعية بأنها "المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويقوم فيه بعملية الإنتاج، ويحتوي على مواد حيّة وغير حيّة، وتتحكم فيه العوامل الاجتماعية والجغرافية. وهو يتكون من المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي"⁴.

² حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص 3

² المرجع نفسه، ص 3

³ المرجع نفسه، ص 7.

⁴ -المرجع نفسه، ص 7.

وما دمنا الآن نتعامل في البحث مع التنمية و من منطلقات أنثروبولوجية فنؤمن ان بعض المعوقات هي بيئية بامتياز اذ انها اثرت على نشاط الساكنة و اعاقت اعمالهم بل و انت على محاصيلهم فموقع عين الصفراء والبرودة التي تشهدها شتاء يقودنا الى البحث في الاسباب الطبيعية، وقد يفهم من البيئة أنها تشير إلى الوسط الطبيعي فقط، و لكن في الحقيقة هي تلك الظروف والأحوال التي ينمو فيها الكائن وتتغير صفاته نتيجة لتلك الظروف والتغيرات.

وعلى هذا الأساس يجب علينا توضيح أقسام البيئة حتى ينجلي اللبس عن هذا المصطلح.

٣. أقسام البيئة

البيئة الطبيعية: من طبيعة المعرفة الإنسانية أنها متطورة وتذهب نحو الدقة عن طريق التراكم المستمر سواء ما يتعلق بالجوانب النظرية أو ما استخلصته الدراسات الميدانية، فمفهوم البيئة أخذ في التطور من مفهوم إلى ما هو أدق منه نتيجة لتوسع رقعة البحث العلمي، حيث وصل المفهوم إلى أن البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان أو الوسط الذي يعيش فيه.

فهي إذن: "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني الإنسان"¹.

فالبيئة من خلال هذا التعريف هي الحيز الذي يمد للإنسان أسباب العيش على الأرض بمختلف الأشياء التي تحويها الطبيعة في عمومها.

والبيئة الطبيعية تتعلق بما لا دخل للإنسان فيه من حيث التكوين أو غير ذلك، وهي تتمثل في "كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر حيّة وغير حيّة"².

ويتعلق هذا الكلام بمجموعة التضاريس والكائنات الحية من نباتات وحيوانات إلى جانب التربة والمناخ. وهذه العناصر تختلف في طبيعتها وخصائصها وتكوينها ونظمها من بيئة إلى أخرى، حسب خصائص مكونات كل حيز، والمعطيات المتاحة.

فما لا شك فيه أنه مادامت الحياة مستمرة وخاصة في البادية بالعين الصفراء رغم قساوتها، فإنه يوجد هناك نظام بيئي يأخذ نوعاً من التوازن نتيجة للتفاعل المستمر بين العناصر البيئية المشكّلة للوسط والذي يرسم طريقنا في بناء نموذج ثقافي يعمل على إشباع حاجاتنا كما يرى تيودور ادورنو حين يؤكد أن الثقافة هي التي تمدنا بطرائق الفعل أمام وضعيات معينة.

فالنظام البيئي "هو عبارة عن وحدة تنظيمية في حيز معين، تحتوي عناصر حيّة وغير حيّة تتفاعل مع بعضها وتؤدي إلى التبادل للمواد بين عناصرها الحيّة وغير حيّة"³.

فالنظام البيئي حسب هذا التعريف يعبر عن الحياة بأنّها في تنسيق متكامل في مجال جغرافي معين، وهذا المجال يتكوّن من عناصر حيّة مثل الحيوانات، وعناصر أخرى تعيش عليها هذه الكائنات، أو

¹ - عبد المجيد عمر النجار: مرجع سابق، ص 19.

² راتب السعود: مرجع سابق، ص 18.

³ أيمن سليمان مزاهرة وعلي فالح الشوابكة: البيئة والمجتمع، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003،

تحتها هي العناصر غير الحيّة، تمتزج في مجموعها عن طريق ما يسمّى بالتفاعل أو التبادل أو الانتشار.

البيئة المشيّدّة: كما هو معلوم، أن كل عناصر البيئة الحيّة تعيش في وسط جغرافي متوازن، ولكلّ منطقة حيواناتها ونباتاتها ولها نوع من البكتيريا التي تتلاءم مع طبيعتها، فالكائن الحيّ الوحيد الذي يغير ويحاول أن يطوّع الطبيعة لصالحه حتّى يتكيّف معها هوّ الإنسان. فهو الكائن الذي يملك التفكير العقلي ويطمح باستمرار إلى الحياة الأكثر أريحية ورفاهية، وبالتالي بحث عن تلك الموارد الطبيعية المختلفة التي توجد على شكل خامات، واستخلص منها مجموعة من العناصر، و استغلّها في حياته اليومية بقصد التغلب عن صعوبة الحياة، وبالتالي تتحقّق الرفاهية و تحقيق التنمية، فاستغلّ القصور بالمنطقة الذين اختصوا بزراعة الأرض وما تجود به من محاصيل واستغلّ الماء، واستغلّ الشمس وغير ذلك من عناصر البيئة الطبيعية، فحوّل الفيافي إلى مزارع، و مراعي وطورها واستخرج تباعا المحروقات ومهدّ بها الطرقات، واكتشف تحويل الحديد فصنع السكك الحديدية وشيّد به البناء والأبراج، وهذه الانجازات البشرية من مباني ومصانع ومزارع وغيرها كلّها من تطويع الإنسان، وهي ما يسمّى بالبيئة المشيّدّة.

فتعرّف البيئة المشيّدّة "كلّ ما أضافه الإنسان من عناصر ومعطيات بيئية تمثل نتاج تفاعله واستغلاله لموارد بيئته الطبيعية"¹.

يعني هذا التعريف أن البيئة المشيّدّة هو المظهر المادي الناتج عن تكيف وتفاعل الإنسان مع وسطه الطبيعي الذي يعيش فيه، وتبعاً لنوع البيئة الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع.

فطبيعة الإنسان من حيث البحث عن حياة أفضل، نجده يسعى مع أقرانه من بني البشر باستمرار إلى استغلال الثروات الطبيعية المتاحة وتطويعها لرفاهية المجتمع، فكلما زادت التقنيات تقدماً، كلما

1- حسن عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص 13.

كانت البيئة المشيِّدة أكثر تقدما. وكلّما قلّت التقنيات، نجد هزلة البيئة المشيِّدة، وبالتالي نميز بين بيئات متقدمة وبيئات نامية وأخرى متخلفة.

خلاصة:

من خلال استعراضنا للتجربة التنموية في الجزائر عبر مختلف مراحلها نستطيع القول أنها وان نجحت في فترة السبعينيات في تحقيق بنية تحتية قوية وانجاز مكاسب اجتماعية هامة، إلا أنها عانت من اختلالات هيكلية عميقة، جراء اعتمادها على عائدات النفط والغاز وإتقال كاهل الاقتصاد بمديونية ثقيلة، دفعت ثمنها الأجيال اللاحقة بسبب الشروط القاسية التي رافقتها، في الوقت الذي فشل فيه الاقتصاد في التحول نحو خلق الثروة، والقيمة المضافة كما أن الشروط القاسية التي فرضها المؤسسات المالية العالمية، حتمت إجراء إصلاحات عميقة على هيكله الاقتصادي الوطني واليات اشتغاله سعيا لتحقيق تحول اقتصادي نوعي، يضمن انطلاقة آلة الإنتاج، وتحسين ظروف المعيشة للمواطن¹، لقد حاولنا في هذا الفصل رصد أهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي مرر بها المجتمع الجزائري عموما مع الإشارة الى منطقة عين الصفاء التي تمتاز بظروفها و معطياتها الايكولوجية والطبيعية والبشرية ، كما سلطنا الضوء على اثر التحولات التي عرفتها الجزائر على قيم العمل والتنمية ككل، ولو بالقدر القليل نظرا لصعوبة حصر جميع التحولات بتفاصيلها وجميع أحداثها، ونظرا لكون التحولات الاجتماعية والاقتصادية متغيرا حاسما في دراستنا باعتبارها عاملا مفصليا نقف من خلاله على المعوقات، والذي على أساسه بنينا فرضيات البحث والتي هي في حاجة إلى تحقق ميداني من خلال معرفة مدى أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على تغير منظومة القيم الثقافية و انعكاساتها على المشاريع التنموية. كما أن فهم الظواهر الاجتماعية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار

¹ سعيد فكرون، المرجع السابق، ص77

السياق التاريخي لها، والتطور الخطي لمتغيراتها الأساسية، فالظاهرة الاجتماعية تنشأ في ظروف اجتماعية معينة وتتغير بتغير الظروف والمعطيات.

الفصل الرابع

اثنوجرافية منطقة عين الصفراء

تمهيد:

كتب "لينيز" وهو باحث فرنسي فيما قبل التاريخ قائلاً: اذا كانت تبدو منطقة عين الصفراء جافة وقاحلة اليوم فان الامر لم يكن كذلك في العصور البائدة فقد كانت المياه تسيل من الينابيع التي جفت اليوم وكان هناك غطاء نباتي وفير ينمو عبر السهول القاحلة اليوم، اقوام كثيرون كانوا يقطنون هنا ويختم مقولته بالتأكيد على ان في زمن ما كانت هناك حياة نباتية وحيوانية وبشرية ومياه غزيرة¹.

تعتبر مدينة عين الصفراء ميدان بحثنا من المدن قديمة النشأة في ولاية النعامة، اذ يعتبر التواجد البشري بهذه المدينة وضواحيها قديم جدا يعود على الأقل إلى العصر الحجري الحديث نيولوليتيك وذلك بدراسة الباحثين للنقوش الحجرية الموجودة بكثرة في مدينة العين الصفراء وضواحيها، نظرا للموقع الجغرافي لمنطقة عين الصفراء ضمن سلسلة جبال الأطلس الصحراوي وبالضبط بمنطقة جبال القصور فهي تحتوي على مجموعة من القصور تصنف ضمن القصور الصحراوية أو ما يصطلح عليه بالعمارة الصحراوية ، هذه القصور السالفة الذكر تشترك مع القصور الصحراوية عامة في مميزات معمارية وأثرية معينة لكنها تتفرد ببعض الخصائص والتي تخضع لمؤثرات مختلفة بحكم التضاريس الجغرافية وتأثير المناخ والعلاقات الاجتماعية والثقافية التي تحكم المجتمع¹.

استقر الإنسان القديم بالمنطقة لتوفر المياه من أودية و ينابيع فسكن الكهوف و المغارات ثم بنى تجمعات سكنية بالقرب من تلك الموارد المائية في أماكن حصينة و سجل تاريخه على الصخور فيما يدعى محليا بـ: "الحجرة المكتوبة" إذ رسم حيوانات مختلفة كالغزلان و الفيلة و الأبقار و الزرافات و صور لبعض الصيادين و هم يحملون أدوات الصيد، حين كان الصيد حرفته و حجر الصوان آتته في العصر الحجري الحديث، و في هذا الدور أتقن إنسان المنطقة صناعة الحجارة و تفنن في الاستفادة منها، كما أتقن فن التصوير حين رسم الحيوانات و مناظر الاصطياد.

الواقع أن هذه الرسومات تعتبر مرحلة أساسية في تطور التعبير الإنساني، تدل على تقدم إنسان المنطقة في عصور ما قبل التاريخ والذي عبر عن أفكاره بتلك النقوش بالإضافة إلى الحضارة العربية الإسلامية والمتمثلة في القصور الصحراوية المنتشرة في المنطقة بعمارتها وتخطيطها المتميزة، فهي

¹ خليفة بن عمارة. تاريخ الجنوب الغربي الاعلى من الاصول الى غاية حرب التحرير ترجمة بوداود عمير دار القدس العربي ص 13 .

صورة حية تعبر عن واقع هذه الحضارة في المنطقة رغم بساطة تكوين هذه القصور التي لا تزال تتصف بالبداءة².

تم تحديد نشأتها إلى حوالي 5000 سنة قبل الميلاد وذلك لدراسة بعض الباحثين حامي سنة 1882م، طوني 1888م، فلاماند 1892 وفي القرن العشرين بروي، فوفري، يالاري، لوت ، وحسب نفس الباحثين ودراساتهم للنقوش الحجرية فان اغلب الأعمال أنجزت قبل الحضارة السومرية، وقيل إنها أقدم من الأهرامات المصرية. التمولوس لقد كانت المدينة في تلك المرحلة منطقة عبور ذات حركة مرور كثيفة بين الجنوب والشمال وبين الغرب والشرق وذلك لقراءة الباحثين لمضمون النقوش الحجرية التي ضمت عربات جر وكذا حيوانات جر فالزائر لعين الصفراء سيلاحظ ثراءها بالتراث المادي المتمثل في محطات النقوش و المخلفات المادية التي تنتشر في المنطقة و سيلاحظ تميزها بتراث لا مادي معتبر حيث يعد التراث الأثري مصدرا للذاكرة الجماعية و أداة للدراسة التاريخية والعلمية لحضارة الإنسان وشخصيته، والتعرف على محيطه السياسي والاقتصادي والاطلاع على بيئته الثقافية والاجتماعية³.

يرجع تاريخ نشأة مدينة العين الصفراء من القرن 8م إلى القرن 12م من طرف الرومان ثم تعاقب على تداول الحكم فيها من طرف. المرابطين والحماديين والزيانيين وذلك من القرن 17م إلى القرن 19م، وفي القرن العشرين عرفت استيطان الاستعمار الفرنسي. في هذه المرحلة عرفت المدينة توسعا سكنيا كبيرا فشيدت المساكن والثكنات والكنائس⁴. تعتبر مدينة عين الصفراء مدينة قديمة النشأة، وما من مدينة أنشئت في القدم إلا لأن فيها ما يميزها كمنطقة تتربع على مساحة معتبرة

¹ بيدي محمد. الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري قصور منطقة عين الصفراء أ نموذجاً مجلة الساوره 2016، ص263.

² - بيدي محمد. مرجع سابق. ص266

2- عبد الحق معزوز، الآثار كمنتوج سياحي، أعمال ملتقى دور الآثار في ترقية السياحة والثقافة، دراسات،

3- منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد 59. ص , 2004 -2003

² خليفة بن عمارة. نفس المرجع ص45

تضاهي بل وتفوق مساحات دول بأكملها عن غيرها من موارد طبيعية ومؤهلات اقتصادية، تقع مدينة العين الصفراء في الغرب الجزائري بمقر ولاية النعامة حيث تبعد عن مقرها بـ 70 كلم.

تقع بلدية عين الصفراء في الجنوب الغربي لولاية النعامة التابعة لها إقليميا التي بدورها تقع في الجنوب الغربي للعاصمة الجزائر.

وهي تقع ضمن سلسلة الاطلس الصحراوي بين الحدود الجنوبية والهضاب العليا الغربية في الحدود الشمالية حيث يحد المدينة كل من:

✓ بلدية النعامة وعين بن خليل في الشمال.

✓ بلدية تيوت في الشرق.

✓ بلدية مغرار في الجنوب.

✓ بلدية الصفيصيفة في الغرب

1-لمحة عامة حول الإقليم

1-1-الموقع الجغرافي: انبثقت ولاية النعامة التي تعتبر العاصمة الادارية لعين الصفراء عن التقسيم الإداري الأخير بمقتضى القانون رقم 84-09 المؤرخ في 04 أبريل 1984، تتكون من 07 دوائر و12 بلدية، تقدر مساحتها بـ 29.819,30 كلم² ويقدر عدد سكانها بـ 261.526 نسمة، بكثافة قدرها 8.77 ن/كلم².

تقع في الجنوب الغربي من الوطن بين الأطلس الصحراوي والأطلس التلي، يحدها شمالا ولايتي تلمسان وسيدي بلعباس، ولاية البيض شرقا وبشار جنوبا ويحدها غربا المملكة المغربية بشرط يقدر بـ: 250كلم.

1-2-التضاريس: تحتل ولاية النعامة جزءا كبيرا من منطقة الهضاب العليا الغربية، تتكون من ثلاثة مناطق جغرافية كبيرة:

المنطقة السهلية، مساحتها 20.319.88 كلم² يغلب عليها النشاط الرعوي وتعرف هذه المنطقة زحفا واسعا للرمال بسبب تدهور الغطاء النباتي.

المنطقة الجبلية، تتمثل في سلسلة الأطلس الصحراوي وتستحوذ على مساحة قدرها 5.195.51 كلم².
منطقة الجنوب شبة الصحراوية، تشمل المساحة المتبقية 3.998.75 كلم
أما مناخ الولاية فيتميز خلال السنة بفصلين:

- فصل بارد ورطب نسبيا يمتد من نوفمبر إلى أبريل.

- فصل حار وجاف يمتد من ماي إلى أكتوبر.

يتميز هذا المناخ بعدم الانتظام وبنسبة تساقط ضعيفة ومتفاوتة من شهر لآخر، كما تنخفض درجة الحرارة في الشتاء مع وجود الجليد وترتفع في الصيف إلى أعلى مستوياتها من جهة أخرى إن مخطط التهيئة العمرانية للولاية يندرج ضمن مخطط جهوي حيث قسمت الهضاب العليا إلى ثلاثة مناطق إقليمية:

- منطقة الهضاب العليا الشرقية.

- منطقة الهضاب العليا الوسطى.

- منطقة الهضاب العليا الغربية وتشمل كل من: ولاية النعامة، البيض، سعيدة، تيارت وتيسمسيلت.

1-3-السكان:

يتمركز السكان بطريقة غير منتظمة، أكثر من نصف عددهم يقطنون مدينتي مشرية وعين

الدائرة	البلدية	عدد السكان	المساحة كم ²	الكثافة ن/كم ²
---------	---------	------------	-------------------------	---------------------------

الصفراء 6 بالمائة من التراب الكلي للولاية.

المعطي الديموغرافي بولاية النعامة.

النعامة	النعامة	24.893	,93 2.525	,859
المشرية	المشرية	90.747	750,12	120,98
	عين بن خليل	13.654	3.800,03	3,59
	البيوض	11.975	3.728,18	3,21
العين الصفراء	العين الصفراء	68.419	1.004,94	68,08
	تيوت	7.120	851,10	8,37
الصفيفية	الصفيفية	7.549	2.438,61	3,10
مغرار	مغرار	4.669	1.174,26	2,67
	جنين بورزق	3.564	1.193,19	2,99
عسلة	عسلة	11.021	2.069,00	5,33
مكن بن عمار	مكن بن عمار	10.237	3.325,48	3,08
	القصدير	7.678	6.386,46	1,20
الولاية		261.526	29.819,30	8,77

1-4-المؤهلات السياحية:

✓ **سياحة ثقافية:** تتوفر ولاية النعامة على مناظر طبيعية خلابة واحات وجبال، كثبان رملية،

بحيرات كهوف ومغارات مشكلة بذلك متحفا طبيعيا متميزا مما يجعلها لتكون قطبا سياحيا

هاما.

✓ **تاريخ وأصالة:** الفن المعماري للقصور، أبراج المراقبة، الصخور المنقوشة، اكتشاف

مستحاثات الديناصورات والغابات المتحجرة، كلها كنوز ثمينة وشاهدة على الحضارات التي

تعاقبت في المنطقة.

1-5- شخصيات تاريخية:

سيدي أحمد المجذوب: هو الولي الصالح سيدي أبو العباس أحمد المجذوب ولد سنة 898هـ - 1493 م تتلمذ على يد أبيه العالم الجليل سيدي سليمان بن أبي سماحة حيث حفظ القرآن الكريم والحديث، الفقه المالكي ومبادئ التصوف كما أخذ أيضا عن شيخ والده سيدي أحمد الملياني. كان شيخا تقيا زاهدا يتنقل على ظهر حمار، اتخذ لنفسه خلوات للعبادة بضاحية الشلالة لقب "المجذوب" وهو حال من أحوال التصوف، تزوج بالسيدة أم كلثوم بنت الشريف سيدي بوتخيل حفيد سيدي عبد القادر الجيالي رحمه الله، خلف منها ثلاثة أولاد، سيدي سليمان، سيدي التومي والذهبية، توفي رحمه الله سنة 978 هـ - 1570 م.

لالة صفية: هي الولية الصالحة صفية بنت سيدي سليمان بن أبي سماحة ولدت حوالي 1510 م تعلمت كإخوتها على يد الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة تعاليم التصوف. تزوجت من تلميذ أبيها سيدي عبد الرحمان بن موسى الذي توفي في سن مبكرة سنة 1539 م وكان عمرها لا يتجاوز 30 سنة تكفلت بتربية أبنائها سيدي يحي سيدي أحمد وسيدي موسى. توفيت حوالي 1585 م دفنت أول الأمر في صفيصيفة ثم نقلت إلى تيوت من طرف الأحلاف بعد صراعات بين أحلاف تيوت وسكان صفيصيفة كلا من الطرفين طامعا في بركتها.

الشيخ بوعمامة: هو محمد بن العربي بن

الشيخ بن محمد بن ابراهيم بن التاج بن سيدي الشيخ (عبد القادر بن محمد) يعود نسبه إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد سنة



1833 م وتوفي رحمه الله في 7 أكتوبر 1908 م عاش متأثراً بمحيط بيئته التقليدية المحافظة على الموروث الديني الصوفي أسس زاويته بمغرار التحتاني التي أصبحت منارة للعلم و قبلة لطلابه ، وحد القبائل و قضى على القلاقل التي كانت آنذاك ممهدا الطريق لإعلان الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي حيث أصبح رائد المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي الجزائري من 1881 إلى 1908. أول معركة له ضد الاستعمار الفرنسي كانت في 27 أبريل 1881 بمنطقة صفيصيفة حيث ألحق بالمستعمر هزيمة نكراء هذ النصر تلاه نصر آخر في معركة موبلق في 19 ماي 1881 بجبال القصور رغم تفوق المستعمر في العتاد والعدة. ذاع صيته وأصبح قبلة للمجاهدين من كل القبائل حيث اتجه بعدها إلى الأبيض سيد الشيخ أين أسس قاعدة عسكرية مما أدى بالاستعمار الفرنسي إلى هدم ضريح جده سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بتاريخ 15 أوت 1881 مما زاد من عزيمته على مقاومة المستعمر الغاصب.

إيزابيل ايبهارت: كاتبة وصحفية ولدت في جنيف بتاريخ 17 فبراير 1877 في وسط متقف، حيث أصبحت مولعة بحب السفر والاكتشاف تعلمت اللغة العربية والأمازيغية عندما قدمت إلى الجزائر في ماي سنة 1897 انتحلت شخصية رجل سمى نفسها سي محمود، اكتشفت خصوصيات المجتمع الجزائري فاعتنقت الإسلام وتزوجت من رجل جزائري يسمى سليمان نشرت أول مقال سنة 1895 وآخرها سنة 1904.

1-6- عادات وتقاليد:

عبر الزمن تشكلت لدى سكان المنطقة عادات وتقاليد راسخة حسب الظروف الطبيعية الاجتماعية والاقتصادية، فيعتبر الكسكس أهم طبق تقليدي إضافة إلى لحم الغنم، المشوي والملفوف، التمر، مشتقات الحليب والشاي. أما اللباس التقليدي فمن منتجات الصوف والوبر مثل البرنوس والجلباب أما

النساء يفضلن الحلبي والأسورة، الخلخال، الكحل، الحنة والمسواك والعطور التقليدية مثل البخور، الجاوي، العود..... إلخ.

1-7- فنون شعبية:



الفنتازيا تراث شعبي أصيل يمتطي فيها الفارس صهوة جواده حاملا البندقية يرتدي الجلباب والبرنوس والعمامة، حيث يظهر عربوته وأصالته وهو ينشد الشعر الملحون يصطف في الساحة حوالي 12 فارسا مشكلين

ما يسمى "العلفة" تبدأ بانطلاقة الفرسان وتنتهي بإطلاق البارود.

1-8- الفلكلور:



رقصات شعبية متميزة تقام في أكثر من مناسبة أهمها العلاوي، الحيدوس المعروف بالصف، رقصة الديوان، رقصة القوارير.

حلقات القول: يكون ثلاثة أشخاص جوقا موسيقيا

تقليديا يغني أحدهم الشعر الملحون تحت إيقاع القصبية والبندير، يلتف حولهم الناس مكونين حلقة.

1-9- صناعة تقليدية:

إنتاج الحليب: (إنتاج الجبن التقليدي، السمن، الكليلة.... إلخ).

صناعة الخيمة والأنسجة الصوفية (البرنوس والجلباب، الأفرشة.... إلخ).

استعمال الحلفة لصناعة الكسكاس الطبق.... إلخ.

1-10- مقومات-سياحة ثقافية:

قاعات ومعارض: تتوفر ولاية النعامة على قاعات للمحاضرات بمتحف المجاهدين، قاعة النصر،

دار الثقافة ودار الصناعة التقليدية، مركز الإعلام والتوجيه السياحي بمقر الولاية، مركز تميم

المهارات ببلدية العين الصفراء، إضافة إلى توفرها قاعات مهياً ومكيفة على مستوى فندقي مكث

وتشرافين قاعة امزي والمركز الثقافي فرانس فانون ببلديتي المشرية والعين الصفراء وقاعتين

للسنيما.

1-11- التظاهرات السياحية:

- المهرجان الدولي للسياحة الصحراوية (شهر مارس).

- الصالون الدولي للسياحة والأسفار (شهر ماي).

-اليوم العربي والوطني للسياحة (23 و 25 جوان).

- اليوم العالمي للسياحة (27 سبتمبر).

1-12- الدواوين والجمعيات السياحية:

جمعية تيطاوين السياحية لبلدية تيوت



جمعية قلعة الشيخ بوعمامة (إرث وحضارة) لبلدية مغرار

جمعية أصدقاء تيوت لبلدية تيوت

جمعية أمل الصحراء لبلدية العين الصفراء

جمعية تسنيم لبلدية عسلة.

جمعية فارسة السهوب لبلدية المشرية

جمعية أمال السياحة لبلدية عين بن خليل

متاحف: معالم المقاومة الشعبية، صور



وشهادات حية لبطولات المنطقة الخامسة إيان

الثورة التحريرية

متحف المجاهد: شيد متحف المجاهد بمقر

الولاية عرفانا لنضال أهالي المنطقة وتخليدا لشهدها.

متحف الشيخ بوعمامة: تخليدا للمقاومة الشعبية شيد المتحف بقلعة الشيخ بوعمامة.

13-1-سياحة دينية:

أضرحة و وعدات: النعامة نموذج للسياحة الدينية إذ تعد إحدى ولايات الوطن الرائدة التي تزخر

بماضي عريق وميراث غني، فهي تضم بين أحضانها كنوز تاريخية ثقافية و أثرية قيمة، قصور

مساجد وزوايا و أضرحة لرجال الدين التي تعبر عن فضاء مشع للسياحة الدينية حيث تعرف تألقا

كبيرا خاصة في المواسم و الوعدات المنظمة سنويا و التي تشهد إقبالا كبيرا للوافدين ومحبي الطريقة الصوفية (القادرية، البوشيفية، الهبرية و الدرقاوية... إلخ).

حيث هناك تلاوة القرآن الكريم وإلقاء المحاضرات الدينية و الدروس، صلة الرحم و إصلاح ذات البين، تصاحبها مظاهر الفرح برقصات العلاوي الحيدوس و القرقابو، إضافة إلى الخيالة و الفنطازية الممزوجة بصوت و رائحة البارود.



وعدات:

الوعدة	المكان	التاريخ (كل سنة)
وعدة مجمع الصالحين	قلعة الشيخ بوعمامة	الأسبوع الثاني من شهر أبريل
وعدة سيادي أهل توات	مشرية	شهر أوت
وعدة سيدي موسى	عين بن خليل	شهر سبتمبر
وعدة مولاي الطيب	مشرية	شهر سبتمبر

وعدة سيدي سياف	فرطاسة	الأسبوع الأول من شهر أكتوبر
وعدة سيدي بلال	مشرية - العين الصفراء	بداية شهر أكتوبر
وعدة سيدي عيسى	تيوت	بداية شهر أكتوبر
وعدة سيدي أحمد المجذوب	عسلة	الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر
وعدة سيد التاج	قلعة الشيخ بوعمامة	الأسبوع الثالث من شهر أكتوبر
وعدة سيدي بوتخيل	العين الصفراء	الأسبوع الرابع من شهر أكتوبر

14-1- سياحة بيئية:

مناطق رطبة مصنفة: تتوفر المنطقة على 21 منطقة رطبة منها ثلاثة مصنفة ضمن

اتفاقية "رمسار" مساحتها الإجمالية تقدر بـ 221.280 هكتار

اسم الموقع	عقلة الدائرة (عين بن خليل)	عين ورقة (عسلة)	واحة تيوت و مغرار
رقم و تاريخ التصنيف	1426 بتاريخ 2004/12/12	1300 بتاريخ 2003/06/04	1300 بتاريخ 2003/06/04
المساحة (هكتار)	23430	2350	195.500
طبيعة الموقع	بحيرة مؤقتة	بحيرة دائمة	واحة
الخصائص الفيزيائية والكيميائية	ماء مالح	ماء عذب ، ماء مالح	ماء أجاج و عذب
الخصائص البيئية	السدر، الصفصاف، الطرفاء، لطفاء 17 صنف من الطيور، 2 من الثدييات	مقصبية، بط و دجاج الماء	نخيل التمر، القصب ، الطرفاء
النشاطات و التأثيرات	الفلاحة، تربية الماشية	تربية الماشية، استخراج الأملاح	الفلاحة، تربية الماشية

رطبة مقترحة للتصنيف:

سبخة النعام

المجمع المائي الطبيعي برازيا القصدير

الحظيرة الوطنية: إن الحظيرة الوطنية جبل عيسى بالعين الصفراء مصنفة ضمن القانون رقم 83-03 الخاص بحماية البيئة و كذا المرسوم رقم 03-148 المؤرخ في 29/03/2003 المتعلق بقواعد تصنيف الحظائر الوطنية و المحميات الطبيعية، حيث تمثل نموذجا طبيعيا بفضل احتضانها لثروة نباتية و حيوانية متنوعة تشكل قطبا طبيعيا ذي قيمة سياحية و اقتصادية.

الثروة النباتية: تزخر ولاية النعامة على غطاء نباتي متنوع يتكون من * الغابات 138000 هكتار

* الحلفاء 436000 هكتار

* الزراعة 2203460 هكتار

* الواحات 50600 هكتار

الثروة الحيوانية: يقدر عدد المواشي بأكثر من 1200000 رأس إضافة إلى الحيوانات البرية : الأرنب، الثعلب، ابن أوى ،أروية المغرب...إلخ و عدد من الطيور المقيمة و المهاجرة (الحجل ، الحبار و العقاب....إلخ).

1-15-سياحة حموية

عين ورقة: يقع حمام عين ورقة بدائرة عسلة يتميز بمياهه الإستشفائية تصل درجة حرارته إلى 45 درجة مئوية وبنسبة تدفق تصل إلى 2 ل/ثا طاقة استقباله تقدر بـ 250 زائر في اليوم يضم بيت للشباب وبنغالوهات للإقامة، يقع في أسفل جبل شماريخ (1672 م) الذي يحتضن البلدة وسط منظر ساحر متعدد الألوان حيث تبدو البنية الجيولوجية للمنطقة التي من خلالها نلاحظ متحفا طبيعيا يروي جانبا من التاريخ الجيولوجي.

1-16-سياحة رياضية:

كثبان رملية: المنطقة شبه صحراوية تتخللها كثبان رملية بالعين الصفراء، هذا ما يسمح بممارسة رياضات أخرى مثل السباق بالدراجات النارية إضافة إلى هواية المغامرات وتسلق الجبال.

سياحة الصيد: تتوفر الولاية على أماكن عديدة للصيد بها تنوع حيواني كبير مثل (الحجل، الأرنب البري...إلخ) خاصة تلك المناطق الحدودية التي يمكن استغلالها في تنظيم أوقات خاصة بالصيد المرخص مع مراعات التوازن البيئي.

17-1- سياحة استكشافية:

متحجرات ديناصور: عملاق القصور سنة 1999 عثر باحثين من شركة سوناپراك على كنز سياحي هام و مواقع عديدة لمتحجرات بقايا الديناصورات برويس الجير على بعد 50 كلم من مدينة العين الصفراء، حيث تم اكتشاف 51 من حفريات و مستحاثات ديناصور صغير من آكلات الأعشاب يعود تاريخه إلى 175 مليون سنة و يبلغ طوله بين 8 و 10 م ، تم الإعلان الرسمي لهذا الاكتشاف في 17 أكتوبر 2000 تحت اسم عملاق القصور ،كما توجد الغابة المتحجرة بكل من تيويت و عين ورقة، والتنوع الحيوي بالحظيرة الوطنية جبل عيسى يوفر فضاءا خصبا للأبحاث العلمية.

الغابة المتحجرة: بقايا الغابة المتحجرة توجد بكل من تيويت وعين ورقة تروي جانبا من تاريخ المنطقة في العصور الغابرة.





صخور منقوشة: في 24 أبريل 1847 تم اكتشاف الصخور المنقوشة بتيوت إحدى أقم التعبير المرئية للإنسان في المنطقة والأولى من نوعها على مستوى شمال إفريقيا تمثل مشاهد صيد الفيل، الأسد، محاربون يحملون أقواس، النساء يضعن أسورة على سواعدهن.

أنصاب: الأنصاب تقع على بعد 8 كلم تقريبا شرق مدينة العين الصفراء لها شكل دائري أو بيضاوي محدد بعلامات من الحجارة الرملية بين 60 إلى 80 سم ارتفاعا و 30 إلى 40 سم إلى الأعلى.

تمولوس: هو مسكن يصبح قبرا بعد وفاة صاحبه، يتوفر بكميات معتبرة بالمنطقة يعرف باسم الكركور أو باسم قبر الجهال أشكاله مستديرة أو بيضاوية قطرها يتراوح بين 4 إلى 8 م و بعلو متوسط 1,50 م.

القصور: تعاقبت عدة حضارات في المنطقة، فتضم أغلب القصور القديمة و النقوش والرسومات الصخرية، رغم مضي عدة قرون على إنشائها لازالت لحد الآن الشاهد الحي على ذاكرتنا التاريخية و هويتنا الوطنية الأصيلة، أصالة أمجادنا و أبطالنا الذين صنعوا التاريخ.

قصر صفيصيفة: بني القصر بالحجارة و الطين على ضفة وادي صفيصيفة مسقف بأعمدة الصفصاف و العرعار و النخيل، يعود تاريخه إلى القرن 14م/8هـ يتم الدخول إليه من الجهة الشمالية الشرقية وهو ذو شكل مثلث به موقع دفاعي في أعلى قمة القصر.

قصر العين الصفراء: سمي بقصر سيدي بوتخيل نسبة إلى الولي الصالح سيدي بوتخيل الذي استقر بهذا المكان منذ حوالي 04 قرون، فهو حديث النشأة مقارنة مع القصور الأخرى الموجودة بالمنطقة، زالت معظم بناياته.

قصر تيوت: عائلة الأحلاف استقرت في تيوت عام 1250م و ذلك في القرن 14م/08هـ، هو على شكل مجمع سكني، تفصل المنازل عدة أزقة مسقفة يتوسطه المسجد العتيق الذي تؤدي إليه كل الأزقة، بني القصر بالطين و الحجارة على مساحة تقدر بـ 20 هكتار و سقف بأخشاب النخيل و العرعار وهو ذو طابقين:

* الطابق العلوي: يوجد به مسكن عائلي كامل.

* الطابق السفلي: مخصص للمواشي.

يوجد للقصر بابين رئيسيين: * الجهة الشمالية باب هلال.

* الجهة الشرقية باب سيدي أحمد بن يوسف.

قصر عسلة: يعود تاريخ بناء القصر إلى القرن 15م/909هـ حيث بني على قمة صخرية من طرف "أولاد هلال"، "أولاد داود"، "أولاد عجال" و "أولاد الساسي" و يتوسطه مسجد جامع، بيوت القصر أغلبها ذات طابقين و أزقة ضيقة تتخللها دكاكين و أبواب واسعة، أما من حيث البناء فقد بني بمواد محلية كالحجر، الطين، خشب العرعار و النخيل.

قصر مغرار: بني هذا القصر ما بين القرن 16م/10هـ و القرن 17م/11هـ و هو حديث النشأة بالنسبة لبقية القصور، فهو قصر صغير يقع بين الطريق الوطني رقم 6 و واحة النخيل له أربعة مداخل رئيسية تؤدي إلى الطريق و اثنان ثانوية تؤدي إلى واحة النخيل، هذه المداخل بها ممرات صغيرة وملتوية تؤدي إلى الساحة و المسجد اللذان يتوسطان القصر.

للقصر أربعة دروب:

* درب أولاد الشيخ

* درب أولاد بن زيان

* درب أولاد عيسى

* درب أولاد المكي

هناك بعض المرافق الإضافية في قصر مغرار على غرار القصور الأخرى يعتقد أنها حديثة النشأة، هي المستوصف الحمام، المقهى.

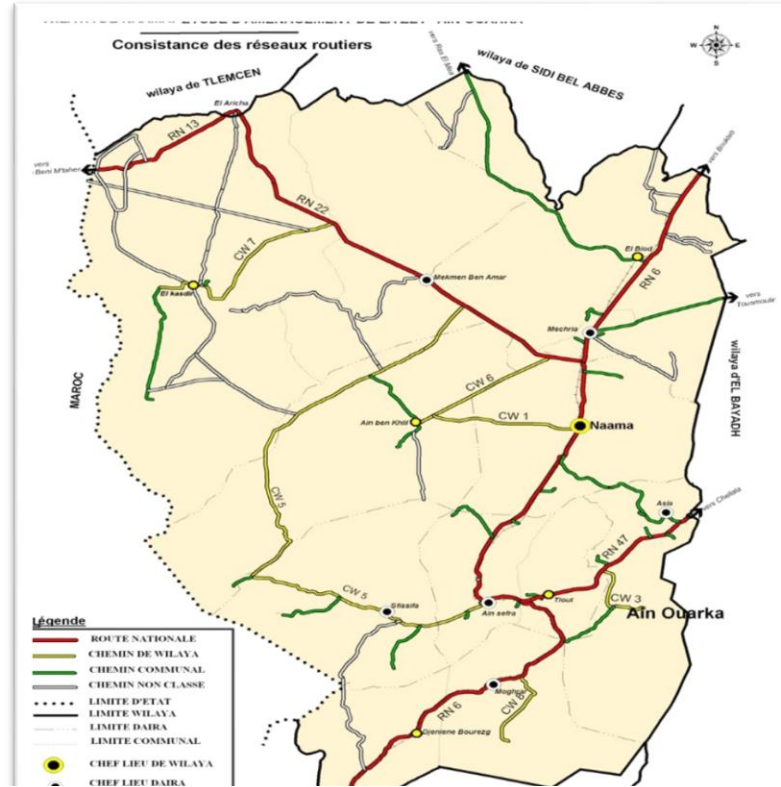
قصر الشيخ بوعمامة: أصل القصر قديم، أعاد توسيعه المقاوم البطل الشيخ بوعمامة، بني من الطين و جذوع النخل على منحدر الجبل وفق إستراتيجية متلائمة مع الظروف الأمنية و الاقتصادية التي كانت تسود تلك المرحلة، حيث لا تزال أبراج المراقبة التي شيدها قائمة حتى اليوم، يطل القصر على واحات النخيل التي تضم بساتين الأهالي به عين مائة "عين سيدي بحوص الحاج" و له ثلاثة مداخل متفرقة:

* مدخل باب علي

* مدخل الشرفة غربا

* مدخل الدائرة

النقل العمومي وشبكة الطرق:



النقل العمومي وشبكة الطرق 1

وسائل النقل بأنواعها: لقد عرف قطاع النقل قفزة نوعية من حيث المنشأة القاعدية على مستوى الولاية منذ نشأتها سنة 1984 حيث تتوفر الولاية على ثلاث (3) محطات برية ببلديات (النعامة و المشرية والعين الصفراء) بالإضافة إلى النقل من خلال السكك الحديدية للبضائع والمسافرين من خلال خط السكة الحديدية المنجز حديثا الذي يربط ولاية بشار بولاية وهران مرورا بولاية النعامة والذي يتوفر على أربع (04) محطات للسكة الحديدية ببلديات (النعامة والمشرية و العين الصفراء و مغرار) أما بالنسبة للنقل الجوي فتتوفر الولاية على مطار (مطار الشيخ بوعمامة) ببلدية المشرية هو متوقف حاليا عن الخدمة.

أما بالنسبة لشبكة الطرق فقد عرفت تطورا ملحوظا و هذا من خلال الطرق الوطنية والولائية و البلدية المنجزة و التي تغطي معظم تراب الولاية والتي تربط مقر الولاية و البلديات الكبرى بباقي البلديات والمناطق السياحية و الطبيعية عبر الولاية :

- الطرق الوطنية (RN06, RN22, RN13, RN47 , RN95)

- الطرق الولائية (CW1,CW3,CW5,CW6,CW7, CW)

الإتجاهات المتاحة و سبل النقل للمواقع السياحية : من خلال المحطات البرية الثلاثة (3) الموجودة عبر تراب الولاية ببلديات (النعام و المشرية و العين الصفراء) يتسنى للمسافرين و السياح الرغبة في زيارة المواقع السياحية التنقل عبر الخطوط المتوفرة عن طريق الحافلات وسيارات الأجرة إلى البلديات السياحية (عين بن خليل، عسلة و عين ورقة، العين الصفراء، تيوت، الصفيصيفة، مغرار و قلعة الشيخ بوعمامة، الجنين بورزق) حيث توفر هذه المحطات النقل المستمر عبر هذه الخطوط (من الساعة 5:00 صباحا إلى الساعة 22:00 ليلا).

بالإضافة إلى سبل النقل الأخرى للمواقع السياحية و الطبيعية من خلال الرحلات المنظمة عن طريق الحافلات خلال نهاية الأسبوع.

عرف الاقتصاد الوطني منذ الاستقلال العديد من التغيرات وهذا لمسيرة المعطيات المستجدة التي تفرزها العوامل السياسية والاقتصادية و الاجتماعية السائدة في كل مرحلة، حيث أنه في كل مرحلة أعطت الدولة أهمية كبيرة للمؤسسات باعتبارها قاطرة أساسية للتنمية الشاملة وبالأخص التنمية المحلية للنهوض باقتصاد قوي.

فلا يمكن بناء اقتصاد وطني قوي في جميع المجالات إلا بتحقيق التنمية المحلية و بذلك تحقيق التنمية المستدامة.

ولعل ما تحتويه الجزائر من تنوع واختلاف في بنيتها الجغرافية أوجب عليها مراعاة خصوصية متطلبات التنمية في جميع مناطقها سواء تعلق الأمر بولايات الشمال، الهضاب العليا أو الجنوب بشقيه الشرقي والغربي¹. ما ترتب عنه تحول في النظم و استفحال كثير من الظواهر نذكر من بينها ظاهرة النزوح الريفي، والتوجه و الاهتمام بالصناعة المركبة الثقيلة الحديثة و إهمال و هجران ما سواها من المهن والحرف اليدوية التقليدية التي تتجه نحو الأفول والاندثار في منطقة العين الصفراء التي لا تتوفر على البنى التحتية الصناعية من مصانع و ورشات و آبار بترولية، فهي منطقة سهبية رعوية يرتكز فيها السكان في نشاطهم الاقتصادي الأساسي على تربية الأنعام والماشية حيث تتوفر على ثروة حيوانية هائلة و موروث مادي و مؤهلات سياحية تاريخية معتبرة ترشحها إلى تكون مدينة سياحية بامتياز. وجدير بالذكر أن الصناعات الحرفية التقليدية أو معظمها كانت في الأصل تستخدم لأغراض الحياة اليومية ومتطلباتها وسد حاجياتها أما اليوم، فإنها تستعمل بالأساس لأغراض الزينة و الديكور والتعبير عن الهوية والخصوصية الثقافية بانتقالها من قيمة استعماله ضرورية خالصة إلى فنية رمزية.

2-التعريف بمنطقة عين الصفراء:

تقع مدينة العين الصفراء جغرافيا في الجزء الجنوبي من الجزائر وسط سلسلة جبال القصور، الطرف الغربي من جبال الأطلس الصحراوي كما تعد من مدن الهضاب العليا، تنتمي إداريا لإقليم ولاية النعامة 45 ، المنبثقة عن التقسيم الإداري لسنة 1984، والمكونة من سبع دوائر و اثنتي عشرة بلدية.

1-د، سيفين بن عبد العزيز سمير بن عبد العزيز. محددات التنمية المحلية بولايات الجنوب الغربي الجزائري من خلال سوق الشغل مقل منشور بمجلة مجاميع المعرفة 2018 ص251.

وتتموقع وسط السلسلتين الجبليتين جبل عيسى و جبل مكثر، تحدها ولاية تلمسان و بلعباس شمالا وولاية البيض شرقا و ولاية بشار جنوبا و المملكة المغربية غربا، يمر بها الطريق البري رقم 06 و خط السكة الحديدية الرابط بين مدينتي وهران و بشار لوجود فج طبيعي بين الجبال العالية التي يتجاوز بعضها الألفي متر و الممتدة في اتجاه جنوب غرب و شمال شرق مثل جبال بني سمير وأمزي و مير الجبال و جبل عيسى 2236 م، و تكسو واجهتها الشمالية غابات واضحة و مهمة أما الواجهة الجنوبية من الجبال فجافة لا تحصل إلا على كمية قليلة من الأمطار¹ بحكم انتمائها الجغرافي لمنطقة الهضاب العليا، فإن مناخها السائد هو مناخ قاري يتميز بالحرارة و الجفاف صيفا، البرودة و الصقيع شتاء، تساقط أمطار ضعيفة و غير منتظمة لا تتعدى 200 إلى 300 ملم سنويا، بالإضافة إلى هبوب الرياح المحملة بالرمال القوية خلال فصول السنة و بالنسبة للغطاء النباتي فخطر الجليد يهدده مدة نصف السنة، أما تساقط الثلوج عامة يقتصر على الجبال و المناطق المرتفعة و تدوم من 5 إلى 20 يوما سنويا.

تمتد مساحتها الشاسعة على الحدود المغربية المتاخمة لفرطاسة و يبلغ عدد بلدياتها ستة بلديات تحيط بها و هي: عسلة - جنين بورزق - مقرار - صفيفيفة - تيوت - فرطاسة .

كانت المنطقة جزءا مما كان يدعى سابقا بالجنوب الوهراني، و هي منطقة سهبية صحراوية يعتمد جل سكانها في حياتهم اليومية على تربية المواشي وعلى الزراعة، و خاصة الموسمية كزراعة الحبوب حيث أن النشاطان متكاملان و يدعم كل منهما الآخر، إلا أن تذبذب سقوط الأمطار من سنة إلى أخرى يرغم سكان المنطقة و بخاصة سكان البوادي على مزاولة النشاط الرعوي وتربية الأنعام أكثر من النشاط الزراعي و الفلاحة. و بالرغم من أن المنطقة تزخر بمنسوب مياه باطنية جد مرتفع

¹ عبد القادر حليمي. جغرافية الجزائر. المطبعة العربية. الجزائر 1986ص53

يؤهلها أن تكون منطقة زراعية نشطة و بالخصوص في محاصيل معينة، و عموما فان زراعة الحبوب في المغرب العربي عامة لا تعتمد على الري بصفة رئيسية بل على الأمطار مما يؤدي إلى نتائج غير جيدة في الأرياف التي يعتمد سكانها على الترحال بحثا عن الكلاً و الماء الذي يعتبر شريان حياة هؤلاء البدو الرحل و هذا عكس النشاط الذي يعتمده بعض سكان المنطقة الآخرون الذين تتسم حياتهم بالاستقرار داخل حيز مكاني معين و هم القصوريون كما يسمون محليا.1.

والذين يتمركز نشاطهم الاقتصادي أساسا على الفلاحة و الاشتغال ببعض الحرف اليدوية.

شهدت المنطقة مد و زجر في الهجرات في ظل التقلبات المحيطة بها، فالعناصر البربرية و النوى الإدريسية تنتقل بين القصور، و القبائل البدوية العربية الصغيرة تعيش في المنطقة في كنف قبيلة البوكرية، و قبيلة حميان، أضحت البادية ذات أغلبية عربية، و القصور ذات أقلية بربرية. في غياب سلطة مركزية، خضع السكان لنظام مؤسسة الزوايا، التي أثرت في حياتهم الاجتماعية و الدينية، الثقافية و الاقتصادية².

3- البناء الاجتماعي بالمنطقة

لا يستطيع إنسان أن يعيش في معزل عن الآخرين، فطالما وجد الفرد فانه يعيش مع بقية أفراد الجماعة الآخرين حتى يشبع حاجاته الاقتصادية والمعنوية، وينتج عن هذه المعيشة الجماعية تفاعل اجتماعي، وعلاقات اجتماعية منظمة في صورها المادية و المعنوية، و هذا التفاعل الاجتماعي لا يتم و لا ينتج من العدم، وإنما يتم بطرق منتظمة كما يخضع لقواعد و ضوابط معينة.

¹⁻ عبد القادر خليفي. من الموروث الثقافي الجمعي ألمغربي. منطقة العين الصفراء نموذجاً. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2002. ص45
²⁻ المرجع: علي نابتي " أشكال الإتصال النسوي في الفضاء المقدس بمنطقة العين الصفراء، دراسة حالة: فضاء قبة ضريح سيدي بوجمعة" رسالة ماجستير في علم إجتماع الاتصال، 2008، جامعة عبد الحميد بن باديس بـ مستغانم (الجزائر)، غير منشورة)ص8

وتتعدد هذه العلاقات و تتنوع بتنوع مطالب الجماعة ذاتها لتحقيق الوجود الاجتماعي. وقد كانت الصناعة التقليدية خير دليل على التواصل والتبادل الاقتصادي و الثقافي الذي شهدته المنطقة، فلقد مد كل من البدوي و القصوروي روابطه مع الآخر حين وجد كل منهما مصلحة عند الآخر يصفه بصاحبي دلالة على متانة العلاقة بين تشكيلات المجتمع المحلي المتميز عرقيا.

وقد كانت الحرفة في وقت مضى تمثل النشاط السائد إلى جانب الفلاحة والزراعة، لجا إليها الأفراد والعائلات بتلقائية أحيانا لأنها تمثل المكسب الرئيسي والنشاط الاقتصادي المزاول وهي أصلا كانت تعبر عن وضعية اجتماعية و اقتصادية حضارية خلال مرحلة سابقة أدت إلى خلق وظائف وأدوار كثيرة أبرزها الدور الاقتصادي وكذلك الدور السياسي الذي تجلى في إقامة العلاقات بين العشائر والقبائل بفضل تبادل الهدايا والمهارات و الفنون. كما كان السبيل الوحيد في تكوين هذه العلاقات وتوطيدها هو إقامة العلاقات التجارية المتمثلة في المقايضة في المحاصيل والتي تدخل في إطارها المنتجات الحرفية منها كالجلاية والزربية و كل أنواع الافرشة و الخيم و الأواني و الفلاحية من خضر و اصواف و فواكه و حليب و مشتقاته كالسمن أو ما يعرف محليا بالدهان و غيرها من مبادلات ومقايضات التي تعتبر بعضها من اختصاص القصورويون، وبعضها من اختصاص البد. فبمجرد حلول الربيع يبعثون بالمنتجات الحيوانية المجففة و القابلة للتخزين كالجبن و السمن و الصوف الذي هو ذاته المستعمل في الصناعات المنزلية للألبسة والزرابي و الحنابل التي تلبى حاجة القصورويون و البدويين الذين لا تتعدى صناعتهم التقليدية حياكة الخيم و الفليج .

فالصناعة التقليدية مثلت أحد أهم أنشطة التي اعتمدها السكان كنشاط اقتصادي و حافظوا عليها باعتبارها تشكل إحدى المكونات الأساسية للهوية الثقافية ، فهي الوسيط بين الماضي والحاضر، يستقبلها الحاضر في صورة منتج لتبلغ عن التاريخ الحضاري والثقافي لمجتمعنا . لكن لم يعد ينظر

إلى الصناعة التقليدية على أنها تراث يجب المحافظة عليه و وضعه في المتاحف من أجل الزيارات السياحية أو للافتخار بالتاريخ الحضاري، ولكن تطور وتغير هذا المنظور وأصبح ينظر لها على أنها رأسمال مادي وثقافي يمكن الاستثمار فيه ليتوسع و يصبح هو الآخر محركا للاقتصاد القومي، خاصة وأنها تتميز بخصائص تختلف عن الكثير من السلع الأخرى ، ناهيك عن قدرتها الكبيرة في امتصاص البطالة من خلال خلق فرص العمل، ففرنسا مثلا أحصت أكثر من مليوني حرفي .

أما اليابان فهناك أكثر من سبعة ملايين حرفي دون ان نذكر الصين أين بلغ عدد الحرفيين 70% من اليد العاملة ولعل هذه الأرقام تظهر أمرا مهما في ارتكاز الدول العظمى على فئة الحرفيين بالدرجة الأولى.

أما في الجزائر فلم يكن ضمن مخططاتها في بداية الاستقلال و حتى نهاية الثمانينات التركيز على هذا القطاع ما ترتب عنه افول و اندثار الكثير من الحرف.

وقد لعب النسق القرابي الذي يقوم على أساس رابطة الدم داخل البناء الاجتماعي بالمنطقة الدور الأول على جميع المستويات، و تمثل العائلة الوحدة الاجتماعية الأساسية فيه فنجد أن كل عائلة تختص بحرفة معينة و نمط تشكيلي معين فمثلا صناعة النسيج اقتصت بها النسوة داخل البيوت، فكل تجمع بدوي أو قروي ينتمي نظريا إلى جد واحد، ما يزال الرأي فيه لكبار السن و ذوي الرأي للبت في القضايا التي تهم التجمع بعينه كحل النزاعات والتضامن لدفع الدية أو الغرامة أو لمساعدة المنكوب منهم، ويضم كل بيت مجموعة من الأفراد هم الجدان الأبوان والأولاد في غالب الأحوال¹.

في المجال "الثقافي - الاجتماعي" :

¹-عبد القادر خليفي . المرجع السابق، ص13

تم الانتقال تحت تأثير التغيير الاجتماعي الذي ضرب بأطنابه كافة المجتمعات التي تحولت من نظام التضامن العضوي وألوية علاقات القرابة الدموية، سيادة القيم المتوارثة، إلى دينامية اجتماعية جديدة تسودها قيم ومعايير الاستقلال. والحرية النسبية للفرد في اختياراته وبالتالي مسؤولياته الفردية ووعيه الذاتي¹. مما قد يفسر عزوف العائلة النووية عن مزاوله بعض الاعمال و الحرف التقليدية التي و من مجموع الأسر تتكون القبيلة التي لا ينتسب أفرادها إلى جد واحد و هي البنية الاجتماعية الأساسية والشكل الواقعي الملموس للنظام القبلي، و يمثل هذا النظام بما يحمله من قيم ورموز معايير كما يمثل للقبيلة روحها و إيديولوجيتها في تحقيق وجودها المادي وإعادة إنتاجها الاجتماعي. وترتبط القيم بالحاجات الأصلية للإنسان فهي تشمل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة كالشجاعة والقوة والاحتمال والإيثار والأمانة والكرم، حفظ الجوار والقيم ليست هذه الصفات المجردة فحسب بل هي كذلك أنماط السلوك التي تعبر عن هذه القيم، أو هي موجّهات للسلوك في النسق الاجتماعي و تختلف القيم باختلاف السلالة أو القبيلة أو الطبقة، كما أن لكل ثقافة مجموعة من القيم ارتباطية بنائية وظيفية بالأنساق الأخرى.

و تمثل القيم الاجتماعية قوة للتناسق والتواصل في مجتمع القبيلة، فالقبيلة وحدة اجتماعية يعتقد جميع أفرادها أنهم ينتسبون إلى نفس الجد سواء كان هذا الاعتقاد خرافيا أو حقيقي، و تشكل رابطة الدم محور التعاون و التماسك الاجتماعي في هذه البنى، وهو ما يطلق عليه ابن خلدون مصطلح - العصبية- أي الرابطة الاجتماعية الطبيعية التي تجمع بين مجموعة متجانسة من البشر وتوطد بينهم بصلة الولاء وتدفعهم جميعا إلى الحركة و التآزر و البناء والدفاع عن النفس ضد عدوان الغير.

كانت تتسم بالآلية و التضامنية مشكلة نسقا اقتصاديا تكامليا .

¹ -محمد سبيلا . التحديث و تحولات القيم . مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.2001.ص58.

وتعد المشكلات التي تعترض أو تعيق عمليات التنمية من أكثر المسائل تعقيدا ولا تنحصر في مجرد مشاكل اقتصادية محضة، وإنما هي على وجه الخصوص عناصر اجتماعية وثقافية، وهذه العناصر تكمن و تختص في طبيعة المجتمع وعلاقته مع المجتمع الكلي وأيضا طبيعة و خصائص العائلة، و القيم و العادات و نظرة المجتمع نفسه إلي البيئة التي يعيش فيها¹. نقسم كل قبيلة إلى مجموعة من القبائل الفرعية، لكل منها مجال جغرافي تعيش فيه تتحدر من جد يكون في الغالب ابنا للجد المؤسس القبيلة الأم، ويعتبر النسب الأبوي الوحدة الأساسية للقرابة داخل القبائل الفرعية، فكل فرد في هذه المجموعة المصغرة غالبا ما يعرف علاقته النسبية الدقيقة بالأفراد الآخرين في القبيلة، بمعنى أن القبيلة لا تنمو فقط عن طريق الاندماج بل كذلك عن طريق التجمع، فكل فرد يمكنه أن يحدد أجداده بشكل متتابع ويربط نفسه بمؤسس القبيلة الذي تمت باسمه².

تشكل القبيلة كيانا سياسيا مستقلا و بوصفها كذلك فهي لا تتضوي فقط في المسافة المتجانسة لمسكنها ولكنها تبسط أيضا سيطرتها و شرعيتها و حقها على موطن الكلا و الماء³ و من مجموع العائلات والعشائر تتكون القبيلة من اجل تحقيق التعايش والتجاور والتبادل في أيطار ووفق منظومة تضامنية تقوم على أساس المصالح المشتركة، و تعرف قوة القبيلة في المنطقة من خلال عدد أفرادها و مجمل عشائرها التي تعتبر فرعا مؤثرا، و يتفق الانثروبولوجيين على أن العشيرة هي مجموعة من الأفراد تتحدر من نسب واحد و لها جد مشترك و الانتماء إليها يكون إما عن طريق النسب الأبوي أو النسب الأمومي و لا يكون عن طريق النسبيين⁴.

¹ - عالية حسن حسين، التنمية نظريا و تطبيقيا، تقديم أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1977، ص

² Bernard A), Lacroix L), L'Evolution Du Nomadisme An Algérie, Paris, 1906, P.271-

³ - دحماني سليمان . التغيير في الأسرة الجزائرية . رسالة ماجستير في الانثروبولوجيا . جامعة تلمسان . 2002. ص32

⁴ - دينكن ميتشل . معجم علم الاجتماع . ترجمة احسان محمد حسن . ط2 دار الطليعة . بيروت . 1986 ص46

بوصفها وحدة التفاعل الاجتماعي الحقيقي داخل القبيلة، تقوم العشيرة أو الفرقة بعدة وظائف اجتماعية و اقتصادية و ثقافية فهي تتكلف بحل النزاعات و ترعى شؤون الزواج و الذي يتسم في المنطقة بالانغلاق و الاعتماد على الزواج الداخلي بمعنى عدم مصاهرة الغريب. فهناك حرص على أن يكون الزواج داخل العرش وذلك حفاظا على الأنساب، زيادة على هذا تعمل العشيرة على تثبيت المبادئ والأعراف و حفظ العادات و التقاليد التي تعتبر رأس مال ثقافي بالمنطقة فهي تتجلى في الكثير من السلوكيات و الممارسات في المنطقة حيث إنها مدونة في صدورهم وراسخة في عقولهم، و تعمل على تنظيم العلاقات الاجتماعية المتداخلة، التي تهدف قبل كل شيء إلى سيادة الصالح العام و إزالة كل أنواع الصراع التي تعتبر سببا في إثارة النعرات القبلية، و في تمزق و تشرذم و تشتت التجمعات لان التقاليد و العرف موجهان في مجموعهما إلى تنظيم العلاقات فيما يتعلق بالحياة والممتلكات ، والأراضي و توثيق التضامن و التكافل بين الأفراد.

ويعتبر العرف ركنا هاما من أركان الحياة الاجتماعية.

و هو عبارة عن مجموعة الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة، وتمثل مقدسات الجماعة ومحرماتها وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال، وما يلجان إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي وينحصر نطاقه في طبقات أو مجموعات معينة داخل المجتمع، على الرغم من أن له في كثير من الأحيان احتراما يضيف عليه قيمة توحى لأعضاء المجموعات الأخرى بمجاراته و تقليده و تعزز هذه الروابط بفعل المصاهرة داخل المجموعة، فالقراية داخل القبيلة هي قراية اجتماعية لا قراية دموية، و هي نتاج للشروط الطبيعية البيئية لأنها الإطار الوحيد لقيام الحياة في ظروف صعبة. و ينبع مظهر التناسق والتماسك بين الوسط الطبيعي و التنظيم الاجتماعي¹. ويعتبر البعض أن القبيلة

1- عبد القادر خليفي المرجع السابق ص14

هي وحدة طبيعية اجتماعية ثقافية، فهي جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبط الفرد فيها بالآخر برباط الدم و لذا فقد عرفها "هربرت سبنسر" بأنها وحدة بيولوجية و اجتماعية.

ويعرف "جورج ميروك" القبيلة بأنها جماعة اجتماعية يقيم أفرادها جميعا في رقعة جغرافية معينة ويتعاونون اقتصاديا و يتناسلون. وهم بذلك يعملون على توفير كل مستلزمات الحياة واحتياجاتها¹ وتتشرك العشيرة في العمل بالأرض، إذ الملكية جماعية تتقاسم استغلالها كل قبيلة، كما أنها تستفيد جماعيا من أراضي الترحال الواسعة، لأن الموال في حاجة إلى الأرض واسعة للتجوال، قد يكون من الصعب عليه الدفاع عنها فيما لو تكون ملكية خاصة و فردية.

4-4- سكان البدو الرحل في منطقة عين الصفراء

4-1- تعريف البدو:

لقد عرّفت المجتمعات البدوية بعدة تعاريف متقاربة إلى حد ما ، و لعل أبرز تعريف في العالم العربي رائد و باحث في علم الإجتماع البدوي الدكتور صلاح مصطفى الفوال الذي يرى : أن " المجتمع البدوي هو ذلك المجتمع الذي يضم تلك الجماعات أو المجتمعات البدائية المحلية التي تحيي في العصر الحاضر حياة تقليدية تتميز بالبساطة و عدم التعقيد " ² .

و لقد حدد مفهوما آخر للبدو : هو " نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة ، يتوقف مدى الاستقرار عليها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من

¹- صلاح مصطفى الفوال. البدوة العربية و التنمية. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة. 1967ص56

²- مرجع نفسه، ص 324 .

ناحية ، و على كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية ، و على الأمن الإجتماعي و الطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة " ¹

فمن خلال التعريف الأول نستنتج أن البدو ليسوا بالضرورة الرحل ، بل يشمل كل المجتمعات التقليدية دون تمييز .

أما التعريف الثاني فهو يحدد البدو بعدم استقرار الحياة و العيش في مكان واحد ، و في رقعة جغرافية ثابتة، و بالتالي المجتمع البدوي الذي نقصده هو : " المجتمعات التي تعيش في حالة ترحال ، ويعيشون حياة بسيطة تقليدية يعتمدون على الطبيعة بشكل مباشر " .

و الحياة البدوية ليست حصرا على الصحاري فقط ، و لكنها تشمل مناطق متعددة كالصيادين بضواحي البحار و الأنهار ، و كذا سكان الإسكيمو و الذين يعيشون في مناطق متفرقة من العالم ، سوى أنهم يتصفون بالحياة التقليدية و البسيطة.

و يعيش بدو المنطقة حياة تنقل طلبا للمرعى، لهذا نجد الخيمة، أما خيم أهل المنطقة فتصنع من الشعر والصوف.و التي يسهل طيها هي الوسيلة المناسبة المستعملة.

و هم ينتقلون في رحلتين موسميتين، رحلة نحو جنوب الأطلس الصحراوي شتاء و رحلة نحو الشمال صيفا. وغالبا ما يكون الترحال جزئيا حيث يغادر أفراد من الجماعة القبلية الموطن الأصلي تاركين خيامهم مزودين بما خف من الأحمال لتسهيل التنقل الموسمي ².

¹ - محمد السويدي: مقامة في دراسة لمجتمع الجزائري ، تحليل سوسيلوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري لمعاصر ، الجزائر : ديون المطبوعات الجامعية ، بدون سنة ، ص 153.

² - عبد القادر خليفي. المرجع السابق.ص15

وغالبية هؤلاء البدو الرحل هم من قبيلة العمور التي تنتمي إلى بني هلال التي دخلت الجزائر حوالي القرن الحادي عشر ميلادي، التي تفرعت عن قبيلتي بني عامر و بني هلال التي نزحت عن الجزيرة العربية، تتشكل قبيلة العمور التي تمثل الأغلبية في منطقة العين الصفراء من العروش التالية: الصوالة-الشوارب-أولاد الشحمي-المريينات-أولاد عبد الله-أولاد قطيب-المذابيح- و المعروف عن تيوت أنهم ينادوها عرش تيوت الصوالة و فيها الصوالة منبتقين من العمور و العمور المتواجدين بالعين الصفراء ينتمون إلى قبيلة بني هلال العامرية الصعصعية، الهوزانية، القيسية مضرية ، العدنانية. وسكان بادية العين الصفراء قبائل عربية تنتمي إلى بني هلال و بني سليم مع عناصر وأسر أمازيغية امتزجت بها ذابت في محيطها، واكتسبت ثقافتها و لغاتها وعاداتها وأصبحت تنتمي إليها بالولاء والمصاهرة والاندماج الكامل كما سكنتها قبائل أخرى أهمها القبائل البوبكرية، ينتسب أهل البدو بالعين الصفراء إلى القبائل و العمائر الأساسية المكونة للمجتمع المحلي ككل بحيث و رغم وجود العنصر الامازيغي او ما يسمى بالشلوح و القصور في المنطقة و الذي يعتبر وجوده سابقا للوجود العربي الهلالي الا أنه و على الصعيد الديمغرافي نسجل اغلبية و تعدادا ديمغرافيا عربيا يفوق هذا الاخير،.

تتكون القبيلة من أفراد ينحدرون من نفس العائلة، وعلى الرغم من قوة ايدولوجية القرابة تستقبل القبيلة الأصلية أعدادا من الوافدين انضمت إلى العائلة عن طريق التحالف والولاء سواء كان فرديا أو جماعيا ويتم إدماجهم داخل السلالات الأبوية الأصلية.

فبالنسبة للتحالف الفردي فإن المجتمع الأصلي الذي يتبناه يمتصه بفضل ذريته بعد وفاته، فيتناسى النسب الأول بطول الزمان، بمعنى أن الشخص المتبنى يذوب في المجتمع الأصلي بشرط الخضوع مقابل التأمين والتضامن، والتماثل الاجتماعي بشكل أرقى¹.

إن المساهمة الفعلية و النشطة لكل أفراد القبيلة ضرورية لانجاز عمل ما، وليس أدل على ذلك من نظام التوزيع في الحرث و البذر و الحصاد و تلقيح المواشي و زج الأغنام و حفر الآبار وغيرها من الأعمال الجماعية. و أما الحضر فيعيشون في القرى المترامية التي تدعى كما سلفنا بالذكر بالقصور والقصر: جمع قصور وهي عبارة عن قرى بنيت من الطوب، تحيط بها أسوار، تحتوي على مداخل وأبواب، وليس معنى القصور هنا تلك القصور المتميزة بالزخرفة والتي تدل على الأبهة والترف كقصور الأمراء والسلطين.

أو بمعنى آخر هو بناء ضخم محصن خاص بسكان الصحراء يأخذ شكلا معماريا تقليديا في هذه المناطق، و يعود بناء هذه القصور إلى عهد ما قبل الإسلام و هي ذات وظيفة دفاعية و قد بدأت معالمها تتغير بفعل العوامل الطبيعية و البشرية كذلك، والقصر مرتبط بزراعة النخيل المحيطة به والفواكه والخضر المختلفة والبستنة التي تعتمد على الري، لذا فقد بنيت قرب الأودية و العيون و تعرف الجبال المحاذية بجبال القصور ينتمي قصر تيوت إلى مجموعة القصور أو القصبات المحاذية للجزء الغربي من الأطلس الصحراوي في الجزائر- تمتد هذه القصور في الجزائر من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وهي موازية لاتجاه السلسلة الأطلسية، على ضفاف المجاري المائية والواحات الخضراء و البساتين الخلابة بنيت القصور العتيقة بمنطقة العين الصفراء مرافقها بشكل هندسي معماري رائع يتناسب مع طبيعة و مناخ المنطقة مسجد، المدرسة القرآنية، البيوت، الساحة تتخللها

¹ عدي لهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سلسلة تفكير الاقتصادي والاجتماعي (1889 - 1970)، ترجمة، جوزيف عبد الله، دار لحدثة، بيروت، 1983،

أزقة واسعة و صيقة مترابطة مع بعضها البعض أحصينا منها خمسة قصور ما زالت على حالتها الطبيعية قصر مغرار-قصر قلعة الشيخ بوعمامة-قصر تيوت-قصر عسلة و قصر صيفيصة تقع هذه القصور جنوب الهضاب العليا الغربية في الجزائر وشمال الصحراء الجزائرية، وتضم هذه القصور: قصر بني ونيف ومغرار التحتاني الذي يعد معقل ثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881م-1908م، وكان لهذه الثورة بعد وطني وقومي ومغرار الفوقاني، وقصر صيفيصة وعين الصفراء وتيوت وعسلة والشلالة الظهرانية والقبلية وأربا الفوقاني والتحتاني، وقد لعب هذا القصر دورا سياسيا ومذهبيا في العهد الفاطمي في الجزائر تأسست هذه القصور بسبب وجود منابع المياه والأودية، ولولاها لما وجدت، وكذلك نتيجة لظروف سياسية واقتصادية وثقافية، بحيث تدل مظاهرها المعمارية على جملة من الأفكار التي اعتمدت على الصدق الثقافي الذي ترجم إلى استقرار وتاريخ ونمط حياة منذ فترة قديمة. أما في المناطق الصحراوية يغلب على تسمية مدن الصحراء ومدن الواحات إسم القصر وهو عبارة عن بناء ضخم محصن له شكل معماري مقيد في هذه المناطق، يكون مرتبط بزراعة النخيل المحيطة به، بني قرب الوادي وتعرف المناطق التي يوجد بها عادة بالواحات وهو لفظ شائع عند سكان الصحراء الذين يسمون مدنهم بالقصر¹. وهو مدينة محصنة واحاتها غالبا ما تكون محاطة بأسوار وساحاته تتوفر على مخازن ومتاجر للقبائل الرحل التي تحفظ فيها الحبوب كلما ذهبوا بعيدا بحثا عن الكلال لقطعانهم ومواشيهم.

وهو أيضا الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا والذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والعقائدية والاجتماعية والتجارية ووقت الحرب للاحتماء عند هجوم العدو² فالقصر

¹ أبو عبد الله محمد الإدريسي، المغرب العربي من كتب نزهة لمشنق، تحقيق محمد حاج صلق ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 175

² Colomieu , Voyage dans le sahara Algérienne de Géry ville à Ourgla , le tour du monde -18 , 1863, p162

هو الهيكل العمراني لمجموعة من الناس في موقع وموضع يتوفران على متطلبات تلك الفئة البشرية المتجانسة والمترابطة في الدم والعقيدة والثقافة ، اجتمعت حول موارد أساسية للقيام بمهمة حضارية متبادلة بين أجناس ليس بالضرورة أن يكونوا من طينة واحدة ولكن لتوسيع المنفعة العامة الشاملة لحياة كلا الطرفين¹ .

لقد تعرض ابن خلدون إلى ذكر هذه القصور. وتعرف هذه القصور عادة بالواحات، وقد تعرضت المصادر العربية القديمة إلى ذكر هذه الواحات بأنها تمتد من بلاد مصر والإسكندرية وصعيد مصر والمغرب، وأرض الأحباش من النوبة وغيرهم، وأن الأخبار عنها مجهولة وكذلك عن كيفية العمران بها والخواص في أرضها، ووصفت بأنها أرضية شبيهة وعيون حامضة.

ويبدو من مصادر الضباط الفرنسيين أن واحة تيبوت من أروع الواحات في منطقة جبال القصور² .

و يعتبر جل سكان القصور من البربر وقد كان البربر يتمركزون ويستقرون ولا يزالون في بلاد القبائل والأوراس، وكذلك يعيشون في صحراء الجزائر وواحات ريغ وورقلة وواحات ميزاب التي يسكنها البربر الاباضيين وفي قصور مغرار وتيبوت وبوسمغون وعين الصفيصة، وهذه القصور هي التي تحدد الطريق الواصل بين جنوب قسنطينة وجنوب شرق مراكش.

استقر البربر في شمال إفريقية منذ عهد سحيق، وقد ذكر المؤرخون والجغرافيون القدماء بأسماء متعددة، فقالوا: إن النسامين والبسيل يقطنون بين برقة وطرابلس، والقرمنت يعيشون في بدو

¹ - أيوب عبد الرحمان ،من قصور الجنوب التونسي *القصر القديم* بحث نشر ضمن كتاب النقائش والكتابات في الوطن العربي ،تونس، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1988 ، ص 15 - 20

² - عيسى قوراري .قصر تيبوت دراسة اثرية معمارية .مذكرة ماجستير .تخصص فنون شعبية.جامعة تلمسان .2001.

الصحراء والمكيل والنوميد في المغرب الشرقي، والجيتول على حدود الصحراء والهضاب العليا الجزائرية¹.

و من بين هذه القصور التي اشتهرت بالصناعة التقليدية النسيجية و غيرها من الحرف نذكر قصر الصفيصيفة العتيق الذي بُني وشيّد على يد ذرية الشريف مولاي محمد بن زيان الودغيري الزياني الإدريسي المنتسب إلى آل البيت فاطمة الزهراء بنت الرسول الوافد من قصر " واد غير "

وقد اعتبر القصر العتيق بمثابة النواة الرئيسية التي تقوم فيها كل النشاطات التجارية و الثقافية والاجتماعية، حيث انه بمثابة المدينة التي تحوي بداخلها كافة المرافق و هي محاطة بسور من اجل الدفاع و تعزيز الأمن و هو بدوره يحوي على مجموعة من الأبراج .

كما يرتبط القصر في المنطقة عادة بالجانب أفلحي ارتباطا وثيقا، لذا غالبا ما تحيط به البساتين الخضراء، باعتبارها مصدرا رئيسيا لاقتصاد السكان² و لقد وجد نوع خاص من العلاقة الحميمة بين هتين الفئتين، الحضر و هم أهل القصور في المنطقة و البدو الرحل من، ذ عهد قديمة، و أصبح الواحد منهم ينعت نظيره ب-صاحبي - أو أصحابنا و يتم التزاور بينهما و تبادل السلع، حيث يزور ألقصوري "الحضري" صاحبه البدوي في فصل الربيع عندما تلد الشياه و معها الحليب و مشتقاته و يتم جز الأصواف، و يزور البدوي صاحبه الحضري أسبوعيا أو شهريا ليتزود بالخضر والفواكه³

¹ نفس المرجع. ص54

² وسيلة نادية بن ميلود، صيانة و ترميم و تاهيل قصور الجنوب الغربي الجزائري. ماجستير في علم الآثار. جامعة تلمسان 2009-

2010 ص67

³-خليفة عبد القادر. المرجع السابق. ص30

وليقنتي بعض الحاجيات التي يختص بها أهل القصور من منتوجات كثيرة حرفية كالأواني والأفرشة و الأحذية والسروج الجلابيب و غيرها من الصناعات النسيجية إذ أن كل أسرة في القصر تتميز بجانب معين من الحرف وبوظيفة إنتاجية محددة مما يزيد من ترابط و تماسك هذه المجتمعات و يمكنها من تحقيق اكتفاء ذاتي فعلى المستوى الاجتماعي أصبحت القصور مجالات واسعة التقت فيها كل الأصناف و تطورت تركيبتها، من التركيبية البسيطة إلى التركيبية المبنية على العلاقات الأولية أي على القرابة، إلى تركيبية معقدة تجاوزت تلك الهيكلية أصبحت تضم فئات متنوعة و متعددة تشترك في وحدة المجال. هكذا ارتسمت الأسس الأولى لهيكلية مجتمع أكثر تعقيدا، قد بدا يتحرر من العلاقات البسيطة والأولية. وبقيت التركيبية الاثنية داخل القصور و منذ فجر التاريخ دون تأسيس سلطة مركزية إلى أن حل الاحتلال الفرنسي بالمنطقة سنة 1847 م و ذلك أهم معطى اثنى في تلك الفترة حيث أن البادية أصبحت تضم أغلبية عربية مقابل اقلية بربرية.

وهو ما تغير حاليا لان المجتمعات الريفية و القروية كانت تمثل وحدة اقتصادية تعتمد على الزراعة والصناعات المختلفة والتي نسميها اليوم تقليدية و كانت تملك وتعمل في ملكيتها من خلال نظم اقتصادية محلية و التي تعرف بأنها أنماط الأفعال الاجتماعية و الأساليب التي تستخدم لإشباع حاجات الإنسان المادية من إنتاج لسلع النادرة و مفايضتها بتوزيعها و استهلاكها و تتمثل هذه الوسائل في مجموعة الخبرات والمهارات و الفنون في المجتمع بالإضافة إلى ما يسود المجتمع من عادات و تقاليد وأفكار و خرافات و غيرها، و تتنوع هذه الأساليب و تتمايز من مجتمع لآخر¹

يعتبر البناء الاجتماعي في منطقة عين الصفراء بناء ذو صبغة خاصة ويرجع ذلك إلى تنوع تركيبته البشرية العرقية الاثنية التي تساهم في تشكيل ملامح وخصوصيات المجتمع الصفراوي،

¹ - حسين عبد الحميد احمد رشوان .علم الاجتماع الريفي.المكتب العربي الحديث.الإسكندرية،2003ص153

يصيغها سكان البوادي و القصور الذين يتبادلون فيما بينهم و يتعايشون في إطار التكامل الاقتصادي من خلال ممارستهم لأنشطة اقتصادية تتميز بالاختصاص، فقد عرف الإنسان النشاط الاقتصادي منذ القديم، حيث كانت تسود الأسرة أو العائلة وحدة إنتاجية و تشترك العشيرة في العمل بالأرض وكان هذا يبدو في مظاهر الاكتفاء الذاتي لظروف المجتمع آنذاك.

و في العصور القديمة ظهر نظام التبادل من خلال تبادل الهدايا في المواسم المختلفة بشرط أن يقوم الطرف الآخر بالرد مثلها في مناسبات أخرى، و أن تكون مساوية لها في القيمة، و قد جاء هذا النظام بوظيفة و بهدف إيجاد روابط الإيحاء بهدف توثيق الصلة بين الأفراد¹ و المجتمعات و لتجسيد مبدأ التكامل و التعاون الإنساني. و كم يرى "راد كليف براون" حيث أن الوظيفة هي الإسهام الذي يسهم به كل فرد اجتماعي معين في الحياة الاجتماعية من أجل بقائها و جعلها وحدة وظيفية متكاملة و منسجمة، و قد قام الأنثروبولوجي "لويس اوسكار" بمقارنة المجتمعات الريفية في المكسيك و جزر الهند الشرقية، ففي ريف المكسيك ترتبط قرية بأخرى عن طريق التبادل و التجارة أساسا، بين كل من البدو و السكان الحضر، و يرى ابن خلدون أن البدو أكثر جذية من أهل الحضر في سد حاجاتهم الأساسية و هم أكثر عملا و أقوى صحة، و أكثر ولاء و انتماء لذوي قرياهم.

كما أنهم يتمسكون بتقاليدهم و معتقداتهم المكتسبة من بيئتهم و ثقافتهم. و هذا لا ما يتجسد من خلال تمسكهم بالمنتوح التقليدي الذي يرافقهم في كل تنقلاتهم و رحلاتهم.

5- البناء الاقتصادي بالمنطقة:

هناك من يعرف النظام الاقتصادي The Economic Regime بأنه: "الإجراءات و التدابير المنظمة التي تتم بموجبها عمليات إنتاج السلع و الخدمات و توزيعها و استهلاكها من قبل أفراد المجتمع

¹ - خليفي عبد القادر. المزج السابق ص43

وضمن إطار اجتماعي محدد". أو هو: "جملة الوسائل المستخدمة والعادات والتقاليد والأفكار المتفاعلة ببعضها من أجل استغلال الموارد البيئية بهدف إشباع الحاجات الأساسية للإنسان"

أو هو: "مجموعة القواعد ونمط الضوابط التي يتبعها مجتمع ما في استخدام موارده لتحقيق غاياته وفي تحديد الأولويات واتخاذ القرارات الخاصة بالسلع الاقتصادية."

فالنظام الاقتصادي هو كل متكامل من الإجراءات والتدابير والقيم والأفكار والعادات التي تعمل بشكل متكامل على تحديد وتنظيم سلوكيات الأفراد عند قيامهم بنشاطات تهدف إلى الاستفادة من المصادر والموارد المتوفرة من أجل توفير ما من شأنه إشباع حاجاتهم الأساسية."

يمكننا تعريف النظام الاقتصادي بأنه: فن توفير الحياة الاقتصادية الأفضل للمجتمع، بإيجاد طريقة مناسبة لتوزيع الثروة على جميع فئات المجتمع. وهو يتضمن جانب نظري يتمثل في إيديولوجية توزيع الثروة في المجتمع، والتقسيم المتوازن لمصادر الثروة على أفراد المجتمع وفئاته، وجانب عملي يتمثل في التطبيق العملي للنظرية الاقتصادية، فإذا كان الإنسان قد بنى حضارات و حول نقاط الماء فإن مناطق الحياة ونواة العمران البدوي والحضري، ونقصد بها الواحات الصحراوية، لم تخرج عن هذه القاعدة، حيث استقر إنسان الصحراء عند مصادر المياه، واعتبرها محطات مهمة في حله وترحاله، فكانت همزة وصل بين مختلف المناطق، ومحطات ربط وعبور. وعلى الرغم من أن الماء كان عنصرا ضروريا وأساسيا في استقرار سكان الصحراء، أو على الأقل الرسم الأهم لطريق تنقله وترحاله عبر مساحات شاسعة، إلا أن العنصرين الأساسيين الآخرين لا يقلان أهمية عن الأول وهما: الأرض أو التربة الصالحة للزراعة، والإنسان الممثل للقوة العاملة التي تواجه المؤثرات

الطبيعية والمناخية وتتصارع معيا ، وبتضافر والتقاء هذه العناصر الثالثة تحدث عمارة الأرض، ويظهر العمران البشري، وتحدث التنمية التي تخدم متطلبات الحياة لدى الإنسان الصحراوي¹¹.

وذلك وقوفا عند عاملين أساسيين وتلبية لمتطلباتهما، أحدهما قيمي امتثالا لتعاليم وضرورات المجتمع القبلي،، والآخر ناتجا عن ظهور مؤثرات خارجية كتدخل السلطة المركزية المتمثلة في الدولة وقوانينها في خلق فضاءات تنموية.

لقد عرفت الجزائر عامة ومنطقة الصحراء خاصة تحولات عديدة. إذ من بين التغيرات التي حدثت على المستوى الوطني والمحلي، خاصة في المنطقة الصحراوية وعلى مشارف النل والهضاب، نجد أن الانقطاع في نسق البداوة والانتقال من حالة الترحل إلى حالة الاستقرار والاستيطان كان من أسمى، ذلك أن هذا الانتقال قد تأثر بعدد من الأسباب، وأدى إلى عدد من النتائج والانعكاسات التي يمكن معايشتها والوقوف عليها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وحتى السياسي، خاصة بالنسبة للمدينة الصحراوية التي تعرف حالة من النزوع إلى الاستقرار والتثبيت الجغرافي داخل المجمعات الحضرية بعدما كانت الواحات الأماكن الوحيدة لتجمع السكان، وبعد أن كان إنسان الصحراء يحي حياة البداوة والترحال وما يصاحبها من مؤشرات مختلفة حول التغير في نمط العيش واستغلال المجال فيختص البدو الرحل بنشاط الرعي، لأنه المصدر الوحيد تقريبا لرزقهم، وإستمرار حياتهم و الرعي يتمثل كما ذكرنا في : الغنم و الابقار و الماعز و الابل بقدر ضئيل كما ذكرنا سابقا.

ولعل من بين أهم الأسباب التي أدت إلى المرور من نسق البداوة- الذي رافق الإنسان في منطقة الصحراء بخاصة- إلى ضرورة الاستقرار والتثبيت بالمكان، نجد تداعيات السياسة الاستعمارية في الجزائر بعامة والمناطق الصحراوية بالتحديد، خاصة بالقضاء على النمط التقليدي في الترحال والتنقل،

¹¹ - MAROUF Nadir, lecture de l'espace oasien, Sindbad, Paris, 1980, P.18

زيادة على ظروف تدخل تحت طائلة المناخ وقساوة الطبيعة، وأخرى تدخل تحت طائلة المتطلبات الثقافية والاقتصادية التي أصبحت تملئها الحياة العصرية على المواطن الجزائري. وسنحاول الوقوف على أهم المرتكزات السوسيو-ثقافية والاقتصادية والطبيعية وغيرها، التي جعلت المدينة الصحراوية تتأرجح بين نسق البداوة ومتطلباته، وبين ضرورة التحضر والاستقرار بما تملئها متطلبات العصرية والحداثة¹. إذا كانت الانثروبولوجيا الاقتصادية تهتم بدراسة بعض الظواهر التي يوليها عالم الاقتصاد اهتمامه، وهي إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها، فضلاً عن ذلك فإن عالم الأنثروبولوجيا يهتم بدراسة العلاقة بين هذه النظم والأنساق الفرعية من ناحية وبين الجوانب الأخرى للنسق الاجتماعي الثقافي الكلي من ناحية أخرى، ويرى الأنثروبولوجيين أن من بين الوظائف الأساسية للأنثروبولوجيا الاقتصادية تقديم وصف لحالات اقتصادية خاصة ثم محاولة ربطها بالنظرية الاقتصادية التي لا بد أن تشمل في كثير من جوانبها الكثير من الأنساق الاجتماعية، ثم دراسة الوسائل المختلفة التي يمكن من خلالها أن تتوزع وظائف النسق الاقتصادي على النظم التي تختلف بوضوح عن تلك النظم التي تؤدي الوظائف في المجتمعات الحضرية. مثلاً²

عاش الاقتصاد الجزائري في ظل نظام جماعي ضيق الأفق تحت سيطرة الكولون أين كان النشاط تقريباً أو غالباً جماعياً لأغلب أفراد العائلة الواحدة، وكان أغلب الأفراد يعملون نفس العمل الخاص بالأرض والتجارة المختصة ببيع المنتوجات الزراعية التقليدية وغير المتنوعة، بالإضافة إلى الصناعة التقليدية الحرفية، وهذا النظام الاقتصادي يخضع إلى نفس المبدأ الاجتماعي، أي احترام اختيار رئيس الجماعة للأشياء التي يتم تسويقها كما أن "النشاط الاقتصادي كان في أغلب الأحيان مسيراً من طرف الأب أو الأخ الأكبر مع بعض من الديمقراطية في توزيع وتنظيم ذلك العمل

¹ منصور مرقومة. المدينة الصحراوية في الجزائر، من نسق البداوة إلى ضرورة الاستقرار

² - دلال محسن استينية. التغيير البعير الاجتماعي. و الثقافي. دار وائل للنشر ط1. الاردن 2004. ص56

الاجتماعي، هذا ما وضحه مصطفى بوتفوشت حول الوضعية الاقتصادية للنظام العائلي الجزائري خلال الاستعمار.

أما العمل الجماعي الذي ساد الفترة الاستعمارية حسب بوتفوشت هو: التوزيع التي تعتمد على جمع العدد الأكبر من الأفراد من نفس القبيلة وقد يتعدى ذلك إلى ما جاورها أحيانا، وغالبا ما تكون من نفس العائلة؛ لأجل القيام بعمل ما مثل حملة الزرع أو الحصاد أو الحرث أو بناء المنازل وهذا ما يؤكد نفسه الباحث بقوله:

"التوزيع كانت مساعدة جماعية أو يشمل عدد الأسر من نفس المنظمة الاجتماعية في سبيل خدمة واحدة، مثل بعض أعمال البناء و غسل الصوف بالنسبة للناسجات وجني الزيتون...إلخ. كما يعرفها الباحث بورديو:" تتم المساعدة الجماعية عن طريق العمل المتطوع، وهو مفروض من طرف التقاليد والعادات السائدة أما الجماعة المكونة لهذا النشاط الاجتماعي فيعرفها بوتفوشت:

"تحتل هذه الجماعة مقرا واحدا متكونا من عدة أفراد يتجاوز عددهم في بعض الأحيان 60 فردا خاضعين إلى النظام الأسري الأبوي، والتوزيع تختص بالأعمال الزراعية في المحيط الريفي كما نجدها في المحيط الحضري وبالمدينة من خلال التحضير للأفراح والأعراس الشعبية¹.

لقد تغير نمط الحياة الاجتماعية بعد الاستعمار و خاصة بعد انتهاء الدولة الوطنية للنهج الاشتراكي و بعد الثورة الزراعية تحديدا تغيرت البنية الاجتماعية لسكان الأرياف و بدأت هذه المظاهر تخنفي شيئا فشيئا، و باختفائها و اندثار هذه المظاهر الاجتماعية اندثرت معها بعض المظاهر الاقتصادية كبعض الصناعات التقليدية التي كانت مصدرا لعيش الكثير من الأفراد و العائلات.

¹-BOUTEENOUCHE M.SYSTEME SOCIAL ET CHANGEMENT SOCIAL EN ALGERIE.OPU.ALGER P23

تعتبر مرحلة ما بين 1973-1993 من أهم مراحل التوسع في المنطقة إذ أصبحت المدينة تعرف حركة جديدة و ذلك راجع إلى عدة أسباب أهمها النمو السكاني، بعد تحسن المستوى المعيشي، و النزوح الريفي و استقرار البدو الرحل اثر تراجع مساحة الرعي، بسبب فترة الجفاف سنة 1974 خاصة و أهم عوامل التوسع والخروج من القصر العتيق إلى المدينة الجديدة و سياسة البناء الذاتي و ما تبعه من فتح مؤسسات تعليمية، و إدارية توفر كل متطلبات الحياة المعاصرة. و قد اعتمدت الدولة في هذه الفترة على جملة من السياسات و الخطط التنموية التي نجحت في بعضها و فشلت و عادت بالضرر في بعضها الآخر و خاصة على وضعية الصناعات التقليدية التي كانت في حالة جيدة وضعفت و قلة و تراجعت في ما بعد و بما أن التنمية الصناعية هي السياسة المخططة والمستهدفة لبناء الصناعة الوطنية بشقيها الحديث المركب و التقليدي اليدوي، و تطويرها بإقامة المشاريع التنموية، بإجراء تغيير في البنية الصناعية والاعتماد على جميع الموارد المتاحة وذلك عبر تطوير عمليات استخراج و إنتاج الخامات الطبيعية والمواد الأولية المحلية، ضف إلى ذلك الدور المحوري الذي تلعبه هذه الصناعات في تنشيط وتفعيل القطاع السياحي.

من الصناعات التقليدية والتراث الثقافي ما يجعلها رائدة في هذا المجال ونذكر منها صناعة النسيج المتمثلة في الزرابي، الجلابة الصوفية والبرنوس - السلهام والأغطية الصوفية المختلفة الألوان - الوسادات حيث أن تتنوع البيئة في الجزائر كان له الأثر على أنشطة السكان وتعدد مهنتهم، وكذلك الحرف التي يزاولونها، ومن هذه الحرف حرفة النسيج. والتي لعبت دوراً هاماً في حياة المجتمعات الريفية البدوية، لتتناسبها مع ظروف البيئة الصحراوية لكثرة ممارسة الرعي وتوفر الخامات التي استخدمت في النسيج، ومن هذه الحرف صنع المسكن والملبس والزينة. ويقوم بهذه الحرفة النساء، فتظهر إبداعاتهم الفطرية من خلال تصميمات ذات وحدات زخرفية بسيطة وألوان زاهية متوارثة

ومستوحاه من البيئة سواء أكان ذلك في منسوجات المسكن. بيت الشعر المسمى العشة أو الملبس أو مكملات زينة الأبل أو الخيل، ويستخدم في هذه الحرفة صوف الأغنام والماعز ووبر الأبل، وقد سدت هذه الصناعة البيئية الحاجات الأساسية للسكان عبر فترة طويلة من الزمن.

حتى لا يبقى من السياحة إلا الاسم خاصة وأن مفهوم السياحة أصبح يتلخص لدى العديد من المشرفين على هذا القطاع الحساس في عمليات "الترقيع" وتناسينا الأثر الاجتماعي والاقتصادي لأن التطور والنهوض به يبعث إلى الأفق ويساهم في خلق مناصب شغل سياحية وهذا في الوقت الذي لاتزال المعالم السياحية بمنطقة تيوت وصفيصيفة بالنعامة عرضة للتآكل والزوال بفعل الإهمال واللامبالاة وأعمال التخريب التي طالت أجزاء هامة من ذاكرة المنطقة ومعالمها السياحية والتاريخية المنقوشة على الصخور. وهي كلها مظاهر مغايرة تماما لإجراءات ترقية السياحة في بلادنا وخاصة منطقة الجنوب الغربي ومنطقة القصور.

دور بنو عامر وحميان في تنمية الثروة الحيوانية:

لقد ساهم العمور وحميان من جملة عرب بني هلال في المجال الاقتصادي عند دخولهم إلى المغرب الإسلامي، و لم يكن دورهم سلبي فقط كما يروج بعض المؤرخين، بل كان دورهم ايجابيا فقد نقلو خبرتهم الطويلة إلى المغرب الأوسط في تنمية الثروة الحيوانية، و قد تأثرت قبائل الزناتية بخبرة القبائل العربية و الهلالية في هذا المضمار الطبيعي أن يرتبط سكان المنطقة بهذه الأنعام التي رسمت و حققت لهم الانتجاع الموسمي، و الخير الوفير و قد طبقوا على حيواناتهم ما ألفوا بمجتمعهم من العصبية الأبوية وأفادوا من القواعد البيولوجية في صون والاحتفاظ على سلامة أنسابها سلالاتها واعتنوا و اهتموا بتنميتها و زيادة عددها حتى أصبحت المنطقة غنية بثرواتها الحيوانية خاصة الأغنام حيث فرضت البيئة الجغرافية و المناخية على عدد القبائل المنطقة أن تقوم بتربية الأغنام بالدرجة

الأولى لأنها عبارة عن المراعي طبيعية تتوفر على مختلف النباتات و الأعشاب و التي تعد على فن الأغنام و يذكر " فيلكس جاكو " أن قطيع أهل الصحراء خاصة المنطقة موضوع الدراسة يتكون تقريبا من الأغنام و قبائل من الأبقار و عددا لا بأس من الماعز و الإبل¹ و إذا كان النظام الاقتصادي أو نمط المعاش بمنطقة عين الصفراء و بخاصة عند أهل البدو الرحل و كما بين ابن خلدون في مقدمته يعتمد على:

الترحال: ولعل التنقل سعيا وراء مصادر القوت يشكل السمة الرئيسية أو الأساسية للحياة في المجتمعات البدوية في البادية ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر كلمة بادية عادة معنى الصحراء الشديدة الحرارة والقحولة، وهي بذلك إما سهوبا شاسعة جرداء، أو كثبان رملية متحرك.

كما أن التنقل والترحال الدائم بحثا عن الماء والكأ هي السمات الرئيسية المميزة لسكانها الذين يسمون البدو الرحل أو الشعلة التي تضيء الصحراء، كما وصفهم أحد المستكشفين .

ومثلما تعددت الرؤى بشأن التوطين فثمة كذلك اختلافات بين الدارسين حول مفهوم البداوة، فمنهم من يعرفها على أنها نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقع مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة من ناحية وعلى كفاية الوسائل المستعملة في استغلالها من ناحية أخرى وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر من جهة ثالث .وجاء في تعريف آخر، أن البداوة هي مرحلة متميزة من مراحل النمو الحضاري الذي عادة ما يتناول بالتغير جانبيين أساسيين هما :الجانب المادي ويشمل ما يستخدمه البدوي من أدوات وأجهزة وغيرها من عناصر البيئة الطبيعية التي يحيط بها والجانب الغير مادي ويتناول العادات والتقاليد والقيم وغيرها.فالبداوة تنطبق على نمط حياة فئة من السكان الذين يتميزون بخصائص معينة

¹ - عبد الحميد يونس - الهلالية من التاريخ و الأدب الشعبي - القاهرة 1056 هـ - ص 88-89

وسلوك ترسمه البيئة المحيطة بهم، فالبادية في اللسان العربي من بدا- يبدو إذا برز أو ظهر أو سكن البادية فالبادية هي الأرض الساهرة البارزة خلاف الحضر الذي يعني الاستقرار، و ما يتبعه من تجارة و علم و حرف وصناعات و زراعة و فنون ومن ازدهار ذلك و تطوره كانت الحضارة و بادية المنطقة هي أراضي السهوب الشاسعة التي تصلح للرعي لما تتوفر عليه من نباتات رعوية تناسب المناخ و تقلباته في المنطقة منها الحلفاء-الشيخ-الدرين-الرتم-و الرمث و غيرها، والأعشاب ذات الفائدة الغذائية للأغنام. وبادية العين الصفراء هي جزء من بوادي الهضاب العليا التي تتوسط الشمال، النل و الصحراء و تمتد هذه البوادي من الغرب الجزائري إلى شرقه. في هذا المستوى المنبسط الذي يستوعب ساكنتها من البدو الرحل الذين يعتمد نشاطهم الاقتصادي على تربية الماشية أساساً¹.

يعيش البدوي في عزلة كبيرة، ما عدا الذهاب إلى السوق الأسبوعي قصد اقتناء بعض الحاجيات أو بيع المواشي التي تعد مورداً هاماً بالنسبة لهم، و هم يعيدون كل البعد عن الأحداث و المستجدات و الحياة الحضرية رغم تسجيل النزوح المعتبر إلى بعض المناطق القريبة كقصر الصفيصة و تيوت و جنين بورزق حيث أصبحت تستقطب شريحة واسعة من البدو الذين هجروا الأرياف و غيروا النشاط الاقتصادي خاصتهم و هو ما أحدث تحولاً في القيم و التمثلات و الاستجابة للمتطلبات التنموية،

لسكان البادية في بادية النعامة عادات و تقاليد عربية أصيلة ما تزال راسخة كالفروسية التي تعني- فيما تعنيه- تربية الفرس العربي الأصيل والتي لا تسمح بإقامة حياة سكانية مستقرة؛ فهي تعني الترحال و عدم الاستقرار في مكان ثابت طوال العام، إذ تضطر بعض الجماعات أن تغير مناطق إقامتها من

¹ عيسى قوراري، حميان. أطروحة دكتوراه. شعبة فنون شعبية. جامعة تلمسان. 2007. ص 56

حين لآخر، أو من فصل لآخر سعياً وراء الغذاء والرعي، كما هو الحال في كثير من أقاليم السهوب الصحراوية ببلادنا .

وفي رأي بعض الجغرافيين لانطلاق البداوة على ذلك النوع من الترحال المنظم، وأن القبائل والجماعات التي تعيش على الالتقاط بأستراليا وإفريقيا لا تدخل في اعتبار هذا الاصطلاح، و مما لاشك فيه أن المجتمعات البدوية هي مجتمعات تقليدية تعتمد على مجموعة من النظم والعلاقات المتشابكة، حيث يقل فيها التخصص إلى أدنى درجة ممكنة، كما قد ينعدم نظام تقسيم العمل بها على الإطلاق، وهذا على عكس المجتمعات الحديثة التي تؤكد ليس فقط على أهمية تميز النظم الاجتماعية والفصل بينها، بل أنها تركز أيضاً على أهمية الهدف الذي يحققه كل نظام من هذه الأنظمة. فالمجتمع البدوي هو ذلك المجتمع الذي يضم تلك الجماعات أو المجتمعات البدائية المحلية التي تعيش حياة تقليدية تتميز بالبساطة وعدم التعقيد، فضلاً عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية¹.

فانتقال البدو أو ترحالهم بقطعانهم من الغنم والإبل، هذا الارتحال يعرف كنمط بعملية الرعي المتنقل و هو أبسط أنواع الرعي على الإطلاق، ومارسوه من البدو الرحل الذين يعتمدون بصفة أساسية ومباشرة على الحيوان باختلاف أنواعه، بحيث لا تصبح عملية الترحال و حدها هي المسخرة لخدمة الحيوان بل يتشكل من خلالها نمط الحياة السائد كله ليكون في خدمة ذلك الحيوان الراعي. لقاء ما يوفره ذلك الحيوان للبدو من إشباع لمعظم احتياجاتهم الضرورية و الأساسية، و لا تقتصر هذه الحاجات المشبعة من حيث الكيف على الجوانب الاقتصادية والمادية، بل تمتد تتجاوز هذا الإشباع حتى يصل إلى الوضعيات و المكنات والأدوار الاجتماعية والصراعات بل و ليضم ذلك الإشباع أيضاً النقل

¹ - اسماعيل ابن السعدي و لغريبي نسيمه، تجربة توطين البدو الرحل. الباحث الاجتماعي. جامعة قسنطينة 10

الاجتماعي كان سواء على مستوى الفرد أو الجماعة البدوية أو كان ذلك على مستوى المجتمع العشائري كله¹.

ولمعرفة المجتمعات البدوية يكفي أن تعرف أهمية الحيوانات عند هذه المجتمعات فعبارة "ايفا نز برتشارد" التي وجهها لكل من يريد أن يدرس مجتمع "النوير" بقوله "فتش عن البقرة" و في مجتمع بني عامر وحميان بولاية النعامة يمكن القول فتش عن الشاة، فالماشية عندهم هي مصدر الغذاء لبنا و لحما، ومنها الكساء و الغطاء و الرداء، منها المأوى خيمة أو بيتا. و هي المهر، ومنها الدية فضلا على أنها مصدر الثروة و مبعث كل فخر، لذلك كله كانت الحيوانات الراعية موضع اهتمام سواء بالتملك أو بالتطلع أو حتى بمجرد الحديث عنها²، ليس الحيوان هو السمة الرئيسية للبدو الرعوية، ولكن توجد إلى جوار الحيوان عدة عوامل جغرافية و مناخية و نباتية كثيرة، قد يمتد تأثيرها حتى يشمل وجود ذلك الحيوان من عدمه فالمنطقة الصحراوية و شبه الصحراوية التي هي كانت تحل محل تجوال بني عامر و حميان، بطبيعة مراعيها الفقيرة تستلزم أو تفرض نوعا معينا من الحيوان الراعي يمكنه بحكم طبيعة تكوينه الجسماني أن يكون ذا مقدرة أو اقدر خاصة على الحياة وسط الظروف الصحراوية والبيئة النباتية الصعبة، و فقر الحياة النباتية للمراعي لا يفرض فقط نوعا معينا من الحيوان و لكنه أيضا يحتم رحيلاً دائماً، وبما يتطلبه هذا التنقل شبه الدائم من خفة في الحركة، فالبدو يضربون خيامهم بالقرب من مناطق الرعي حيث تتطلق القطعان بحثاً عن العشب حتى ينضب معينه، و في هذه الحالة يلزم أن تكون هناك رحلة جديدة لكل من الراعي و الحيوان، و قد يكون المدى

¹- عيسى قوراري . قبيلة حميان . اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان 2005-2006ص466

²- الرجوع نفسه، ص 56

المكاني لهذه الرحلة محدودا أو غير محدود ،كان يتم التجوال في نطاق التجوال العادي للقبيلة و الجماعة البدوية¹.

يذهب علماء الأنثروبولوجيا إلى أن ظاهرة الترحال في البداوة الرعوية ناتجة عن علاقة البدوي بالطبيعة. لان الطبيعة تحتم عليه التنقل و عدم الاستقرار في مكان وأخذ لفترات طويلة، وكذلك التجمع القبلي ما دانت الطبيعة غير مستقرة أو مأمونة وما دامت أسباب المعيشة غير متوفرة بما فيه الكفاية، فلا اقل من أن تتوحد الجماعات في تجمع قبلي تشكل الأسرة فيه اصغر و حداتها، و يلاحظ أن الترحال الذي تقوم عليه البداوة هو ترحال كمي و ليس تنقلا نوعيا ينتقل به المهاجر من نمط حياة إلى نمط آخر أو من نوع من العلاقات إلى آخر.

إذ تفرض الهجرة في أدنى مستوياتها لونا من الاحتكاك الثقافي والاجتماعي بمجموعة أخرى تقوم فيها حالات الأخذ والعطاء التكيف بينما نمط البداوة كنمط حياة يدور في أفق ثقافي واحد متمائل.

لان المجتمع بمقوماته المادية من البشر و بمقوماته الاجتماعية من النظم ينتقل ويرتحل².

إن البدوي أثناء ترحاله من مكان إلى آخر لا يعني انه يعيش في عزلة عن المجتمع الحضري، فهو في احتكاك دائم مع مجتمعات القرى و المدن إلا أن ظاهرة التسوق و المبادلات التجارية كانت تفرض عليه التنقل إلى القرية و المدينة و بالتالي فالبدوي يكتسب من خلال تفاعله مع المجتمع القرى و المدن ثقافة المجتمع القروي أو الحضري، و الترحال يسمح للبدوي أيضا بالانفتاح على عديد المجتمعات الحضرية والقروية، فعلى سبيل المثال كانت قبيلة العمور ترتحل إلى أطراف الصحراء، وكانت على تفاعل مع مجتمعات القصور بالصحراء.

¹ - نفس المرجع ص467

² - عيسى قوراري، المرجع السابق، ص 471

الرعي: إن الرعي كعملية أو نظام يندرج تحت نمطين رئيسيين، و الرعي أما أن يكون متنقلا أو يكون مستقر، و الترحال كعملية بما تحتويه من سعي دائب وراء العشب و الماء يشكل الحد الفاصل بين كلا النمطين، بمعنى أن الاختلاف بين كلاهما كمي.¹

و ليس كفيها لان الرعي كهدف موجود و متوافر لدى النمطين و حتى ثقافة الرعي و تنظيماته وتأثيراته على الحياة الاجتماعية لكل من النمطين سواء المتنقل منها أو المستقر تكاد أن تكون واحدة بل موحدة بين كلاهما، فالفرق المميز بينهما يكمن في الدرجة و ليس في النوع حيث تسعى الجماعة البدوية في ظل الرعي المتنقل إلى الماء و الكلاً أينما وجد و هي في سبيل ذلك تجوب الصحراء باستمرار و ترتبط فترة إقامتها بأرض ما بقدرة هذه الأرض على الوفاء باحتياجاتها فضلا عن مواشيتها من الماء و العشب ويعتمد الاقتصاد في الريف أساسا على الزراعة حيث أن هذه المهنة لا تعتبر مجرد صناعة إنتاج المحاصيل النباتية و الحيوانية، بل هي أيضا أسلوب حياة السكان و مصدر دخولهم و التي يتوقف عليها درجة و مستوى معيشتهم، و لصفات و خواص هذه الأرض من حيث المساحة و نوع التربة ودرجة الخصوبة و موقعها الجغرافي و ظروفها المناخية و مدى توفر مصادر المياه بها، و لكل تلك الصفات و الخصائص أثارها في بناء المجتمع الريفي و درجة تقدمه و مستوى معيشة سكانه. هذا و مساحة الأرض محدودة بالنسبة لعدد السكان و تزايدهم المستمر، والذي أدى إلى تضائل نصيب الفرد من الزراعة.

¹⁻صلاح مصطفى الفوال. البداوة العربية و التنمية. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة 1967 ص45

لأنه و في وقت مضى كانت القبيلة التي تعمل بزراعة الأرض و تربية الحيوان و التي كانت تشكل النسبة إليها الأرض الزراعية و الثروة الحيوانية المصدر الأساسي لدخل جميع أفرادها حيث كان التضامن أليا بينما نجده اليوم عضويا.

لقد اعتمد أهل القصور في نشاطاتهم الاقتصادية بشكل أساسي على الزراعة لذا فقد شيّدوا قصورهم بالقرب من الأودية الخصبة و العيون الغنية بمنسوبها من المياه استعملوا في عملية ري و سقي محاصيلهم الزراعية على طرق دقيقة ومنتظمة مشكلة في سواقي و قنوات متصلة بالعيون و أحيانا بالأودية التي تتأثر بما تجود به السماء من غيث، و ما هو متعارف عليه في المنطقة بالفقارة، يتم فيها تعاقب الليل و النهار، و يستعملون في ذلك ساعات شمسية، تجمع بين وظيفتي تحديد أوقات الصلاة و ضبط توزيع المياه و بهذه الطريقة يستعمل الفلاحون مياه العيون في القصر¹.

6- البناء الثقافي بالمنطقة:

ان الثقافة دائمة التغيير فهي تتغير باستمرار على ان تغيرها قد يكون بطيئا الثقافة المقدسة ، أو سريعا الثقافة المتحررة و التغيير الثقافي يحدث عن طريق الاختراع أو الاستعارة أو الاقتباس من ثقافات أخرى نتيجة الاتصال و الاحتكاك ، فيضيف إلى ماديات الثقافة كالأدوات أو آلات جديدة، كما قد يضيف قيما و اتجاهات و عادات جديدة و ممارسات و حتى سلوكيات و قد يسقط أو يحذف بعضها كوسائل المواصلات مثلا و القيم كقيمة المحافظة نحو خروج المرأة مثلا، اللباس، إلى غير ذلك.

و العناصر المادية في الثقافة أسرع تقبلا للتغيير من العناصر غير المادية، و فترة التغيير بين الثقافة السائدة و الثقافة الجديدة تعتبر فجوة ثقافية يجب ان تتغير خلالها مختلف الجوانب الثقافية

¹ عبد القادر خليفي. المرجع السابق. ص 29

المرتبطة بها وإلا حدث انحلال وتفكك اجتماعي يؤدي بدوره إلى مشاكل اجتماعية وخيمة، وهنا تعجز الثقافة السائدة عن تلبية الحاجات.

الثقافة هي انعكاس للمستوى الحضاري لأي أمة أو بلد؛ وهي نتاج فهم الإنسان لتراثه، ودينه، وتفاعله الاجتماعي والمادي في كل مرحلة من مراحل تاريخه على صعيد الفرد وصعيد المجموعة. ويتضمن هذا الناتج عناصر وأبعاداً روحية وفكرية وأدوات تقنية ويشمل القيم والتقاليد و أعراف التصرف وأنماط الحياة والفنون، والأدب وأشكالاً متنوعة من الإبداع. ويقصد بالتراث الثقافي غير المادي الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات - وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها المجتمعات المحلية، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي.

وبما أن المعتقدات في المنطقة، تمتد أصولها من الدين و التاريخ حيث تتميز الجزائر بتنوع سكاني واضح يظهر أثره على الحياة الثقافية وعلى الفنون والصناعات اليدوية بشكل خاص، حيث يمكن أن تُظهر قطعة فخار، أو ثوب مطرز تأثير الثقافة الأمازيغية، والثقافات العربية الإسلامية والشرقية على الحياة في الجزائر، وتُظهر أيضاً تأثيرها بالحضارات الأخرى مثل حضارات الفينيقيين، والرومان، والأتراك، وتكون النتيجة النهائية انسجام تام بين الثقافات المختلفة مع تراث الجزائر القديم¹.

إضافة إلى ما تحويه البيئة، فقد تداول بين السكان إحياء مناسبات تتمثل في:

¹ - Algerian Culture", algerian embassy, Retrieved 5/9/2021 p26

التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلاً عن جيل تبده المجتمعات المحلية والمجموعات من جديد بصورة مستمرة، بما يتفق مع بيئتها، وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو يُنمي لديها الإحساس برويتها والشعور باستمراريتها، و التي منها المواسم و العادات.

و يعرف البناء الثقافي على انه مجموع العناصر التي تشكل ثقافة المجتمع و التي تنتج من خلال التفاعل بين الأفراد داخل النسق ،و قد يتضمن هذا البناء الممارسات و التمثلات و، العادات و التقاليد و الأعراف و يتضمن كل ما يمكن إنتاجه سواء في الجوانب المادية كالصناعة و الحرف و فنون البناء و العمارة و الغير مادي كالفلكلور و الشعر و الأدب و غيرها.

الثقافة تتطور بتطور الشروط المادية لحياة الناس في حقبة تاريخية معينة. إلا أن المحدد الحاسم للنشاط الاقتصادي عند ماكس فيبر هو القيم الثقافية، وليس الواقع الاقتصادي.

فالبداية ليست علاقة الإنسان بالطبيعة وبالوسائل التي تنتج الخيرات التي يتفاوت امتلاكها والتمتع بها بتفاوت العلاقة بين الذين يعملون وينتجون والذين يملكون وسائل الإنتاج كما يقول ماركس، وإنما البداية عند فيبر هي نظام الأفكار والعقائد والقيم الفاعلة في النشاط الاقتصادي والخلاقة للثروة.

لكل مجتمع خصوصيته و مميزاته المنعكسة عن أصالته و جذوره الضاربة في أعماق التاريخ والمنبثقة عن ارثه الحضاري و عن قيمه الإنسانية ومن بين العناصر الثقافية التي تبدو أكثر عمومية في المنطقة هي العادات، وهي تكرار عملية معينة، أو النشاط "اللاشعوري" واللاواعي لعملية ما، والنتائج عن تكرار فعل حتى لو كان فعلاً اجتماعياً، والعادات تكون فردية، تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع، فيكاد الإنسان يكون مجموع عادات تمشي على الأرض، بل إن قيمته تعتمد في بعض الأحيان على عاداته.

وأما العادة الجماعية فهي مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها، وتمثل ضرورة اجتماعية تستمد قوتها من هذه الضرورة. وتختلف الأعراف عن العادات، فالأعراف هي السنن الاجتماعية التي تدل على المعنى الشائع للاستعمالات والعادات والتقاليد والقوانين خاصة عندما تحوي حكماً، والفرق هو فرق تكويني، فالعادة عرف ناقص يعوزها لتصبح عرفاً أن يشعر الناس بضرورة احترامها، فكل عرف عادة، وليست كل عادة عرفاً.

و يمكننا أن عرف كل من العرف و العادة و التقاليد فيما يلي:

1- العادات:

وهي ظاهرة اجتماعية، وهي قاعدة أو معيار السلوك الجمعي وتشير إلى أفعال الناس التي تعودوا عليها و سلوكهم على نحو شبه إلي بفضل التكرار المستمر والتعلم والتدريب، وإلى هذا الطابع الشبه آلي الذي يعزي عدم الارتياح عندما يخرج فرد عن الجماعة بسلوك خارج عن العادات.¹ و العادات جزء هام من دستور الأمة الغير مكتوب.

بيد أنها مدونة في صدور الأفراد و راسبة في تكوينهم ، وتتمثل العادات في اللغة و الأنماط الرمزية الأخرى التي تعبر عن أفكار الفرد و معتقداته و تدعم العادات الحياة الاجتماعية ، و تؤدي إلى تعزيز وحدة المجتمع و تقوية الروابط بين أفراده.

¹ حسين عبد الحميد احمد رشوان. المرجع السابق. ص 137.

وهي تنشأ تلقائية نتيجة اجتماع الناس معا لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر السلوك الجمعي ، و يتقبل الأفراد العادات طوعا أو اختيارا ، فالعادات تتسم بالإلزام¹.

2- العرف:

يعتبر العرف في منطقة العين الصفراء ركنا هاما من أركان المعايير الاجتماعية، و هو عبارة عن مجموعة من الأفكار و الآراء و المعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة، و تمثل مقدسات و الجماعة ومحرماتها، و تنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال ، و ما يلجؤون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي و ينحصر نطاقه في طبقات أو مجموعات معينة داخل المجتمع ، على الرغم أن له في كثير من الأحيان احتراما يضيف عليه قيمة توحى لأعضاء المجتمعات الأخرى بمجاراته و تقليده.

3- التقاليد:

التقاليد هي عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا و الاتفاق الجمعي. وهي تستمد قوتها من المجتمع، و تحتفظ بالحكم المتوارثة عن الأجداد ز ذكريات الماضي التي يمر بها المجتمع ، يتناقلها السلف عن الخلف جيلا بعد جيل ، و تختلف العادات عن التقاليد في أن الأخيرة تعني الانتقال العادات من جيل إلى جيل من خلال التيارات الاجتماعية ، كما أن العادات تتعلق بسلوك الخاص أما التقاليد فتتعلق بسلوك المجتمع بكليته ، و من التقاليد الشائعة في الريف مساعدة العاجز و احترام كبار السن و مراعاة الأصول في التعامل، و الكرم و حسن الضيافة و تقديس رجال الدين. و من بين مظاهر العادات و لتقاليد بالمنطقة نجد المواسم و الوعدات التي يحرص السكان على إحيائها سنويا.²..

¹ المرجع نفسه. ص111

² - وليم لين. ادوارد. المصريون المحدثون . شمائلهم و عاداتهم. ترجمة عجلي طاهر نور. ط2. مكتبة النهضة. القاهرة

4- المواسم:

يحببها سكان المنطقة في طابع عام مشترك لا يخلو من العادات و التقاليد بتعبير دال على الفرح و الغبطة، منها ما هو مقدس و ديني كالأعياد المتمثلة في: المولد النبوي الشريف، ليلة القدر المباركة، عيدي الفطر و الأضحى و منها ما يرسخ مظاهر المودة و التآلف و التقارب الأسري و الاجتماعي كحفل الزفاف، و الختان..

5- الوعدات:

أو ما يسمى 'المعروف' تقام الوعدات في الولاية من طرف أتباع وأبناء وخدام الأولياء الصالحين الذين عاشوا بالمنطقة فترة من الزمن للترحم على الجد الصالح ولقاء أحفاده وأبنائه في تجمع سنوي لصلة الرحم وحل المشاكل الاجتماعية إضافة إلى تنظيم شؤون القبيلة الداخلية والخارجية ويكون ذلك في موعد محدد من السنة لا يخضع لأي تعديل أو تغيير. تعتبر وعدة سيدي أحمد المجذوب الولي الصالح بعسلة. من أهم هذه الوعدات تليها وعدة سيدي التاج قلعة الشيخ بوعمامة. بمغرار فهي عبارة عن تظاهرة اقتصادية و ثقافية جهوية بارزة بمدة ثلاثة أيام كاملة تقام فيها مهرجانات الفروسية وإطلاق البارود و يعرض التجار سلعهم للبيع كما يحضر "المداحون" من مختلف الجهات لتنشيط الوعدة لتقديم المدائح الدينية و القصص الشعبي المختلف تضمهم حلقات من هنا و هناك إضافة إلى:- وعدة سيدي بوتخيل بالعين الصفراء، وعدة سيدي بلال بالعين الصفراء.

وعدة سيدي عيسى بتيوت، وعدة سيدي سياف-فرطاسة بصفيصيفة.



صورة ملتقطة من وعدة عسلة سنة 1997 وفيها يظهر المنتج النسيجي

6- الفلكلور:

هو عبارة عن رقصات شعبية لها دلالات معينة من خلال بعض الحركات التي تكون مصحوبة بإيقاع آلات موسيقية تقليدية، تتمثل في: الغايطة، البندير، القصبة، من بين أهم أنواع الفلكلور في منطقة العين الصفراء نجد:

- العلاوي: ويعتبر من أشهر الرقص حيث أن هذه الرقصة لها خصائص تعبيرية تدل على مختلف مراحل الحروب بعد كل نصر، وهي تمتاز بالسرعة في الحركة إذ أنها خاصة بالرجال فقط.
- الحيدوس: أو ما يسمى بالصف هو رقصة نسائية قد يشارك فيها الرجال "و لعل الحيدوس من الحدس الذي هو السرعة و المضي على استقامة و الذهاب في الأرض" و هي تقوم عن نظام الصف المنسجم المتراس و الإيقاع الواحد بالأيدي والصوت و الأرجل بوضع صفين متقابلين من النساء، الصف الأول يقوم بالضرب على آلة البندير و ترديد مقاطع من الغناء المحلي، و الصف الثاني يقوم بالرد عليهن والتصفيق.

7- الشعر العربي:

الشاعر لسان حال مجتمعه، فلا يخلو مجتمع من شاعر يذود عن حرماته و يمجّد بطولاته و ينقل أخباره، فشيطان الشعر حط رحاله بين بعض أبناء هذه المنطقة فتنفّسوا في نظم القصائد المختلفة الأغراض و المواضيع.

8- القصص الشعبية وفن الشعر والقول بمنطقة عين الصفراء:

"القول" في المجتمع الجزائري وخاصة في الجنوب الغربي من جغرافيته الوطنية تمثل كلّ مكونات الظاهرة الاجتماعية، من حيث تمثيله لدور المثقف التقليدي وقيامه بدور المتنقل بين مختلف وسائل الإتصال العامة في مختلف الفضاءات التي تجلب وتجمع وتصفى وتقارب ثقافيا كل الوحدات التي تتغذى من "القول" لتعيد تثبيت القيم السارية في الضمير الجمعي لكل هذه الوحدات وتنتجها على نحو يسمح بجعل الوحدات مستوعبة ومنتجة لتلك القيم، مستقبلة ومرسلة لكل رموزها، حاملة ومساهمة بتداول لدلالات التمثيل والقوامة والاستمساك بإرث المجتمع، ويتحرى "القول" في كلّ تلك المسافات في فضاءات الحراك الاجتماعي أن يكون في صورة الحكيم الضالع بالتصويب والتقدير والتوجيه والإحالة على الأصول، فيستحضر الماضي بكل ما فيه من مجد وحوادث ويبرمجه في سلسلة من القيم التي يتغذى منها هذا الحاضر ليكون مقيداً وضابطاً لكلّ تلك الوحدات لتبقى في ظلّ هذه القيم حاملة لميراث مجتمعي، ليكون مؤهلاً على تشرّب تلك الحمولة الإنسانية والفكرية بقيمتها ودلالاتها في حاضر مدعو ليحمي نفسه من تأثيرات الغربية والنتيه والصراع والقطيعة والإقطاع.

ثقافة المجتمع في الجنوب الغربي من الجزائر ثقافة حاملة ومشبعة ومنفتحة على "فن القول"، فالقول إنما وجد ليقوم أركان تلك العلاقة بين موقع ومستوى ومسار "القول" وبين مضامين تلك الثقافة، ونشاط الوحدات الاجتماعية، المرتبطة والمتعلقة والمتراصة ضمن حركة واحدة، هو من يجمع بينهما

يؤلف ويجذر ويوجه عمق تلك العلاقة ليكون المجتمع منمطا ومتحكما في ثقافته مسدداً ومنسقاً لدورة حياتية كاملة تؤمن معبراً للمجايلة متيناً وقوياً، فالمجتمع بحاجة إلى توفر نسق عال من التواصل والإندماج والتوافق بين القيم التي تحملها الثقافة العامة والعالمة ليبقى مستوى تردد ثقافة المجايلة سارياً في أمثلة وأفكار وحكم وإحالات عامّة وخاصة يحفزها ويرددها ويكررها ويتمثلها "القول" كلما احتيج له ليكون مصدراً للاسترجاع والبت ونشر اللخمة القيمية بين هذه الوحدات، فهي تحت تصرفه وهي لها من الموالين بالحضور والسمع والتصرف، وهو الذي يرى نفسه أن المجتمع خوّل له ليكون مزكى للحفاظ على شبكة قيم ثقافة المجتمع والتي تنصاع له هذه الوحدات كلما كان "القول" حاضراً بقوة التمثل والسرد والإلقاء وتقديمه كلّ ما يملك في بنية خطابية تحمل كل فنون الإبداع في اللسان والتعبير والإتيقان البلاغي-الثقافي، ويكون في الأخير سلطان الكلمة والقائم على صناعة حبكة القول والكلام المنبعث من مكونات العمق التاريخي في الحاضر الإجتماعي، فيحقق ضمن هذه الشروط ظروف ولادة الوجود الناجحة.

يمكن تحديد مناسبات القص في المنطقة في نقطتين اثنتين في البيت و الحي، و في المواسم أي بين الأهل و الأصدقاء في الأولى و التجمع العام في الثانية و حسب المختصين فيقسم "مجال رواية الشعر والقصة بين ثلاثة فئات من محترفي الرواية الشعبية" و هم:

المداحون أو رواة الحلقات العامة في تجمعات الأسواق والمناسبات العامة.

القولون وهم الشعراء ورواة الشعر في الجلسات الخاصة التي تنعقد من حين لآخر بين هواة الشعر.

وروايات البيوت وهن النساء اللواتي يتخصصن في رواية الحكايات الموجهة خصوصاً للأطفال والتي

يطغى عليها الطابع الخرافي.

وكل هذا يتناول وصف للحياة الثقافية والاجتماعية وتجسيد الثقافة الشعبية بالمنطقة إضافة إلى تخليد بطولات المجتمع.

لسكان البادية في بادية العين الصفراء عادات وتقاليد عربية أصيلة ما تزال راسخة كالفرسية التي تعني-فيما تعنيه-تربية الفرس العربي الأصيل ورعايته وحب البارود الذي يرمز إلى البطولة و الأنفة والشهامة و الرشاقة في ركوب الخيل الإيقاع المتقن.

والبدو يفتخر بشيئين هما: الفرس والبندقية، و من خلالهما و بهما يحمي شرفه و يحتل مكانته في القبيلة و بين القبائل الأخرى و يكتسب الواجهة التي تفضي إلى السيادة و القيادة.

وللفروسية تقاليد و طقوس مرعية لا ينبغي الإخلال بها و إلا كانت هجينة، منها اللباس الخاص والمواسم التي يتداعى لها الفرسان من داخل الولاية و خارجها في شكل فرق تنتسب إلى قبائلها و بطونها تتبارى بما تملكه من خيول فارهة و بنادق و لباس وسروج ذات أشكال و ألوان و أنساق موحدة.

و من فنونهم التي يعتزون بها في باديتهم فنون الرقص البدوي خاصة رقصة العلاوي من العلو ذات الإيقاع المنسجم، والحركات الدقيقة التي توحى بإيقاع حركة الخيل و اندفاعها في الشوط أو في ميدان الحرب و مناورتها و دورانها عند الصدام كما يوحى "العلوي" بدوي البارود و نظام الجماعة ذهابا وإيابا، أما الحيدوس فهو رقصة نسائية و قد يشارك فيها الرجال ولعل الحيدوس من الحدس الذي هو السرعة والمضي على استقامة و الذهاب في الأرض و تقوم على نظام الصف المنسجم المتراص و الإيقاع الواحد بالأيدي والأرجل و الصوت، و يمكن أن نجد في هذه الحركة و الإندياج في الأرض في كلتا الرقصتين طبيعة البدوي الذي لا يقر له قرارا في الأرض. فهو دائم التنقل والترحال هروبا من شر الأعداء و بحثا عن المناجع و مرتع أغنامه ضاعنا نحو الشمال زمن الحر و

القيظ و نحو الجنوب فصل البرد والتلح، و هذا من دفين الذاكرة الجمعية ووجدان الجماعة يأتيه الآن في أفراحهم و مناسباتهم و لا يدرك معناه الثاوي في عمق ضميره و لا مصدر نشأته.

بدو المنطقة كغيرهم يسكنون الخيام التي تتسج من شعر الماعز في فلجان، كل فليج هو قطعة تضم إلى أختها فتكون الخباء أي الخيمة و هذا ما يبرز القيمة التي تحظى بها الناسجة المتخصصة في صناعة الخيمة و الفليج، و مثل الفليج العربية فإن في الخيمة أجزاء أخرى ما تزال بأسمائها العربية الأصيلة كالفاهق و الستار و الخالفة والأوتاد و الركيزة و الملطمة و غيرها، و من عادة البدو أن يكون قريبا من الخيمة عشة منصوبة للضيوف أو هي بمثابة الغرفة الثانية للإبن البكر إذا تزوج لينام فيها، والقيظون في هذه الحال ينصب للضيوف و كلها أخبية و بيوت يسهل حملها وتركيبها في حلهم وترحالهم.

ومن مميزات سكان البادية تلك الثقافة الشعبية الشفوية المتوارثة عبر الأجيال نتجت من حياتهم وتجاربهم و صراعهم مع الطبيعة وكائناتها و ما ترسب من أمثال و حكم و أشعار تمتد من تراث بني هلال في تغريباتهم الوجودية ما أنحدر من الأحداث والوقائع التي شهدتها تاريخ الغارات والحروب وتقلبات الولاء الارتباط بالدول والكيانات السياسية المجاورة إلى تاريخ الحقبة الاستعمارية البغيضة الحركات الجهادية التي اندلعت في المنطقة منذ الغزو الفرنسي إلى الثورة التحريرية الكبرى المباركة.

9- الألعاب التقليدية:

بما أن الحياة الاجتماعية هي السمة المميزة لسكان المنطقة الجنوبية الغربية عامة وولاية النعامة خاصة و حيث أن الألعاب رياضة للبدن و ترويح عن النفس وهي إحدى الملامح الراسخة لتراثها فهي تشكل وجها من وجوه الحياة التي عشنا ونعيش جزئياتها استطاع السكان أن يخلقوا لأنفسهم جوا من الفرجة و الفسحة من خلالها و هي تتمثل فيما يلي:

*الثماني: لعبة فكرية

*السيق: تلعب بقطع من الأخشاب في الرمل لسهولة التنقل في السهوب اتخذ السكان لأنفسهم ملجأ أولوه ثقافة خاصة وهو الخيمة وارتباطها بالبادية:

لأن النشاط الاقتصادي للبدو الرحل في البادية يعتمد على تربية المواشي، فإن حياة الترحال ترتبط بالخيمة لسهولة حملها وإعادة نصبها و هي تنسج من شعر الماعز وفيها أجزاء تتمثل في:

الفاوق، الستار، الخالفة، الأوتاد، الركيزة، الملمطة. عادة ما تنصب عشة من أجل الضيوف تكون قريبة منها وهنا تلتمس الطيبة وكرم الضيافة لدى سكان المنطقة إذ أن حسن معاملة الضيوف وإكرامهم هي الصبغة المكتسبة لديهم.

10-اللباس التقليدي:

باعتبار اللباس صورة عاكسة لتطور وازدهار المجتمعات عبر الزمن، مع المحافظة على الأصالة والعراقة يسعى سكان المنطقة إلى إحاطته بعناية خاصة لما له من أهمية بالغة في ترسيخ الهوية، وبطبيعة الحال منه ما هو خاص بالرجال كما هناك ما هو خاص بالنساء.

لباس النساء:

- المقرون: يوضع فوق الرأس ويشد بخلافة في الرقبة.
- الملحفة: تشد بخلافتين على مستوى الكتفين.
- ليزار و يصحب اللباس النسوي حلي تتزين بها المرأة تتمثل في: المضممة- الخلالة-الخلخال-البريم- وكلها مصنوعة من الفضة إضافة إلى اللويز:و هو مصنوع من الذهب.

لباس الرجال:

- العباية و البرنوس
- العمامة: تلف فوق الرأس-
- الجلابة: تصنع من الصوف و الوبر
- الهدون: يشبه البرنوس إلا أنه منسوج من الوبر-
- الخيدوس: هو برنوس إلا أنه يصنع من الصوف الأسود.

11-الإيمان بالخرافة

ينتشر في هذه المجتمعات التفسير الخرافي الذي لا تأصيل له في العلم الحديث ، كالعين الشريرة والسحر و الشعوذة ... و هذا ناتج لبعدهم عن التعليم ، و التفسير الخطأ للدين .

تستمد القيم من طبيعة العيش و الأرض ، و بدو المنطقة لهم صفات البدو في المناطق العربية عموماً، تمتاز حياتهم بالبساطة و عدم التعقيد .

12-القيم:

و تتميز بـ : " العصبية في التضامن والتماسك الداخلي ، ونصرة القريب ، والافتخار بالنسب واحترام الأهل والنار والشرف، وقيم الفروسية في الشجاعة والبأس والبراعة و الإقدام والاعتزاز والرجولة والإباء والشهامة ، وقيم الضيافة في الأمانة والصدق والتعالي على الاستخدام والإباء النفسي ، وقيم الأرض في محبة الطبيعة والجمال والصبر والأمل ، والقيم العائلية في الأمومة و الأبوة و

الأخوة والتكافل والشرف والثأر والعفة والحشمة والنسب، وقيم قيمة في المثابرة والصبر والجيرة و
المفازعة والتعاون والتمتع بالمعشر والمسالة"¹ .

فهذه كلها قيم عربية الأصل ، نتجت عن التفاعل الدائم مع الأرض التي يعيشون عليها، و صعوبة
الحياة فيها . مما أدى بهم للتضامن مع بعضهم البعض و علمتهم الطبيعة قيم التكافل الاجتماعي ،
وأعطتهم نوعا من الاشتراكية و كذا الصبر على المحن و التعاون في جميع المجالات .و يمكن أن
نعتبر المناطق التي يعيش فيها البدو الرحل في عين الصفراء منطقة ثقافية فرعية ، و المنطقة الثقافية
هي : "منطقة لها عناصرها الثقافية المتميزة في بعض الخصائص الإجتماعية و الثقافية و التي تشترك
مع الخصائص العامة للنموذج الثقافي العام للمنطقة " ²، فمنطقة الجنوب الغربي عموما تعتبر منطقة
ثقافية تتميز بعدة خصائص تنفرد بها على غرار المناطق الأخرى و منطقة البدو تعتبر منطقة ثقافية
فرعية لها مميزاتها التي بدورها تنفرد بها عن باقي مناطق عموما و هذه الخصائص تشترك مع ما
ذهب إليه الدكتور علي أحمد عيسى في توضيحه للمجتمعات البدائية ، حيث يميزها بـ:

- الاعتماد في المعيشة على البيئة الطبيعية إلى أقصى حد ممكن .
- الارتباط بنظام معين للقرابة.
- انعدام تقسيم العمل إلا ما تعلق منه بالسن و النوع .
- الاعتقاد في السحر .
- الجهل و شيوع الأمية بأنماطها المختلفة .

¹ فاروق احمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم : الانثروبولوجيا الثقافية ، الأزاريطة ، مصر : دار المعرفة الجامعية ،

2005 ، ص 255

² مصطفى عمر حمادة : مجتمعت و ثقافات البحر المتوسط ، دراسة في الأنثروبولوجيا الأركيولوجية ، الأزاريطة ، مصر : دار المعرفة الجامعية ، 1996
، ص 145 .

لقد اكتسب مفهوم التقاليد والشعائر بعدا جديدا يعبر عن مدى ارتباط حاضر المجتمع بماضيه، كما أنه يشكل أساس مستقبله.

وتعرف التقاليد على أنها مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع الذي تنشأ فيه، والتقليد ما هو إلا عادة فقدت مضمونها ولم يعد من الممكن أحيانا التعرف على معناها الأصلي، وتغيير التقاليد يحتاج عادة إلى كسر في النظام السياسي-الاقتصادي القائم.

وتتميز الشعائر بأنها مصحوبة دائما بحس خاص بالجبرية أو الإلزام، والمظهر الغالب للشعائر والطقوس أنها دينية، تنظمها قواعد مقدسة أو موقرة ذات سلطة قهرية ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات ذات وظيفة محددة.

وأخيرا يتجلى التراث الشعبي في عناصر كثيرة، مثل الفولكلور والموروث الثقافي والمعتقدات الشائعة من خرافات وأساطير، وهي في أساسها تلقائية غير واعية لأن أساسها المحاولة العشوائية في سد الحاجات الطبيعية الضرورية.

وبالتالي هي غير مدونة وتتميز بالاستمرار والثبات، وتبقى لها جاذبية معينة مقبولة ومرغوبة رغم ما فيها من إلزام وقهر، فتعتبر الثقافة الشعبية وسيلة فعالة لإدماج الفرد في مجتمعه ولها أيضا وظائف اقتصادية وتوجيهية وجمالية وتنبؤية، وأهما وظيفة الضبط الاجتماعي¹.

¹نجوى عبد الحميد سعد الله. الإبداع الثقافي الاقتصادي. دار المعرفة الجامعية. 1990. ص123

الفصل الخامس

الدراسة الميدانية

1- مقومات التنمية بالعين الصفراء

تراعي التنمية المحلية البعد الاقتصادي من أجل تنمية الإقليم المحلي اقتصاديا، و ذلك عن طريق البحث عن القطاع أو القطاعات الاقتصادية التي يمكن أن تتميز بها المنطقة سواء عن طريق النشاط الزراعي أو الصناعي أو الحرفي، و لهذا نجد أن المنطقة تحدد مميزاتا مسبقا تكون قادرة على النهوض بالنشاط الاقتصادي المناسب لها من أجل توفير فائض القيمة عن طريق المنتجات المحققة بالإضافة إل ذلك يمكن لها أن تدمج أفراد المجتمع المحلي الباحثين عن فرص العمل في النشاط الاقتصادي و لهذا تصبح التنمية المحلية تحقق البعد الاقتصادي عن طريق توفير المنتجات الاقتصادية التي تتميز بها المنطقة من جهة أخرى سواء للاستهلاك المحلي أو للتوزيع إلى الأقاليم الأخرى، تعتبر ولاية النعامة منطقة سهبية بامتياز حيث يعتمد نشاطها الاقتصادي على تربية المواشي بالدرجة الأولى و خاصة تربية الأغنام التي تمثل 92 % من العدد الإجمالي لهذه الثروة الحيوانية. تتكون ولاية النعامة من 12 بلدية و 07 دوائر. تقع ولاية النعامة بجنوب الغربي للجزائر. وهي محددة بـ: غربا: دولة المغرب شمالا، ولايتي تلمسان وسيدي بلعباس. شرقا: ولاية البيض، جنوبا: ولاية بشار.

1-1- تقسيم الجغرافي للولاية:

تنقسم ولاية النعامة إلى 03 ثلاثة أقسام جغرافية مختلفة:

* منطقة سهبية تشمل 74 % من المساحة الإجمالية للولاية.

* منطقة جبلية. من جبال الأطلس تمثل 12% من المساحة الإجمالية للولاية.

* منطقة شبه صحراوية تتربع على 14 % من المساحة الباقية.

تتمنه باعتباره نشاط ثقافي اجتماعي يتضمن جملة من القيم والدلالات كما تلعب دورا هاما في الجذب السياحي و السياسة التنموية. وقد نشأت الحرفة كتعبير عن تلبية الحاجة الاقتصادية وتحسين الوضع الاجتماعي، وكان هذا الدافع هو الأساس عند أغلب الحرفيين. لأن التاريخ الاجتماعي إذا فهمنا منه تاريخ الجماعات الاجتماعية وعلاقتها فهو نابع من حيث الأساس للضرورات الأولية للنشاط الاقتصادي. فقد شجعت عوامل البؤس والفقر والسياسة الاستعمارية الإقصائية السكان آنذاك على امتهان هذه الحرف للتخلص من تلك الوضعية الاجتماعية المزرية، والفقر المدقع¹.

إن الحاجة إلى الصناعة التقليدية والحرفية أصبحت تمثل ضرورة حتمية للدول النامية لعدة عوامل و اعتبارات منها عجز الزراعة التي لا تزال النشاط الاقتصادي الأول المعتمد عليه عن توفير مستوى مناسب من المعيشة. كذلك المستوى النسبي المنخفض لرأس المال في المشروعات الصناعية يعد أمرا ذا أهمية خاصة للبلدان النامية التي تعاني من نقص الموارد الاستثمارية فالصناعات التقليدية و الحرفية تتميز بارتفاع نسبة العمل إلى رأس المال ، حيث تستخدم هذه الصناعات فنونا إنتاجية أكثر كثيفا للعمل الأمر الذي يجعلها إحدى الوسائل الفعالة في معالجة مشاكل التنمية¹. علاوة على هذه الخاصية نذكر بأن تنمية الصناعات التقليدية أصبحت حتمية اقتصادية بالنظر إلى دورها التنموي، والنهوض من التخبط في الخيارات المناسبة لتنمية المجتمع المحلي يحتاج إلى رؤية شاملة تقوم على توحيد الجهود و إنشاء هيئة وطنية لمساندة هذه الصناعات و دعمها و تكوين بيانات عنها و التواصل مع الهيئات الدولية المعنية، و توفير الخدمة الاستثمارية للصناع الحرفيين خاصة بالمناطق الريفية كمنطقة عين الصفراء التي يمكن تصنيف محيطها الريفي و القروي كمجال لمناطق الظل كما جاء في التصنيف الأخير نظرا لانعدام البنية

¹ - بوحسون العربي، الخصوصيات التاريخية والأنثروبولوجية للحرف والصناعات التقليدية بمدينة تلمسان، المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية المتوسطة، العدد الثالث، جوان 2016، ص252
¹-فتحي السيد عبده . أبو السيد سيد احمد. الصناعات الصغيرة و دورها في التنمية. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. 2005. ص171

التحتية وغياب المصانع والمنشآت، فمن مميزات الحرف التقليدية أنها تمارس بشكل كبير في المنازل فهي توافق رغبات الأشخاص المنتمون الى المجتمع التقليدي و المتشبهون بقيم واعراف محلية، والذين لا يفضلون مغادرة سكنهم بحثا عن العمل خاصة العنصر النسوي فهي لا تطرح مشكل مقر العمل كالصناعات الأخرى. الإسهام الفعلي في إحداث مناصب شغل للشباب باستثمارات بسيطة وغير مكلفة مقارنة بالنشاطات الأخرى، وهي بذلك تساهم في تكثيف النشاطات الاقتصادية على المستوى المحلي وخاصة في الأوساط الريفية التي تتميز بخصوصياتها، فالمرأة لا يمكنها الخروج للعمل حسب المنظور السائد فهي التي تتدبر شؤون البيت و هي من تربي الأولاد وخاصة في ضل بقاء نمط العائلة الكبيرة التي تتألف من الجدين و الأعمام، و الإخوة فالأسرة النووية لم تعرف التعميم في المنطقة إلا مؤخرا ما جعل الوسط العائلي فضاءا مناسباً للممارسة الحرف من طرف النسوة لمساعدة الزوج في التعاون معه في تحمل أعباء الحياة.

يُعرف المجتمع الريفي، بشكل عام، بوصفه المجتمع الذي يعيش في مستوى تنظيم منخفض. ويتكون من الفلاحين والرعاة وصيادي الحيوانات والأسماك. ويُفهم، عادة، كمقابل للمجتمع الحضري. ويتميز المجتمع الريفي بسيطرة نسبية للحرف الزراعية، والعلاقة الوثيقة بين الناس، وصغر حجم تجمعاته الاجتماعية، والتخلخل السكاني النسبي، مع درجة عالية من التجانس الاجتماعي وضآلة التميز والتدرج الداخليين، فضلاً عن ضآلة الحراك الاجتماعي الرأسي والوظيفي عند السكان¹.

ويعتبر روبرت ريد فيلد المجتمعات الريفية: " نموذجاً يمثل طريقة في الحياة الإنسانية أساسها مجموعة من الخصائص أو المميزات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، تعتمد أساساً على الزراعة.. ". ويرى H.Spencer هربرت سبنسر: " أن المجتمع الريفي هو مجتمع زراعي يتميز بالبساطة وعدم التعقيد، ولا

¹ - بن شراط نجاة ، المرجع السابق، ص94

يتأثر بالتأثيرات الخارجية فدرجة التأثير ضعيفة¹.

تمركزت حرفة النسيج داخل الأرياف والقصور فعرفت مناطق "الصفيفة - تيوت - مغرار - عسلة- الشلالة وبوسمغون ازدهار الكثير من الحرف النسيجية، خاصة صناعة الزربية والحنبل والجلابة ، فقد تفنن سكان القصور في صناعتهم التقليدية.

وجدير بالذكر أن بعض الأسر لازالت تحتفظ إلى اليوم بالمناسج وتوليها أهمية بالغة، وترى من خلالها ثقافة ساطعة وفخرا واعتزاز، وبالرغم من أن منطقة العين الصفراء تمتلك حرفاً وصناعات يدوية حرفية غنية بالدلالات و الرمزيات ولا سيما الحرف النسيجية التي كان لها شأن في الماضي باعتبارها منطقة تساعدها العديد من العوامل الطبيعية و البشرية لأن ازدهار أي صناعة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتوفر و جودة المادة الخام اللازمة لها وباعتبارها المنطقة تعرف بقساوة جوها شتاءا فهي منطقة جد باردة نعرف بالصقيع و الجليد ما يستلزم نمطا للباس يتماشى و المعطى الايكولوجي، إلا أنه ونتيجة للتحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة عانت الحرف من الإهمال لبعض الوقت، مما كان له الأثر البالغ في تراجعها و انحسارها ما انعكس سلبا على هذه السلعة التي تدخل ضمن الاستهلاك الثقافي أو ما يسمى بأشباع الرغبة.

1-3-المجتمع المحلي كوحدة للتنظيم الاجتماعي: هناك ثلاثة مداخل:

¹ - عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي- الحضري، مخبر التنمية والتحويلات الكبرى في المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، جامعةباجي مختار، عنابة،ديوان المطبوعات الجامعية،قسنطينة ، ص ص 21-22.

✓ مدخل لدراسة المجتمع المحلي كجماعة اجتماعية.

✓ مدخل لدراسة المجتمع المحلي كنسق اجتماعي.

✓ مدخل لدراسة المجتمع المحلي كشبكة أو نسيج للتفاعل الاجتماعي.

ولقد وردت وثيقة تحضيرية للاجتماع الدولي حول مكانة الصناعة التقليدية في التجارة العالمية الذي انعقد في أكتوبر 1997 بمانيلا تحت إشراف المنظمة العالمية للتجارة والتنمية ومنظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم ومن محتوياته هذه الوثيقة ما يلي:

انه من المؤكد أن آمال التنمية الدولية في القرن القادم تبقى مبنية على التطور الصناعي، بل على تنمية دائمة يغذيها التراث الثقافي وموارد الطبيعة المتوفرة والمهارة اليدوية. فالتنمية الصناعية هي السياسة المخططة والمستهدفة لبناء الصناعة الوطنية بشقيها اليدوي والممكن وتطويرها بإقامة المشاريع الصناعية للاقتصاد¹. ذلك عبر تطوير عمليات استخراج وإنتاج الخامات الطبيعية و المواد الأولية المحلية كاستغلال الجلود في إنشاء مصانع للأحذية والأصواف للملابس والأغطية في المناطق التي ترتفع فيها نسبة رؤوس الماشية كولاية النعامة عموماً والعين الصفراء خصوصاً، كما تهدف التنمية الصناعية إلى تحديث الورشات، والمصانع وتطوير إنتاجها ومضاعفته حتى يسد حاجيات السوق المحلية والوطنية، وعليه فإن منتجات الصناعة التقليدية يستجيب تماماً لهذه المقاييس. بحيث تشكل التعبير الثقافي لقدرات الإبداع لمجموعات تتحكم في مهارات فريدة في إنتاج مواد تعكس ثقافتهم و تراثهم².

تتجلى الوظيفة الاقتصادية للحرفة في النظام المعيشي الذي أوجدته فقد كانت القاعدة المادية إلى جانب الفلاحة و الرعي بحيث شكّلت مجتمع مغلق بما يملكه من قنوات للتبادل النفعي الداخلي و خاصة في الريف ثم تحول إلى مجتمع منفتح عندما تراكمت المنتجات المختلفة فادى ذلك إلى تكوين السوق المحلي ثم

1-Ministere du tourisme et de l'artisanat –article 13 du cid – définition de l'artisanat .1ere partie – fevrier1999.

2- دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية 1980 ص162

الأسواق المجاورة ، وقد برزت الوظيفة الاقتصادية أيضا في توسيع عمليات التبادل التجاري والمقايضات مع المناطق المجاورة. إضافة إلى هذا اعتبرت الصناعات التقليدية في البداية كمراكز للتشغيل و امتصاص البطالين الذين وجدوا فيها مصدرا هاما للدخل الفردي و الجماعي. وإذا ما أردنا الحديث عن هذا النشاط الذي يشكل دعامة هامة في التنمية المحلية إذا ما استغل أحسن استغلال، فإنه جدير بالذكر أن هذه الصناعات والحرف التقليدية شكلت وإلى عهد قريب جدا المصدر المادي الأساسي والدخل الوحيد للممارسين لها في كثير من الأحيان. خاصة بالنسبة للمرأة القصورية التي ابدعت في صناعة النسيج وغيره من الحرف الغذائية (الكسكس، صناعة الحلويات، الالبان والاجبان) .

* عدد الحرفيين المسجلين الناشطين حسب فروع النشاط من 1999 إلى غاية 2021/09/30 هو: 2 345 الحرفيين الموزعين حسب كل نشاط هو كالتالي:

✓ الصناعة التقليدية الفنية:	731 حرفي
✓ الصناعة التقليدية لإنتاج المواد :	304 حرفي
✓ الصناعة التقليدية لإنتاج الخدمات :	1310 حرفي

• جدول يوضح عدد الحرفيين المسجلين حسب الدوائر والبلديات في سجل غرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية النعامة:

الدائرة	البلدية	عدد المسجلين الناشطين	المجموع
النعامة	النعامة	301	301
المشرية	المشرية	925	1024
	البيوض	60	
	عين بن خليل	39	
العين الصفراء	العين الصفراء	595	626
	تيوت	31	
الصفيفيفة	الصفيفيفة	103	103
	مغرار	51	
مغرار	جنين بورزق	25	76
	عسلة	135	
عسلة	عسلة	135	135
مكمن بن عمار	مكمن بن عمار	51	80

	29	القصدير	
2 345		المجموع	

جدول 1: عدد الحرفيين المسجلين حسب الدوائر والبلديات

المصدر: مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية النعامة (سبتمبر 2021)

يظهر من خلال الجدول تموقع الحرفيين في دوائر وبلديات ولاية النعامة ونلاحظ ان أكبر نسبتين لعدد المسجلين الناشطين سجلته كبرى الدائرتين عين الصفراء و المشرية في حين تفاوتت النسب في باقي البلديات لعدة عوامل و لعل ابرزها هو العامل الديمغرافي.

• توزيع الأبعاد والقيم الاقتصادية الثقافية حسب الحرفيين وبعض المقبلين على المنتج الحرفي التقليدي:

القيم						مرتبة القيم
ثقافية		اجتماعية		اقتصادية		
%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	
56%	17	31%	04	62%	13	
%100	34	%100	34	%100	34	المجموع

جدول 2: توزيع الأبعاد والقيم الاقتصادية الثقافية حسب الحرفيين

من خلال الجدول نستخلص أن أكبر قيمة يتبناها الحرفيين هي القيمة الثقافية بنسبة 62,5%، تليها القيمة الاقتصادية 56,25% ما يدل أن غالبية الحرفيين تربطهم بالحرفة القيمة الثقافية أكثر منها الاقتصادية في التمسك و ممارسة نشاطهم و كذلك بنسبة للزبائن المقبلين على المنتج النسيجي الذين يرتبطون به لاعتزازهم به و انتقاءه رغم غلاءه مقارنة مع في حين نجد أن القيمة الاجتماعية ضئيلة نوعا ما بنسبة 31,5%، حيث أن الحرفة لم تعد تلعب دورا هاما في نظام القرابة. و المصاهرة، و

في العلاقات الاجتماعية كما كانت تلعبه في الماضي فقد "قسم سفير ناجي الحركية الاجتماعية أو الديناميكية في المجتمع إلى قسمين الجانب الأول منها يتعلق بعناصر التغيير ويندرج في أفق ديناميكي

الاجابة	التكرار	النسبة %
نعم	12	35%
لا	22	64%
المجموع	34	100%

ومستقل والثاني
بالاستمرارية و
الاجتماعية،
بالموازين

يتصل بالمطالبة
بالرواسب
وبصفة عامة
المتعايشة، حيث

تدل كافة الدراسات في علم الإنسان بوضوح على انه لم يوجد أي مجتمع متصلب بشكل كلي وان كل مجتمع كان يتضمن عناصر تغيير تحمل في طياتها ولو بصفة غير واضحة ثيما مستحدثة تحت جدلية تقاليد والاصالة وحدثة حسب السياقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية، التي كان يعيش فيها المجتمع المعني". دون إدراك الروابط المتعددة والمعقدة"¹.

- جدول يتضمن آراء الحرفيين وتصوراتهم بخصوص تغيير وسائل الإنتاج:

جدول 3: آراء الحرفيين وتصوراتهم بخصوص تغيير وسائل الإنتاج

معظم أفراد العينة 64 % يرون أنه لا يمكن تغيير وسائلهم وأدوات حرفهم التقليدية لأنهم لا يجدون بديلا أفضل منها كونها تميزهم عن باقي عمال المصانع وتضمن لهم اللمسة و البصمة الإبداعية كما تمكنهم من صيانة هذا الموروث و الحفاظ عليه و تلقينه للأجيال اللاحقة وفق نفس الميكانيزمات و

¹ - عاطف وصيفي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981، ص 202

الوسائل، بينما نجد 35 % من المستجوبين يرون عكس ذلك وحجتهم في ذلك أن الآلة الممكنة تتمتع بالسرعة في الإنتاج وبمجهود أقل وبكمية إنتاج أكبر. وهنا يتضح أن للحرفيين بعد ثقافي بحت.

• جدول يبرز العائق الذي يعترض الحرفي في ممارسة نشاطه:

النسبة %	التكرار	المعوقات
20 %	07	قلة المادة الأولية وغلاؤها
52 %	18	تسويق المنتج
26 %	09	تراجع الطلب
100 %	34	المجموع

جدول 4: العائق الذي يعترض الحرفي في ممارسة نشاطه

نلاحظ على ضوء النسب أن أهم عائقين يعترضان الحرفيين في مزاولة نشاطهم بشكل جيد و دائم هما تسويق المنتج بنسبة 52% من المستجوبين يرون أن العائق الأساسي هو تسويق المنتج في المنطقة وفي خارج المنطقة لأنهم يعملون بالمنازل و لا يمكنهم التنقل بحكم أنهم من النسوة و لا يمكنهم تسويق منسجاتهم إلا في القصر أو الحي أو المدينة التي يقطنون بها و تراجع الطلب ب 26% قلة المواد الأولية المتمثلة في الصوف وغلائها بسبب تراجع رؤوس الأغنام نتيجة للهجرة الريفية وبنسبة 20% ما تعلق بغلاء المادة الاولية و وفرتها في السوق و رغم ان المادة حسب ما هو مبين في الجدول لا تشكل عائقا امام الحرفيين الا انها تضل مشكلا بالنسبة للبدو الرحل بسبب ركود الاصواف و كساد تجارتها لعدم وجود سياسات تنموية تثمن هذه المادة من خلال جمعها و توجيهها للصناعات النسيجية ، في اطار اعادة الاعتبار لهذه الشريحة التي تضررت كثيرا ما دفعها للانتقال للندم والانتقاع عن النشاط الرعوي وتنمية الحيوانات والمواشي التي استفحلت منذ الثمانينيات وفي الآونة الأخيرة خاصة و التي انعكست تبعاتها و نتائجها على الكثير من الأنشطة كالحرف.

• جدول وضع علاقة نشاط الرعي وانعكاسه على الحرف بالمنطقة

الاجابة	التكرار	النسبة %
نعم	24	70 %
لا	10	29 %
المجموع	34	100 %

جدول 5: علاقة نشاط الرعي وانعكاسه على الحرف

يتضح من خلال الجدول أن للنشاط الرعوي أثر بالغ في استمرار وروج المنتجات الحرفية لاسيما النسيجية منها وهذا ما ظهر بنسبة 70 % حيث أنه حسب الحرفيين عينة البحث لا يمكن الاستمرار في الحرفة مع ندرة الصوف وغلائها لعدة اعتبارات منها تراجع النشاط الرعوي وهجرانه من البدو لغلاء الاعلاف والجفاف ما يمثل معوقا في سبيل ترقية هذا التخصص الحرفي، وحتى من ناحية أخرى فإن أهم الزبائن هم البدو الرحل والرعاة لإقتنائهم المنتجات المتنوعة من أفرشة وألبسة التي تقيهم برد الشتاء مع تراجع طلبها من سكان الحضر، في حين نجد 29 % يرون أن الرعي ومستواه من حيث النشاط لا يؤثر على صناعتهم النسيجية لأنهم قادرون على اقتناء الصوف ولو غلت إن كان هناك إقبال على منتوجهم النسيجي.

• جدول يبين المنتوجات الأكثر مزاولة:

المنتوجات	التكرار	النسبة %
جلابة وبرنوس	25	73 %
زربية وحايك	05	14 %
منتوجات أخرى	04	11 %

جدول 6: المنتوجات الأكثر مزاولة

يتبين من خلال الجدول أن المنتج الذي يعرف إقبالا واسعا والذي يكثر عليه الطلب هو اللباس النسيجي المتمثل في الجلابة و البرنوس وهذا بنسبة 73%، وقد يرجع ذلك إلى تمسك أهل المنطقة بزيمهم التقليدي ولتقلده مكانة مرموقة في المنظومة الثقافية، و في السلم القيمي ، في حين نجد الزرابي والحاياك بنسبة أقل 14 %، ويرجع ذلك إلى التغير التقني والاجتماعي وخاصة في التأثير

والأفرشة العصرية والتي تعرض بأثمان منخفضة مقارنة بأسعار الزرابي و السجاجيد التقليدية الباهظة الثمن.

كما قد يوعز ذلك الى نسبة الموالين وسكان البادية الذين لازالوا يتشبثون بثقافتهم التقليدية التي يغلب عليها الطابع البدوي الذي يدعو إلى عدم التنصل عن تراث الأجداد وإلى الاعتزاز بكل مظاهر الحياة البدوية من لباس ومعتقدات وقيم. يتبين من خلال الجدول أن المنتج الذي يعرف إقبالا واسعا والذي يكثر عليه الطلب هو اللباس النسيجي المتمثل في الجلابة والبرنوس وهذا بنسبة 50%، وقد يرجع ذلك إلى تمسك أهل المنطقة بزيتهم التقليدي ولتقلده مكانة مرموقة في المنظومة الثقافية، وفي السلم القيمي، في حين نجد الزرابي والحياك بنسبة أقل 31,25 %، ويرجع ذلك إلى التغير التقني والاجتماعي وخاصة في التأثيث والأفرشة العصرية والتي تعرض بأثمان منخفضة مقارنة بأسعار الزرابي والسجاجيد التقليدية الباهظة الثمن. كما قد يوعز ذلك الى نسبة الموالين وسكان البادية الذين لازالوا يتشبثون بثقافتهم التقليدية التي يغلب عليها الطابع البدوي الذي يدعو إلى عدم التنصل عن تراث الأجداد وإلى الاعتزاز بكل مظاهر الحياة البدوية من لباس ومعتقدات وقيم.

ان محاولتنا ابراز اهمية الصناعات التقليدية الحرفية في هذا البحث نابع من ايماننا بضرورة ايلاءه الاهتمام اللازم لما تلعبه من أدوار تنموية و لما تمتاز به من دلالات رمزية ثقافية بالامكان ترويجها ضمن المعروضات السياحية وتسويقها في السوق المحلية لأنها لازالت لها مكانة و قيمة عند ساكنة المنطقة بحيث لا يخلو بيت محلي منها حتى و لو كان ذلك على سبيل الاستمسك بالموروث المادي المتميز في منطقة القصور التي امتزجت في نظمها الاقتصادية الحرف بالنشاطات الزراعية من

خلال فلاحه الأرض فالفصوري فلاح بالوراثة نظرا لما تلعبه الارض و الفلاحه من قيمة كبيرة لدي ساكنة القصور وفي مجتمع كهذا كان تراكم الدخل يتعلق بتراكم الملكية خصوصا الملكية الزراعية¹.

1-4-المؤهلات، المقومات الطبيعية والبشرية لولاية النعامة الموارد البشرية:

المؤشر	العدد (نسمة)	النسبة إلى مجموع سكان الولاية
عدد السكان الإجمالي	298.001	/
الساكنة الريفية	99.487	33 % من عدد السكان الولاية
البدو الرحل	19.309	06 %
الساكنة المتفرقة	32.300	11 %
الساكنة الناشطة	133.251	45 %
الساكنة الشاغلة	114.622	38 %
عدد البطالين	18.629	06 %
الساكنة الفلاحية الناشطة	36.219	12 %

جدول 7الموارد البشرية

المصدر: مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية. النعامة

على ضوء الإحصائيات المتحصل عليها والتي تبين التشكيل الديمغرافي والمرفولوجيا الاجتماعية للمنطقة للمجتمع المحلي الذي هو: "تجمع إنساني تقوم بين أعضائه روابط الاعتماد الوظيفي المتبادل ويشغل منطقة جغرافية محددة ويستمر خلال الزمن عن طريق ثقافية مشتركة تمكن الأفراد من تطوير أنساق محددة للاتصال والإجماع فيما بينهم كما تيسر لهم سبل التفاعل وتنظيم أوجه نشاطاتهم اليومية ككل

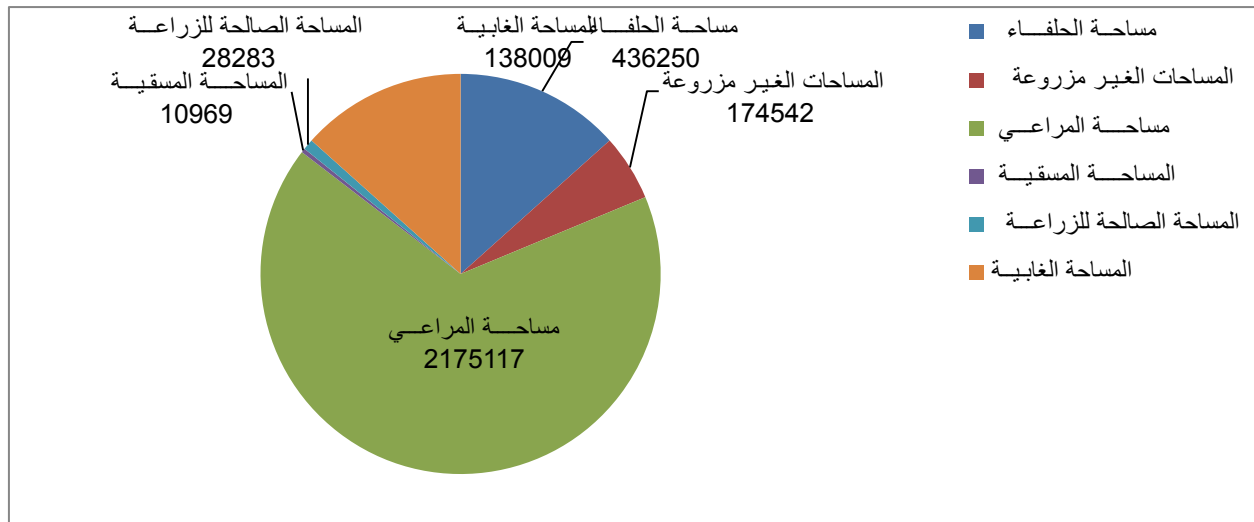
¹ - منظمة إيسيسكو ، التعليم في الدول الإسلامية و متطلبات التنمية الشاملة ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1998م ، ص28.

وحسب التصنيفات المبينة بالجدول و حسب طبيعة النشاط المعتمد و كذا نسبة البطالة نلاحظ ان 33% من ساكنة المنطقة هم من اهل الريف ما يثبت ان اي محاولة و مسعى للتنمية بالمنطقة لا يمكن ان يجدي نفعا الا اذا ركزت و اخذت في الحسبان هذا المعطى في تدبير الشأن المحلي.

الجانب الفلاحي:

مساحة الحلفاء	المساحات الغير المزروعة	المساحة المسقية	المساحة الصالحة للزراعة	المساحة الغابية	مساحة المراعي	المساحة الفلاحية الإجمالية S.A.T	المساحة الإجمالية للولاية
436250 هك	174542 هك	10969 هك	28283 هك	138009 هك	2175117 هك	2.203.460 هك	2.951.410 هك
%15	%6	4.%0	%0.1	%14	%73	%74	% 100

جدول 8 الجانب الفلاحي (المصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية النعامة)



شكل 1 توزيع المساحات

الموارد الحيوانية:

الأغنام	➤ 1.697.534 رأس منها 1.137.348 نعجة
الأبقار	➤ 32.784 رأس منها 16.906 بقرة حلوب.

الماعز	➤ 105.387 رأس منها 79.041 معزاة.
الجمال	➤ 1.844 رأس منها 1.254 ناقة.
الخيول	➤ 1428
تربية الدواجن	➤ 620.000 دجاجة.
عدد الحظائر لتربية الدواجن	➤ 96 حظيرة منها 04 بطاريات مخصصة لإنتاج البيض.
تربية النحل	➤ 4.315 خلية. اعتماد 27 منحلة.
عدد الفلاحين (المستثمرين)	➤ 6.457 فلاح
عدد الموالين	➤ 6.700 موال.

المصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية النعامة

يتبين من خلال الجدول اعلاه أن منطقة النعامة تزخر بثروة حيوانية معتبرة وهامة ما يجعلها منطقة ذات امكانات اقتصادية مؤهلة للمساهمة في خلق حركية اقتصادية كبرى لاسيما بالاستغلال الامثل لهذه الموارد وتسخيرها كمعطيات لخدمة التنمية المحلية و استقطاب اليد العاملة و فتح المصانع في اختصاص النسيج والجلود، اذ تستجيب الصناعة الخفيفة في اطار المؤسسة الناشئة للأهداف الإستراتيجية الرامية إلى إنشاء وتوزيع الدخل في المحيط الريفي.

فامتدح عدد كبير من الأشخاص والمتواجدين في الريف خاصة يساعد على تثبيت الفلاحين والحرفيين في القرى والبوادي وبالتالي إحداث نوع من التوازن في التوزيع الديمغرافي للسكان والاستغلال الأمثل للموارد البشرية والحفاظ على هذه الثروات الحيوانية والنشاطات المنتشرة في الأوساط الريفية والمهددة بالاندثار كالرعي وتربية الاغنام والمواشي. فقد عرفت منطقة العين الصفراء هجرة ريفية واسعة النطاق حيث هجرت قصورها ونزح سكان باديتها من الأرياف بسبب عدم تلائم الظروف المعيشية وتوافقها مع آمالهم وتطلعاتهم خاصة بعد موجات الجفاف التي أصابت أنشطتهم ما ترتب عنه من صعوبة في مواجهة

الغلاء الذي شهدته أسعار الأعلاف وأسعار الأصواف التي يتأثر كل منها بالآخر.

مما لا شك فيه أنّ البيئة بعناصرها المختلفة تتدخل في ثقافة المجتمع و تخدم طبيعة نشاطاته الاقتصادية المعاشية، والحيوانات بمختلف أنواعها استخدمها الإنسان في العديد من الأغراض الحياتية، فمنها ما هو للركوب ومنها ما هو للغذاء ومنها لأغراض حياتية أخرى، وقد رأينا سابقا أنّ منطقة الهضاب العليا تعيش تتوفر على ثروة حيوانية معتبرة منها ما هو أليف ومنها ما هو بري يعيش في جيوب الصّحراء، فالمجتمع باعين الصّفاء وبمرور الزمن استخدم هذه الحيوانات في حياته اليومية و في تجارته و تكسبه، فمنها ما دخل في عناصر الثقافة الصحية حيث استعمل بعضها في التداوي سواء من أعضائها أو كما هي، أو من منتجاتها، كما اختار مجموعة لأكل لحومها وشرب ألبانها مثل الابقار والماعز. ولقد دخلت بعض أجزائها مثل أوبارها وأصوافها وجلودها في صناعة الألبسة، مثل البرنوس والقشابية في الإفريشة، وصناعة الخيم وغير ذلك، إلى جانب استخدام جلود الماعز في تخزين وتلطيف الماء كاستعمال ما يدعى بالقربة وهي "مصنوعة من جلد ماعز مدبوغ ومطوية بالقار* مربوطة من كل الجهات ما عدا الفم الذي يربط بخيط وتعلق على ثلاثة أوتاد.

يسترزق البدوي من مجموعة من الحيوانات التي تعيش على الرعي الطبيعي في أكثر الأحوال ، و هي لبّ نشاطه الاقتصادي و الوحيد في أغلب الأحيان تحتل ولاية النعامة خلال سنة 2020 المرتبة الخامسة 5 ème Place في الترتيب الوطني من ناحية عدد المواشي بعد الولايات: الجلفة. البيض. تيارت. الأغواط . أمّا في صحراء عين الصّفاء و بواديهما تتوفر الآبار بقدر شبه كاف و

* القار هو سائل يدعى القطران عند أهل المنطقة، دوره يضيف رائحة زكية للماء، وكذلك يمنحه طعما مميزا، وحسب أحد المختصين في مقابلة معه حيث أوضح بأن القطران يطهر الماء، أي يعمل عمل ماء الجافيل. وللقار منافع عديدة مثل ما كان عند العرب قديما يستعملونه في علاج الجرب للجمال، حيث ورد للناطقة الذيباني في استعطافه للملك:

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب

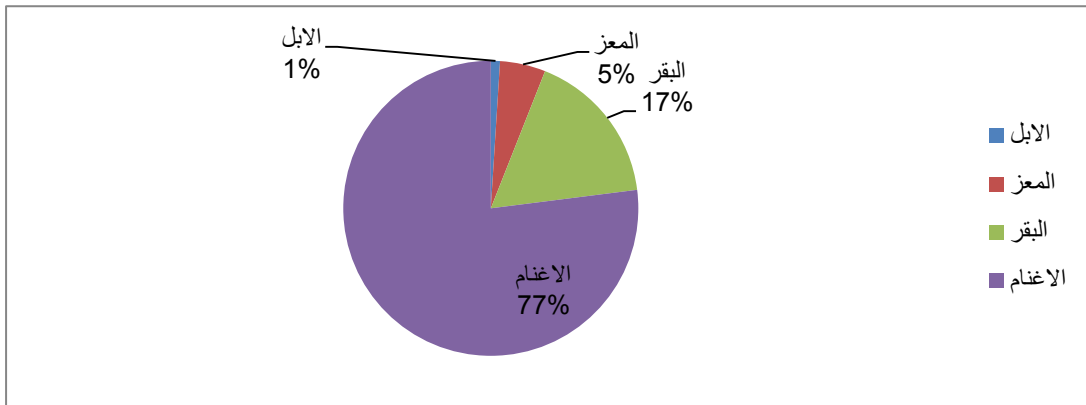
أي في غضبك عني أصبحت عند الناس كالناقة المصابة بالجرب ومطوية بالقار معزولة)، وهذا دليل على أن العرب في القديم كانوا يستخدمون هذه المادة في علاج الجرب (la gale)

مقارب . و بالتالي لا تحتاج لكثرة السرعة للوصول إليها ، و هذا النوع من الجمال العادية أضخم حجماً من " المهري " ، و بالتالي فهو أبطأ منه حركة ، و الجمل هو الحيوان الأكثر ملائمة في الصحراء لصبره الطويل على الماء و الأكل .

و لوجود الجمل في هذه الصحراء و خاصة في عين ورقة و سيدي ابراهيم ، الذي قد استعمله البدوي في الكثير من الأغراض و تعلقت به مجموعة من العادات الإجتماعية ، حيث يستخدم في نقل العروس من بيت أبيها إلى بيت الزوجية ، كما أن وجوده أثر في العادات الاجتماعية المتعلقة بالغذاء ، و في العديد من العادات اليومية .

الماعز يملك أهل العين الصفراء هذا النوع من الحيوان من أجل الحليب أولاً، واللحوم في الدرجة الثانية، وهو من آكلات الأعشاب وله قدرة قوية على تحمل الظروف الصعبة، ويأكل كل أنواع العشب، وله قدرة على تحمل الحرارة و البرودة، بل أنه يتحسن كثيراً في فصل الحر، ويستحب أكل لحمه في هذا الفصل

الغنم: و يملكها البدو أكثر من غيرها من الحيوانات الأخرى، و تحتل الصدارة في الوقت الحالي وتعتبر العمود الفقري للحياة عند رحل المنطقة، كما يستأنس البدوي بعض الحيوانات الأخرى، والتي تعيش معه لاستعمالها في أغراض مختلفة، هذا إلى جانب وجود حيوانات برية، مثل الغزال.



شكل 2 الثروة الحيوانية

الإنتاج (قنطار)	المنتج
	وج

	موسم الفلاحي 2020/2021
اللحوم الحمراء	208971 قنطار
اللحوم البيضاء	50،10610 قنطار
الحليب لتر	80073000 لتر
العسل ل	14،95 قنطار
الصوف ف	15.290 قنطار

جدول 9 الإنتاج الحيواني جوان 2021- احصائيات لمديرية المصالح الفلاحية 2021

لقد ساهم العمور و حميان من جملة عرب بني هلال في المجال الاقتصادي عند دخولهم إلى المغرب الإسلامي، و لم يكن دورهم سلبي فقط كما يروج بعض المؤرخين، بل كان دورهم ايجابيا فقد نقلو خبرتهم الطويلة إلى المغرب الأوسط في تنمية الثروة الحيوانية، و قد تأثرت قبائل الزناتية بخبرة القبائل العربية والهالية في هذا المضمار الطبيعي أن يرتبط سكان المنطقة بهذه الأنعام التي رسمت و حققت لهم الانتجاع الموسمي، و الخير الوفير و قد طبقوا على حيواناتهم ما ألفوا بمجتمعهم من العصبية الأبوية وأفادوا من القواعد البيولوجية في صون والاحتفاظ على سلامة أنسابها سلالاتها واعتنوا و اهتموا بتنميتها و زيادة عددها حتى أصبحت المنطقة غنية بثرواتها الحيوانية خاصة الأغنام حيث فرضت البيئة الجغرافية و المناخية على عدد القبائل المنطقة أن تقوم بتربية الأغنام بالدرجة الأولى لأنها عبارة عن المراعي طبيعية تتوفر على مختلف النباتات و الأعشاب و التي تعد على فن الأغنام و يذكر " فيلكس جاكو " أن قطع أهل الصحراء خاصة المنطقة موضوع الدراسة يتكون تقريبا من الأغنام و قبائل من الأبقار و عددا لا بأس من الماعز و الإبل.1..

من خلال الدائرة النسبية و النسب المتحصل عليها نلاحظ ان الاهتمام بتربية الانعام و المواشي لدى ساكنة المنطقة و البدو منهم بالأخص يعتمد على تربية الاغنام بنسبة جد معتبرة ن ظرا لانها من اختصاصاتهم التي توارثوها و هم حرصين على تنميتها و الحفاظ عليها كثروة حيوانية توفر متطلبات اللحوم في شتى ربوع الوطن

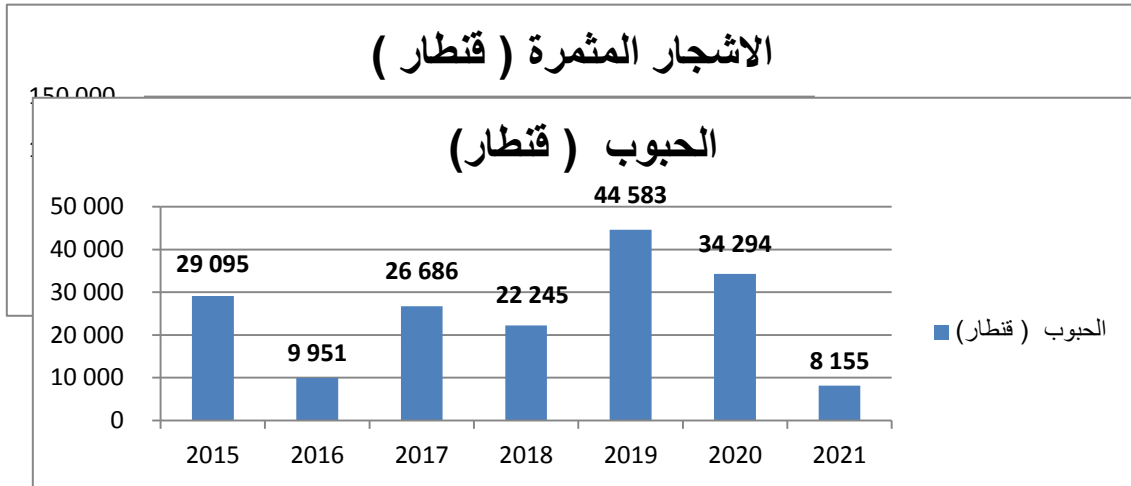
¹ عبد الحميد يونس - الهالية من التاريخ و الأدب الشعبي- القاهرة 1056 هـ - ص 88-89

الإنتاج النباتي جوان 2021	
موسم 2021/2020	
الإنتاج قنطار	المنتوج
8.155	1 الحبوب
450788	2 الأعلاف
276860	3 الخضروات
99764	البطاطس
45870	البصل
2925	الثوم
	4 الخضروات ذات الاستهلاك الواسع
6285	5 الزراعة الصناعية الطماطم الصناعية
	6 الأشجار المثمرة
21786	الأشجار ذات النواة و البذور Noyaux /Pépins
2414	التين
2634	العنب
103	الحمضيات
1.206	زيتون المائدة
12.330	زيتون الزيت
144.100	زيت الزيتون لتر
6.222	النخيل

جدول 10 : الإنتاج النباتي جوان 2021

يتطور مع تطور طرق الزراعة، وذلك الإنتاج كميات أكبر وأنواع أجود وهذا يتم عن طريق العناية والاهتمام وبذل الجهود الزراعية لتوفر جميع عوامل الإنتاج وخاصة تطبيق الأساليب الحديثة .

1-5- تطور إنتاج مختلف الشعب الفلاحية الإستراتيجية:

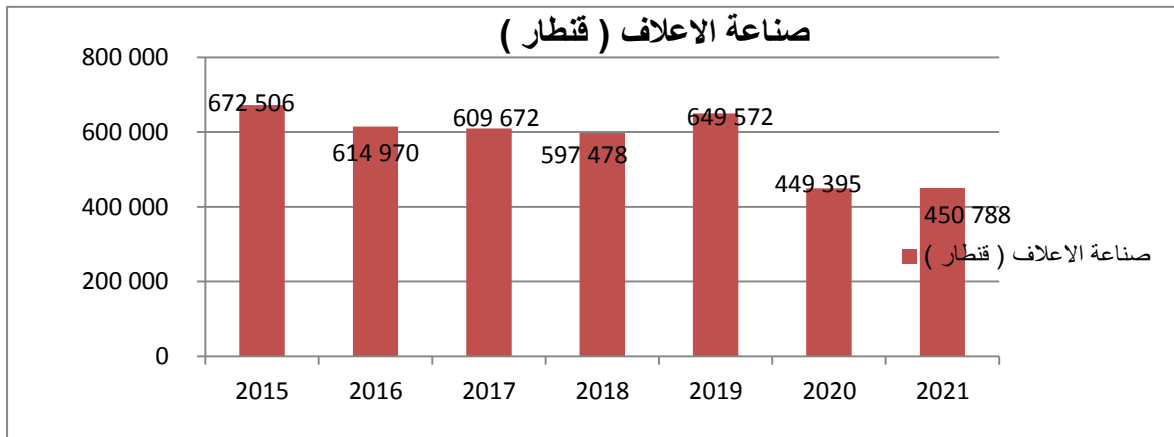


شكل 3 انتاج الحبوب

شكل 4 الاشجار المثمرة

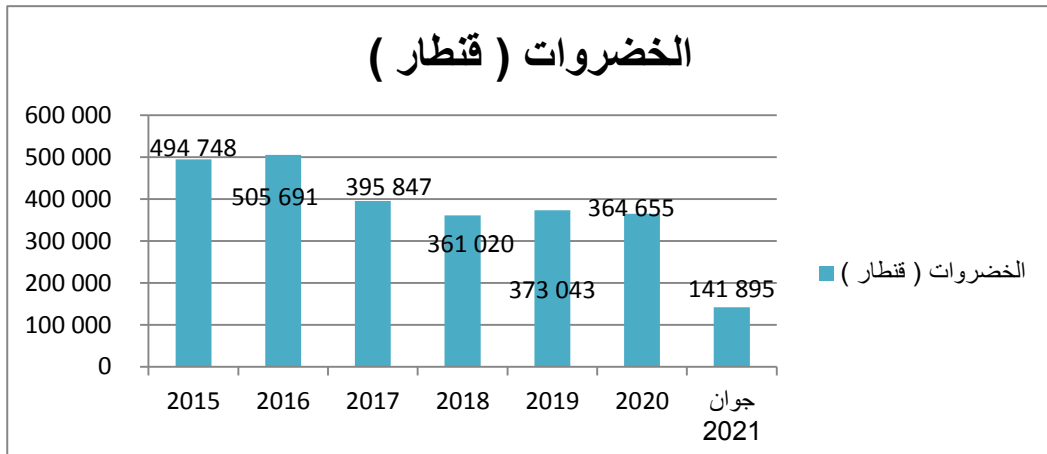
يعود و يعزى التذبذب في المخطط التتموي لإنتاج الحبوب إلي تذبذب في نسبة تساقط

الأمطار الخريفية و الشتوية عدم الانتظام في استعمال السقي و تصدع أنظمة السقي التقليدية كما أن زراعة الحبوب لم تكن من الشعب الرائجة و المنتهجة في المنطقة في زمن مضى إلا أنه تجدر الإشارة انه و في الاونة الاحيرة انتعشت شعبة القمح بعد الدعم الذي استفاد منه بعض الفلاحين و المستثمرين من خلال استفادتهم من الكهرباء و من اراضي شاسعة و قد كانت النتائج طيبة و معتبرة.

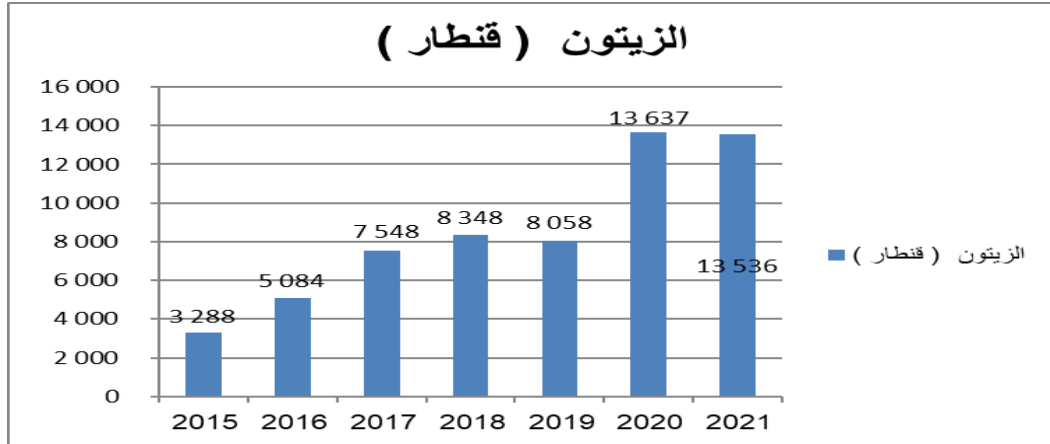


شكل 5: صناعة الاعلاف

تشهد المنطقة في السنوات الاخيرة تذبذبا وانخفاضا كبيرا في تساقط الامطار و الذي انعكس سلبا على إنتاج الأعلاف علما أن زراعة الاعلاف في اطار النمط الفلاحي المعمول به تعتمد اساسا على الامطار ونقص تساقط الأمطار الشتوية و الربيعية أثر سلبيا على زراعة الشعير و الخرطال المخصص لتغذية الماشية.



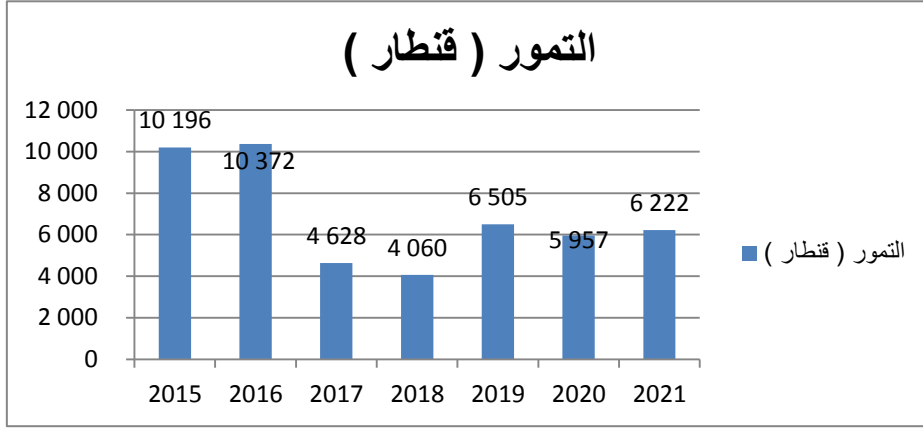
شكل 7: انتاج الخضرا



شكل 6: انتاج الزيتون

❖ نسبة المساحة التي تدخل في الإنتاج في تزايد مستمر.

❖ إنتاج الزيتون يرتبط بكمية الأمطار التي تتساقط خلال فصلي الشتاء و الربيع.



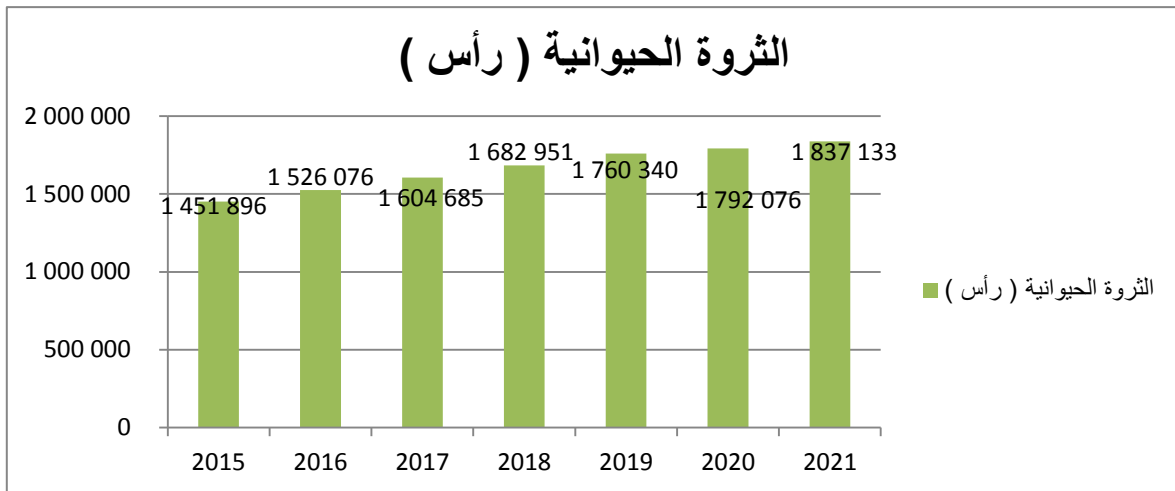
شكل 8: إنتاج التمور

إنتاج التمور يتناقص للأسباب التالية:

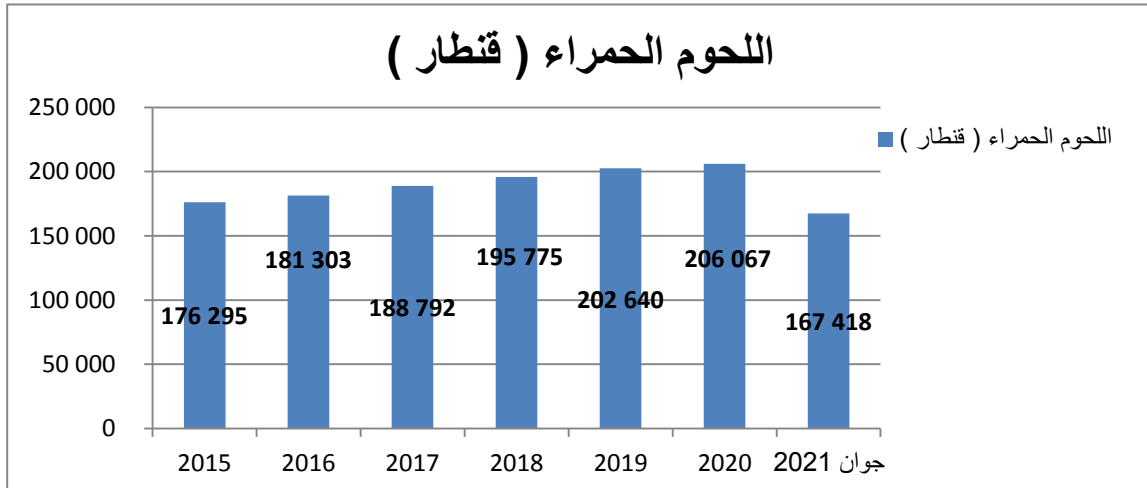
- ❖ تقدم سن الواحة.
- ❖ قلع أشجار النخيل المسنة.
- ❖ التخلي عن العناية بأشجار النخيل بسبب وجودها كميراث غير مقسم.

ب. الشعب الحيوانية:

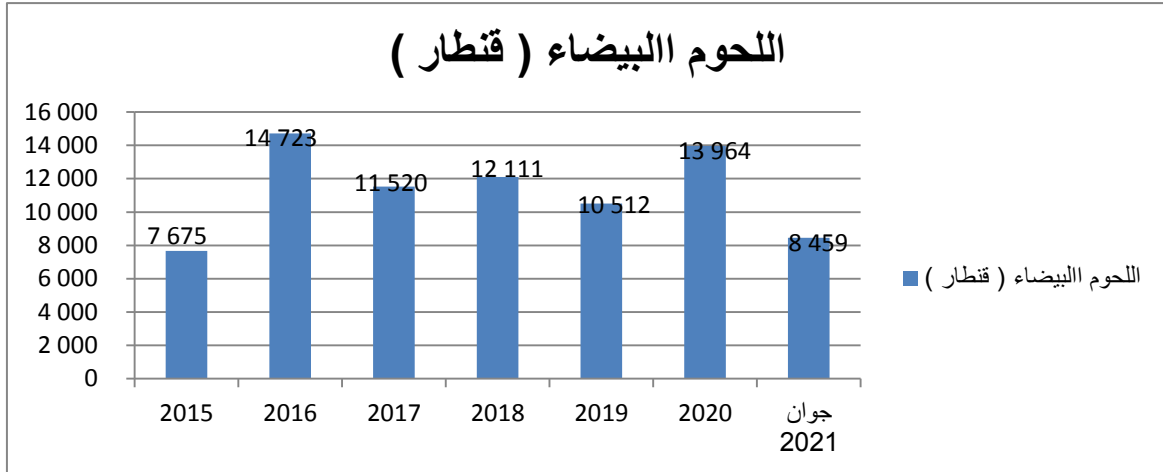
الثروة الحيوانية: عدد رؤوس الحيوانات



شكل 9: رؤوس الحيوانات



شكل 10: اللحوم الحمراء



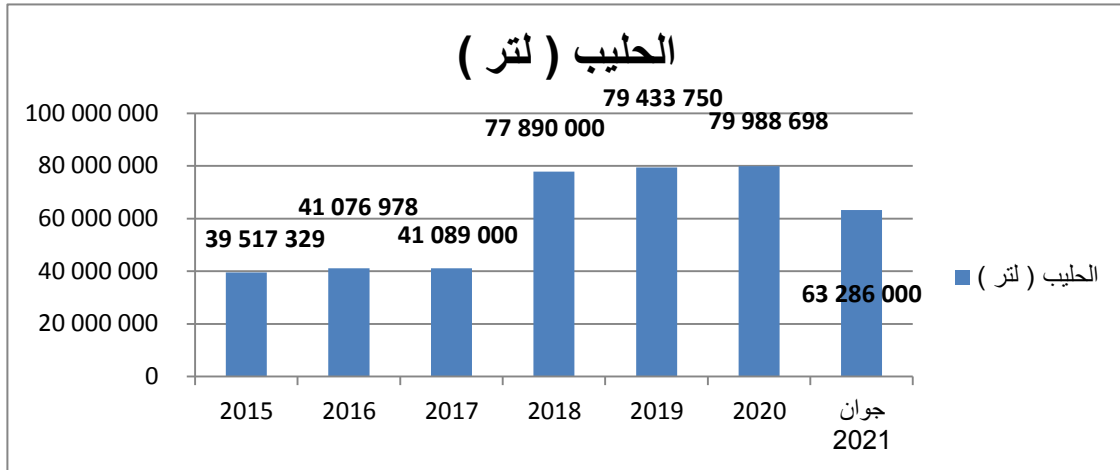
شكل 11: اللحوم البيضاء

إنتاج نسبة النمو للثروة الحيوانية تقدر ب 03 % ما بين سنتي 2020 و 2021.

✓ التغطية الغذائية في مادة لحوم الحمراء لسكان الولاية تقدر بـ 528 % من حاجيات السكان.

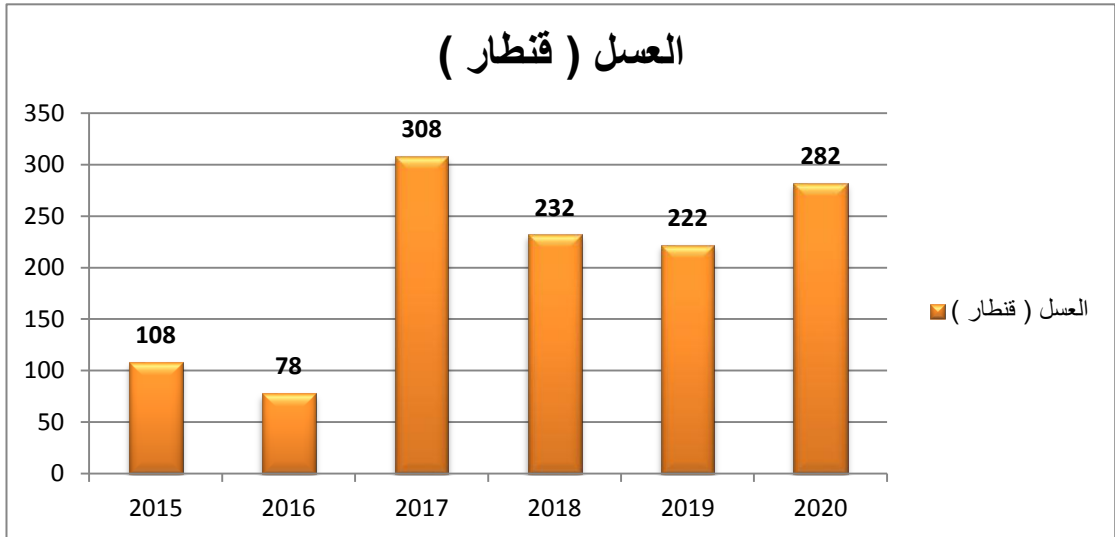
✓ علما أن حاجيات المواطن في مادة اللحوم الحمراء تقدر بـ 13.5 كلغ للفرد في السنة.

✓ الفائض من إنتاج اللحوم الحمراء تسوق خارج الولاية.



شكل 12: إنتاج الحليب

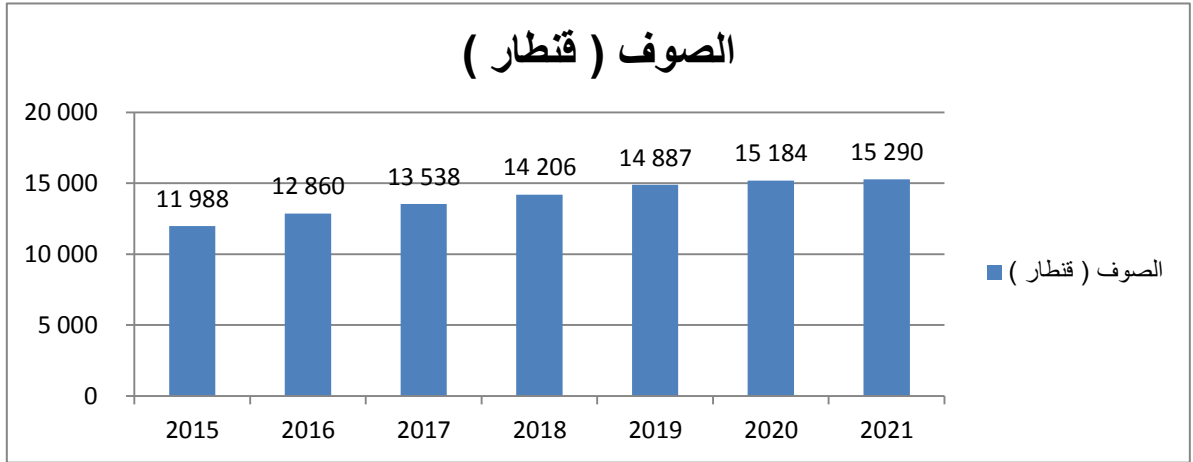
انتاج الحليب في تزايد مستمر بسبب دعم شعبة إنتاج الحليب و بسبب تزايد قطاعان الماشية و الابقار خاصة بعد ان استفاد بعض المستثمرين من برامج الدعم الفلاحي من طرف الدولة و لكن الملاحظ ان استغلال هذه المادة الحيوية يعتبر ناقصا و غير كاف لعدم وجود مصانع لصنع الحليب و مشتقاته باستثناء مصنعين اثنين و تقدر نسبة المساهمة في إنتاج مادة الحليب تقدر ب 02 % من الإنتاج الوطني.



شكل 13: إنتاج العسل

يوضح الشكل التزايد المعتبر في السنوات الاخيرة لإنتاج العسل و خاصة في بعض المناطق التي

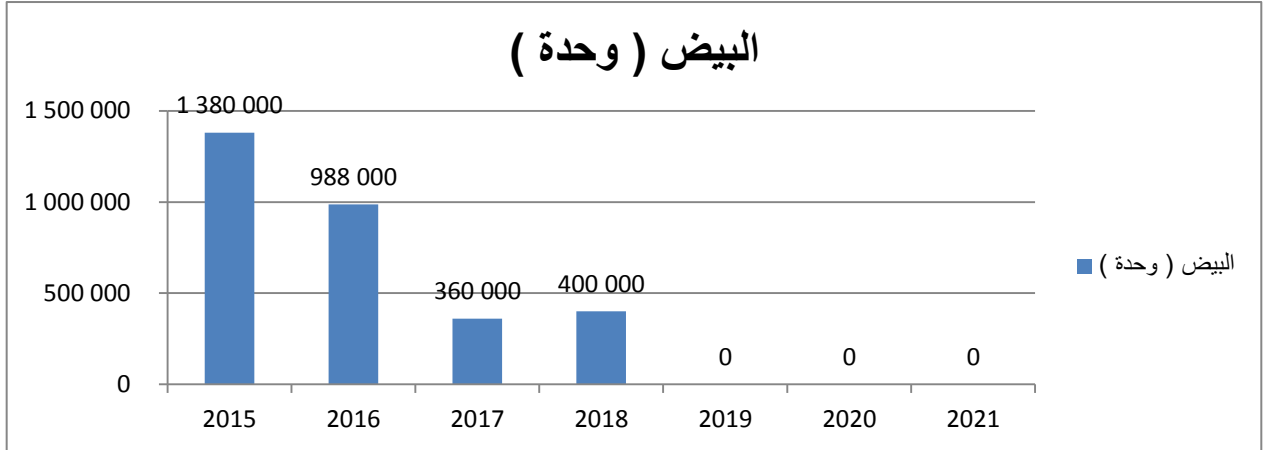
تعرف محليا بجودة عسلها الجبلي كمنطقة جنين بورزق التي تساعدها التضاريس و الجبال و الغطاء النباتي المتوفر عليه في هذه الكمية المسجلة فضلا عن الاهتمام بهذا الانتاج مؤخرا من ساكنة المنطقة و الذي يعتمد بشكل رئيسي على كثافة الغطاء النباتي الذي هو مرتبط بتساقط الأمطار.



شكل 14: انتاج الصوف

نقف من خلال الاعمدة البيانية المرفقة أعلاه أن أنتـاج الصوف يتطور بزيادة عدد الأغنام سنويا ما يضعنا أمام جدلية ارتفاع معدلات انتاج الصوف الذي يمتاز بجودة عالية و تقلص النشاط الحرفي خاصة في الصناعات النسيجية التي هجرت و تراجعت بشكل ملحوظ و كبير نتيجة لذهاب الحرفيين الى قطاعات اخرى كالتجارة و الزراعة نظرا لركود هذه السلع في الاسواق و تراجع استهلاكها و الذي وضحنا انه مرتبط بالقيم الثقافية و التغيير الاجتماعي الذي شهده المجتمع الصفراوي، فإن دخول المجتمع الجزائري ببعديه الحضري والريفي في موجة من التغيرات منها ما هو اقتصادي و منها ما هو ثقافي زاد وضعية قطاع الصناعات التقليدية صعوبة و تأزما و بالتالي لم يكن أمام هذه الأخيرة سوى اختيار احد الحلين، أما الاندثار و إما التفكير في إعادة نشأتها من جديد و إنقاذها من حالة الانهيار الذي تعيش فيه و من تم تحويلها إلى نشاط ديناميكي قادر على الإسهام و المشاركة بالقدر الوافر في بعث النشاط الاقتصادي الوطني فالصناعة التقليدية تعتبر نشاطا طبيعيا وضروريا لكل المؤسسات و مكمل للصناعة الحديثة بما

يضمن استغلال هذا المورد والذي يشكل ركوده بل و رمية في غالب الاحيان عائقا للموالين و مربي المواشي أو بالأحرى منتجي هذه المادة.



شكل 15: انتاج البيض

من خلال الشكل و النسب المتحصل عليها بالاعمدة البيانية يتبين ان انتاج هذه المادة رغم وجود 4 بطاريات لإنتاج البيض على مستوى الولاية يكاد يكون محتشما لعدم اقبال ساكنة المنطقة على هذا النشاط الذي قد يبرر في طبيعة المناخ السائد الذي لا يساعد على ممارسة هذا النشاط الذي يتطلب تكاليف مرتفعة لمختلف العتاد ما يؤكد على ضرورة تفعيل الممارسة المقاولانية بالمنطقة لتشجيع الشباب على توسعة نشاطهم و تحقيق طموحاتهم حيث تزداد اليوم أهمية المؤسسات الناشئة التي أضحت تشكل حجر الأساس في القطاع الخاص لمالها من فعالية في تحقيق مساعي التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاقتصاد الوطني، بحيث تسعى الجزائر في الأونة الأخيرة إلى تجسيد معالم التنمية المستدامة بالتركيز على هذا القطاع بهدف بناء نموذج تنموي جديد يعتمد على إقتصاد المعرفة ترقى به التنمية في الجزائر كعملية إقتصادية وإجتماعية وثقافية وسياسية كضرورة ملحة تمتد جذورها في مختلف جوانب الحياة لتنتقل بالمجتمع إلى مرحلة جديدة من نمو والعصرنة سعيا نحو الخروج من دائرة التخلف وسير في إتجاه النماء " و في عدا السياق تجدر بنا الإشارة الى مفهوم **le Petit Projet** " الذي يمثل العمل التجاري

الصغير، حيث يهدف معظم الباحثين لإيجاد مفهوم دقيق لذلك المشروع الصغير، إلا أن الإجابة عن هذا السؤال لا يمكن تحديدها إستناداً لمعيار واحد وإنما تستند لبعض الأسس والمعايير ويختلف تحديد المفهوم الصغير باختلاف المكان ومجال النشاط ما بين الدول المتقدمة والنامية، وكذلك من حيث طبيعة نشاطه إذا كان صناعي أو تجاري أو حرفي، ويمكن القول أن المشاريع الصغيرة تتضمن ثلاثة عناصر وهي:

- الموارد المادية: وتتمثل في الآلات والمعدات المواد الخام.

- الموارد البشرية: وتتمثل في المهارات الشخصية للعامل.

- الموارد الربحية: حيث يعتبر الهدف الأساسي من أي مشروع هو تحقيق الربح.

كما يعرف "محمد محروس إسماعيل" هي الصناعات الصغيرة المتوسطة بحيث تعرف بأنها مجموعة من المشروعات التي تقوم بالإنتاج على نطاق صغير، وتستخدم رؤوس أموال صغيرة وتوظف عدد محدود من الأيدي العاملة وتتبع أسلوب الإنتاج الحديث أي يغلب على نشاطها الآلية وتطبق مبدأ تقسيم العمل".

وتحديد الباحث لمفهوم المؤسسات المتوسطة والصغيرة مبني على أساس تبيان أهم المعايير المحددة الكمية والكيفية المحددة لهذا المفهوم.

ويعرفه "حسين عبد المطلب الأسرج" المشروع الصغير بأنه مصطلح واسع الانتشار، استخدامه مؤخرًا ويشمل هذا المصطلح الأنشطة التي تتراوح بين من يعمل لحسابه الخاص أو في منشأة صغيرة تستخدم عدد معين من العمال ولا يقتصر هذا المصطلح على منشآت القطاع الخاص وملاكها وأصحاب الأعمال والمستخدمين ولكنه يشمل كذلك التعاونيات ومجموعات الإنتاج الأسرية أو المنزلية، وتجمع الآراء على الأهمية المتعاطمة للمشروعات الصغيرة في الاقتصاد القومي سواء في البلاد المتقدمة أو النامية خاصة في

ظل الاحتياج المتزايد لتوليد فرص العمل المنتجة¹.

كذلك تعريف "منظمة العمل الدولية" المؤسسات الصغيرة والمتوسطة على أنها وحدات تنتج وتوزع سلع وخدمات وتتألف غالبا من منتجين مستقلين، ويعتمد المشروع الصغير على عنصر العمل من داخل العائلة وبعضهم يستأجر عمالا وحرفيين وعادة ما تكتسب دخولا غير منتظمة وتهيئ فرص عمل غير مستقرة ويضيف هذا التعريف بأنها قطاع غير رسمي بمعنى أنها منشأة ليست مسجلة لدى الأجهزة الحكومية أو الإحصائيات الرسمية للدولة².

ولتشجيع الشباب أصحاب المقاولات الناشئة على مواكبة، بؤادر القطاع الخاص بهدف تحقيق مسارات التنمية المحلية على الصعيد السوسيوإقتصادي، يستدعي منا الأمر إعادة هيكلة مقومات ومتطلبات التنمية المحلية من خلال الوقوف على إستراتيجيات التنمية المحلية بإتاحة الفرص لفئة الشباب التي لديها إقبال في تفعيل مشاريع جديدة ذات طابع خدماتي تضمن النمو والإستقرار في مستوى ونوعية الحياة لساكنة المناطق المحلية، وللإرتقاء بمستوى التجمعات والوحدات المحلية إقتصاديا وإجتماعيا وثقافيا من منظور تحسين مجالات التنمية المحلية في هذه المناطق، يجب الإعتماد المتزايد على المشاركة الشعبية المحلية المنظمة ولمبنية على الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية لدى مواطني المجتمع المحلي وذلك بممارستهم لهذه المسؤولية من خلال تخطيط وتنفيذ وتقييم برامج وأنشطة التنمية المحلية من أجل تبني نموذج حديث في التنمية يكتسي من المستوى المحلي والجهوي إطار له ويعتمد على إستغلال الموارد المحلية المتاحة والتي لم يتم الإستفادة منها وتوظيفها كإستراتيجية تنموية في ظل التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها

¹ بوالقرقور بوزيد، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع (دور المؤسسات المتوسطة والصغيرة في التنمية المحلية بسكيدة)، قسم علم الاجتماع، جامعة باجي مختار - عنابة، سنة الجامعية 2011-2012 ص 10-11.

² جيهان عبد السلام عباس، ورقة بحثية بعنوان (دور المشروعات الصغيرة في تحقيق التنمية الاقتصادية في مصر) مقدمة للمشاركة في المؤتمر العلمي الرابع لكلية التجارة بعنوان "تمويل وإدارة مشروعات ريادة الأعمال وأثرها على التنمية الإق" كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، 2020، ص 05-06.

الجزائر مابعد الإستقلال ومخلفات الإستعمار الذي ترك الدولة الجزائرية أمام وضعية محفوفة بالمخاطر، من خلال الإزدواجية الاقتصادية والتبعية الكاملة لقوى انتاجية خارجية في مختلف المجالات التنموية مما أدى إلى بروز إستحقاقات كبرى إقتصادية وإجتماعية تستدعي العمل في إنشاء قطيعة مع الممارسات السابقة في تدبير الشأن الاقتصادي التنموي بمحاولات إستئصال ذهنيات الربيع و الاعتماد الكلي على الوظائف الحكومية التي إنعكست سلبا على فضاءات إقليمية ومحلية تمتلك ثروات طبيعية و بشرية.

وباعتبار أن ولاية النعامة هي إحدى ولايات الجزائر التي تأثرت بالظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي مرت بها الجزائر خاصة في ظاهرة النزوح الريفي و التوجه نحو المدن الكبرى على عرار مدينة عين الصفراء و المشربية ، فإن المهتم بهذا المجال (التنمية المحلية) في هذه الولاية يلاحظ تواجد طاقات شبابية في العديد من بلدياتها ودوائرها لديها كفاءات فنية وتقنية في تسيير مشاريع فعالة كفيلة بتوفير الحاجيات الأساسية للسكان المحلية في مختلف المجالات التنموية التي تنشط فيها هذه المشاريع بصفة مؤسسات ناشئة، بحيث إعتدت إستراتيجية التنمية المحلية في هذه الولاية على هذه المؤسسات كخطط عمل تنموية بوضع برامج دعم وتاهيل من قبل حاضنات الأعمال بمرافقة هذه المشاريع الناشئة في تطبيقها وتوظيفها لنشاطاتها التنموية والخدماتية في مختلف مناطق الولاية بهدف الإستفادة من خدماتها وأنشطتها التنموية، بناء على دعم الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية المنتجة للثروات وتشجيع على إنتاج ثقافة مقاولات ناشئة التي تساهم في تحقيق معالم التنمية المحلية.

1-7- الهياكل الفلاحية:

عدد المستثمرات الفلاحية: 6457. بعد التطهير بمساحة اجمالية تقدر بـ: 33.754 هكتار .

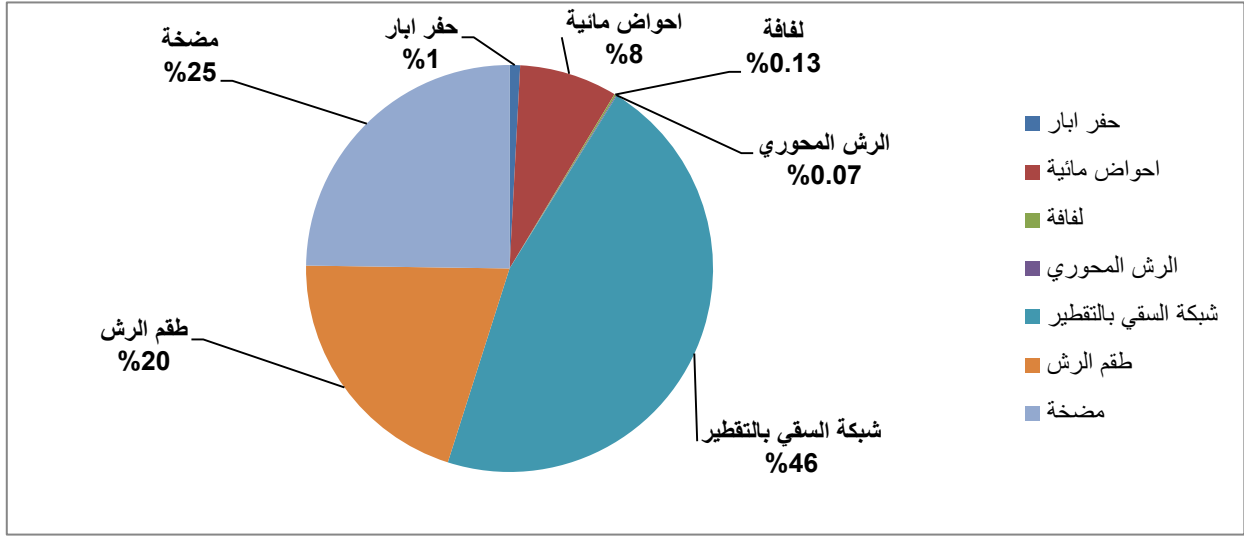
بطاقات الفلاحين والمربين المسجلين على مستوى الغرفة الفلاحية: 5218 بطاقة

عدد الجمعيات: 93.

عدد التعاونيات: 08.

عدد المجالس المهنية المشتركة: 12.

عدد المعاهد التكوين المهني: 01.



برنامج الصندوق الوطني للتنمية الريفية FNDR :

برنامج النهوض الاقتصادي RELANCE ECONOMIQUE مقرر رقم 466 بتاريخ

2018/05/10

انجاز مسالك رعيوة وفلاحية FNDR:

الكمية المسجلة: 75 كلم. موزعة على سبع بلديات

الكمية المنجزة: 72 كلم

باقي للإنجاز: 03 كلم

ملاحظة	مدى تقدم الإشغال	الكمية المسجلة	نوع العملية	المكان المسمى	البلدية
	منجز	5 كلم	مسلك + ممرات مائية	عين تيركونت	العين الصفراء
منطقة الظل	منجز	35، كلم	مسلك + ممرات مائية	صفرة الحيرش	
	منجز	7 كلم	مسلك رعوي	ثنية الصوان	تيوت
منطقة الظل	منجز	12 كلم	مسلك رعوي	لوريك	الصفيفية
	منجز	10 كلم	مسلك رعوي + ممرات مائية	حجرة طوال	عسلة
	منجز	5 كلم	مسلك رعوي + ممرات مائية	مول المكتوبة	جنين بورزق
	منجز	5 كلم		درمل - كريمة	
	منجز	10 كلم	مسلك رعوي + ممرات مائية	سبخة	النعامة
	منجز	5،7 كلم		حجرات الطوال	
	منجز	7 كلم	مسلك رعوي	حاسي الرزانة	عين بن خليل

برنامج الصندوق الوطني للتنمية الريفية FNDR:

في إطار التنمية الفلاحية، استفاد القطاع الفلاحي من عدة برامج مبنية في الجدول و التي تهدف جميعها الى تنمية النشاط الرعوي وتثبيت ساكنة البدو في مناطقهم مع الاهتمام بشؤونهم وتسوية انشغالاتهم خاصة بعد سنوات من الجفاف جعلت الوضع المعيشي لعذه الفئة مأزوم و متدهور و قد باشرت المصالح الولائية المعنية كل حسب اختصاصه العمل فور صدور المرسوم الرئاسي الذي يؤكد على الاعتماد بمناطق الظل .

فتح مسالك ترابية	20 كلم
------------------	--------

انجاز ابار عميقة.	300 مط
تجهيز الابار .	02 وحدة
مخبا للابار	02 وحدة
احواض مائية	02 وحدة
اشغال المحافظة على المياه و التربة	2000 م3

2- معوقات التنمية بمنطقة عين الصفراء:

النسبة المئوية%	التكرار	الإجابة
75%	55	ذكر
24%	18	أنثى

جدول 11: توزيع المبحوثين حسب الجنس

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن معظم المبحوثين ذكور وتقدر نسبتهم ب (75 %)، مقابل نسبة من الإناث تقدر (24.8%) وعليه يمكننا القول أن حصولنا على ممثلي عينة البحث من الجنسين يعد ذا دلالة تعكس مدى تعامل ساكنة المنطقة مع عمل المرأة قد وجاء ذلك بطريقة قصدية حتى تكون النتائج ممثلة للمجتمع الأصلي للبحث، هذا رغم كون الأغلبية للذكور وذلك لطبيعة المجتمع الجزائري الذي لا يزال مترددا في شأن المرأة ومشاركتها في مختلف الأنشطة التنموية و في خروجها لعالم الشغل لاعتبارات ثقافية و قيمة خاصة في المناطق ذات البيئة التقليدية كمنطقة عين الصفراء و هو ما قد يشكل عائقا في طريق التنمية خاصة و أن المرأة مورد بشري فعال ويلائم في منطقة تتوفر على امكانيات هامة تفتح افاقا معتبرة لمزاولة المهن النسوية الحرفية كالخياطة والمنسوجات والصناعات الغذائية في شعبة الحليب كصناعة الاجبان و مشتقات الحليب و غيرها .

النسبة المئوية%	التكرار	المستوى التعليمي
24%	18	لا يعرف القراءة و الكتابة
75%	55	يقرأ و يكتب

ابتدائي	12	16%
متوسط	23	31%
ثانوي	30	41%
جامعي	08	10%
المجموع	73	

جدول 12 : توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي

يوضح هذا الجدول أن أكبر نسبة من المبحوثين يعرفون القراءة والكتابة وتقدر ب(75 %) ، وتليها نسبة (41 %) ممن بلغوا مستوى الثانوي، ثم نسبة (31.5 %) من لديه مستوى متوسط، في حين سجلت نسبة (24%) من المبحوثين الذين لا يعرفون القراءة و الكتابة و أغلبهم من البدو الرحل الذين لم يعرفوا المدرسة نظرا لنمط حياتهم الذي لا يعير اهتماما للدراسة بقدر ما يركز حول توريث و اعادة انتاج حرفة الرعي و الاستقرار بالبادية مقابل نسبة (16 %) ممن لم يتعدوا المرحلة الابتدائية، مقابل نسبة 8% من الجامعيين و عليه نستنتج أن و رغم اجبارية التعليم التي فرضتها الدولة، و رغم سياسات توفير المرافق كالداخليات و بناء المؤسسات التربوية في القرى و المدن الصغيرة بالمنطقة في اطار الخدمات الجوارية تظل هناك فئة واسعة تتسرب مبكرا من المدارس قصد الالتحاق بالعمل نتيجة لعدم قدرة الاباء على سد حاجيات التمدرس من جهة و لعدم رغبة ساكنة الارياف بمواصلة الدراسة كخيار و توجه من جهة أخرى.

الاجابة	التكرار	%	السبب	التكرار الجزئي	%
موافق	10	13%	مساعدة الأسرة	08%	80%
			لاستقلاليتها وتأمين حاجتها الخاصة	02%	20%
موافق بدافع	08	10%	لتحقيق ذاتها وقيمتها	02%	25%
			لحاجة المجتمع لخدمتها	06%	75%

لاعتناءها بعمل البيت	75%	55	غير موافق
	100%	73	المجموع

جدول 13 : رأي المبحوثين في خروج المرأة إلى العمل

وبغرض التعمق أكثر في التعرف على مؤشرات التغير في بعض القيم الأسرية الموجهة للسلوك العام و المنطلقات المحددة للتنمية ، نحاول من خلال السؤال معرفة رأي أفراد العينة حول خروج المرأة إلى العمل، حيث أوضحت بيانات الدراسة الميدانية أن معظم أفراد العينة لا يوافقون على خروج المرأة للعمل ، وتقدر نسبتهم ب : 75% ، وقد برر هؤلاء عدم موافقتهم بدعوى ان القيم السائدة في المنطقة تحث على بقاء المرأة في بيتها ورعايتها لأسرتها فالعائلة أولى بخدمات المرأة ، أما نسبة من يوافقون على عمل المرأة دون شروط فقد بلغت نسبتهم 13% ، وذلك بغرض مساعدة الزوج ماديا ، ولتأمين حاجاتها الخاصة أما نسبة من أبدوا موافقتهم بدوافع فقد قدرت ب 10% لاعتقادهم أن العمل يساعد المرأة على تحقيق كيانها و بناء نفسها وتحقيق مكانتها في المجتمع.

النسبة %	التكرار الجزئي	السبب	النسبة %	التكرار	الاجابة
52%	38	عدم القدرة المالية	65%	48	لا
39%	29	عدم القدرة على استعمال والتحكم في الاليات المستحدثة			
19%	14	التمسك بنمط الانتاج التقليدي			

40	%54	عدم الاستفادة من الدعم الحكومي لشبهته الدينية			
			%34	25	نعم
			%100	73	المجموع

جدول 14: آراء المبحوثين فيما يخص اقتناء التكنولوجيات الحديثة في مزاوتهم لنشاطهم الفلاحي والحرفي

من خلال قراءة بيانات الجدول أعلاه، يتضح أن اغلب أفراد عينة الدراسة وبنسبة مقدرة بـ 65% يرون بأن مزاوله انشطتهم بالاعتماد على التقنيات الحديثة كأساليب الري و تربية الحيوانات و ادوات النشاط الحرفي التي يرون بعدم جدواها لعدة اعتبارات كما يعبرون من خلال اجاباتهم عن عدم ضرورتها ويفسر المبحوثون ذلك بدواعي قيمية كما هو مبين في الجدول واخرى تقنية مرتبطة بمحدوديتهم في التعامل مع التكنولوجيا، بينما عبر المبحوثون و بنسبة 34%الذين رأوا بضرورة اقتناءهم للتكنولوجيات الحديثة ، لمسايرة التطور الفلاحي والزراعي والحرفي لمضاعفة الانتاج و توفير الجهد و اذخار الطاقة و الوقت وتعني هذه المعطيات اتجاه هذه الشريحة في مجتمع البحث نحو الأخذ بأساليب التفكير الاقتصادي التي تتوافق مع توجهها نحو العصرية، حيث أن اقتناء واستعمال ويساعد على خلق تنمية محلية تستثمر هذه التقنيات في توسيع نطاق الشعب الفلاحية والانشطة الزراعية والحرفية في اطار ما يعرف بالمشروع الصغير LE PETIT PROJET. بحيث يمثل المشروع الصغير العمل التجاري الصغير، حيث يهدف معظم الباحثين لإيجاد مفهوم دقيق لذلك المشروع الصغير، إلا أن الإجابة عن هذا السؤال لا يمكن تحديدها إستنادا لمعيار واحد وإنما تستند لبعض الأسس والمعايير ويختلف تحديد المفهوم الصغير باختلاف المكان ومجال النشاط مابين الدول المتقدمة والنامية، وكذلك من حيث طبيعة نشاطه إذا كان صناعي أو تجاري أو حرفي، ويمكن القول أن المشاريع الصغيرة تتضمن ثلاثة عناصر وهي:

- الموارد المادية: وتتمثل في الآلات والمعدات المواد الخام.

- الموارد البشرية: وتتمثل في المهارات الشخصية للعامل.

- الموارد الربحية: حيث يعتبر الهدف الأساسي من أي مشروع هو تحقيق الربح.

كما يعرف "محمد محروس إسماعيل" هي الصناعات الصغيرة المتوسطة بحيث تعرف بأنها مجموعة من المشروعات التي تقوم بالإنتاج على نطاق صغير، وتستخدم رؤوس أموال صغيرة وتوظف عدد محدود من الأيدي العاملة وتتبع أسلوب الإنتاج الحديث أي يغلب على نشاطها الآلية وتطبق مبدأ تقسيم

العمل".

وتحديد الباحث لمفهوم المؤسسات المتوسطة والصغيرة مبني على أساس تبيان أهم المعايير المحددة الكمية والكيفية المحددة لهذا المفهوم.

ويعرفه "حسين عبد المطلب الأسرج" المشروع الصغير بأنه مصطلح واسع الانتشار، استخدامه مؤخرًا ويشمل هذا المصطلح الأنشطة التي تتراوح بين من يعمل لحسابه الخاص أو في منشأة صغيرة تستخدم عدد معين من العمال ولا يقتصر هذا المصطلح على منشآت القطاع الخاص وملاكها وأصحاب الأعمال والمستخدمين ولكنه يشمل كذلك التعاونيات ومجموعات الإنتاج الأسرية أو المنزلية، وتجمع الآراء على الأهمية المتعاطمة للمشروعات الصغيرة في الاقتصاد القومي سواء في البلاد المتقدمة أو النامية خاصة في ظل الاحتياج المتزايد لتوليد فرص العمل المنتجة¹.

كذلك تعريف "منظمة العمل الدولية" المؤسسات الصغيرة والمتوسطة على أنها وحدات تنتج وتوزع سلع وخدمات وتتألف غالبًا من منتجين مستقلين، ويعتمد المشروع الصغير على عنصر العمل من داخل العائلة وبعضهم يستأجر عمالًا وحرفيين وعادة ما تكتسب دخولا غير منتظمة وتهيئ فرص عمل غير مستقرة ويضيف هذا التعريف بأنها قطاع غير رسمي بمعنى أنها منشأة ليست مسجلة لدى الأجهزة الحكومية أو الإحصائيات الرسمية للدولة².

¹ بوالقرقور بوزيد، بوالقرقور بوزيد، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع (دور المؤسسات المتوسطة والصغيرة في التنمية المحلية بسكيكدة)، قسم علم الاجتماع، جامعة باجي مختار - عنابة، سنة الجامعية 2011-2012 ص 10-11.

² جيهان عبد السلام عباس، ورقة بحثية بعنوان (دور المشروعات الصغيرة في تحقيق التنمية الاقتصادية في مصر) مقدمة للمشاركة في المؤتمر العلمي الرابع لكلية التجارة بعنوان "تمويل وإدارة مشروعات ريادة الأعمال وأثرها على التنمية الإق" كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، 2020، ص 05-06.

النسبة %	التكرار	الدخل
31 %	32	جيد
27 %	20	لا بأس به
43 %	23	متدهور
100 %	73	المجموع

جدول 15 : واقع داخل الحرفيين و البدو الرحل و المزارعين من الناحية المادية

من خلال هذا الجدول نجد أن أكبر نسبة وهي تمثل 43 % من اجوبة المبحوثين ، حيث تشير النسب بأن الدخل متدهور وذلك راجع لعدة عوامل فبالنسبة للحرفيين فانهم يفسرون ذلك بأن إقبال سكان المنطقة على منتوجاتهم ليس مستمر ودائم بقدر ما يكون في فترات محددة ما يجعل سلعتهم راكدة في غالب فصول السنة ما عدى فصل الشتاء وهذا راجع لطبيعة سلعتهم المعروضة التي تقوم عليها صناعاتهم النسيجية خاصة الجلابيب و الزرابي والمنتجات الصوفية، و قد عبر الموالون ساكنة البدو من تفاقم مشاكلهم و تدهور احوالهم بسبب الجفاف و تراجع اعداد قطعانهم في حين عبر اخرون عن ارتياحهم عن مردود انشطتهم بنسبة 31% من مجتمع البحث و قد نفسر ذلك باشتغالهم على مهن ذات عوائد و دخل معتبر على غرار نشاط تربية الدواجن و زراعة الخضر و الفواكه.

النسبة %	التكرار	الاجابة
79 %	58	نعم
18,75 %	15	لا
100 %	73	المجموع

جدول 16 : انعكاس هجران القصور والنزوح الريفي على التنمية المحلية

نلاحظ أن هجران القصور والنزوح الريفي حسب ما هو مبين في الجدول الذي شهدته المنطقة على غرار باقي مناطق الوطن نتيجة لعدة عوامل اجتماعية وسياسية ودمغرافية أدى بشكل مباشر على

مردود ونشاط جملة من الانشطة الاقتصادية بالمنطقة كالرعي وتنمية هذا النشاط الفلاحي الذي انكمش و تراجع منسوبه بسبب هذا النزوح الذي جعل من المهنة التي زاولها البدو ابا عن جد مهددة بالاندثار بعد عزوف الجيل الجديد عنها و اتجاهه نحو المدن للبحث عن افاق اخرى رغم ما تلعبه هذه الانشطة من ووظائف اقتصادية وثقافية، فنجد نسبة 81,25 % وهذا ما هو مبين كذلك في الجدول رقم 03 حيث نجد أن جل وأغلب الحرفيين هم من قصور المنطقة، ونلاحظ أن نسبة 18,75 % من المستجوبين ترى خلاف ذلك بأن أفول وتقهقر الحرف مرده إلى تغيير القيم ونمط الحياة و التوجه العام لسياسات الدولة واستراتيجياتها.

المجموع		العبارة		نعم	لا
		التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
73		57	78%	26	22%
هل ضعف العلاقات المشتركة بين أفراد المجتمع المحلي يكبح و يعيق سيرورة التنمية					

جدول 17: ضعف العلاقات المشتركة بين افراد المجتمع المحلي

من خلال الجدول أعلاه يتبين أن 78% أجابوا بنعم في تصورهم لأهمية التقارب في النسيج الاجتماعي وأثره في شخذ الهمم والالتفاف حول المشاريع ذات المنفعة العامة التي من شأنها تحقيق التنمية الاجتماعية بينما نجد نسبة 22% أجابوا لا ما يفسر النسبة الغالبة أن ضعف العلاقات وقلة التفاعل بين أفراد المجتمع يؤثر سلبا على سيرورة التنمية ذلك لان التنمية مسؤولية الجميع ويتطلب نجاحها الوحدة والانسجام والتعاون و نبذ كل شكل من اشكال التمييز والنزاع سواء تحت مسميات القبلية أو غيرها من العوامل المقوضة لها والتي تظهر من خلال الاستحقاقات الانتخابية أو في أشكال التنظيم المهني والنشاط الجمعي و التمثيل النيابي.

الاجابة	التكرار	المسبة المئوية	السبب	التكرار الجزئي	النسبة %
---------	---------	----------------	-------	----------------	----------

			20%	15	نعم
56%	28	أعضائها يهتمون بمصالحهم و لا يخدمون الصالح العام	79%	58	لا
34%	20	هيمنة الإدارة وعدم تعاونها مع الساكنة			
17%	10	محدودية صلاحيات لجان الأحياء و ضعف آدائهم			
100%		المجموع	100%	73	المجموع

دور لجنة الحي في معالجة المشكلات وترقية الأحياء و متابعة المشاريع التنموية 18 جدول المرفقية.

من خلال هذا الجدول الذي تقصد من خلاله استكشاف و قياس فعالية سكان الاحياء في المشاركة التي تقتضيها مسؤوليتهم كمجتمع مدني يقع على عاتقه الاهتمام بتنمية المدينة و السهر على متابعة المشاريع المرفقية التي تخدم التنمية ككل ، حيث نقف عند حقيقة معبر عنها و التي تتبناها فئة كبيرة من مجتمع البحث فمعظم المبحوثين يؤكدون على عدم مساهمة لجان الأحياء في حل المشكلات سواء كانت اجتماعية أو بيئية أو تنموية تخص السير الحسن للمرفق العام وترقية الأحياء، وتقدر نسبتهم ب 79% مقابل نسبة 20 % ممن أكدوا عكس ذلك و أبدوا قناعتهم في جدوى عمل اللجان، و قد نفسر ما جاءت به الارقام الى فقدان عامل الثقة بين الجمعيات ذات الطابع المدني و المواطنين. وما يمكن استنتاجه من هذه المعطيات هو أن رغم تأكيد المبحوثين على عدمية فعالية لجان الحي في حل المشكلات، وترقية الحي، ممن أكدوا على أ خروج هذه اللجان عن نطاق المهام الموكلة لها وتحولها إلى جمعيات مصلحة، وإلى عصب محلية تعمل على تحقيق مصالح مشبوهة ما يجعلها تنحرف عن مقاصدها في احلال تنمية وفق آلية الديمقراطية التشاركية.

الإجابة	العدد	النسبة %
تعيق و بشكل كبير	45	61%
لا اعتقد ذلك	13	17%
المجموع	73	100

جدول 19: رأي المبحوثين حول مسالة عدم الرغبة في التجديد ومدى إعاقتها للتنمية

يبين الجدول رأي المبحوثين الذين أجابوا بالأغلبية على أن مقاومة التغيير وعدم الرغبة في الانخراط في اتجاهات التنمية الحالية والتي تحاول الدولة توطينها في مختلف مناطق الوطن عبر فتح افاق للشغل والاستثمار استقطاب الشباب و جذبهم للمقاولاتية و تمويل ومرافقة مشاريعهم فقد عبروا بنسبة 61% قد أكدوا ان تمسك سكان المنطقة بطريقة تفكيرهم تعيق التنمية ضاربين مثلا بالنزاعات التي لازالت قائمة حول الاراضي العرشية والاراضي الرعوية التي يستمسك بها البعض ويرفض أن تقام عليها مشاريع

تنموية، وهم بذلك يؤكدون مسالة إعاقة المنطلقات الفكرية للتنمية. أما 17 % من الأشخاص فقد ذهبوا الى التأكيد انه لا علاقة للأفكار والمنطلقات السائدة بالتنمية حيث فسروا تعطلها بسبب القرارات العشوائية للحكام وفسلهم في تدبير الشأن المحلي وأكدوا أن نمط التفكير لا يعتبر حاسما ولا يؤثر في إعاقة مشاريع التنمية بالمنطقة .

النسبة	العدد	السبب	الإجابات
24%	18	تمسكا بالأرض وارث الأجداد و دخل	نعم
21%	16	هواية و اختيار	نعم
13%	10	تلائمها مع وسطهم الريفي	نعم
39%	29	اهتمامات اخرى	لا
100	73		المجموع

جدول 20 : آراء أفراد العينة حول رغبتهم في مزاولة النشاط الفلاحي و الزراعي

نجد ان أكبر نسبة مقدره ب 39 % من العينة عبرت عن رفضها لمزاولة هذا النشاط الذي لا يتماشى مع رغبتهم حسبما ابدوا، ثم تأتي نسبة 24% ممن اكدوا على ان تعلقهم بزراعة الارض و تربية الانعام نشاط لايمكنهم التفريط به لقيمته المادية اذ أنها تمثل جانبا هاما من دخلهم و مصدر قوتهم كذلك كونها تعبر عن قيمة رمزية بوصفها ارثا اجتماعيا، في حين نجد 21% من المبحوثين الذين يعتبرون نشاط الزراعة وتربية الحيوانات نشاطا ثانويا و يمثل هواية مفضلة، أما أقلية من افراد العينة بنسبة 13% ممن قالوا انها نشاطات تلائمهم نظرا لاستقرارهم بمناطق ريفية لا تصلح الا لهكذا برامج.

جدول رقم 21 : يوضح مسؤولية التنمية في تمثلات ساكنة المنطقة :

الإجابات	العدد	النسبة%
----------	-------	---------

على عاتق السكان	9	12.32
مساعي الأفراد	6	8.21
المنتخبين و السلطات	28	38.35
القطاعات الحكومية	30	41.09
المجموع	73	100

في رأي المبحوثين و بنسبة 38 % فان المسؤول الاول عن تحقيق التنمية هم المنتخبين و السلطات المعنية من ولاية ومدراء تنفيذيون، باعتبارهم لهم سلطة اتخاذ القرار و لهم من الامكانيات المادية و القانونية ما يؤهلهم لمباشرة العمل التنموي و هم يحملون النصيب الاوفر من المسؤولية للمنتخبين المحليين الذين فوضهم الناخبين لتمثيلهم و تبليغ انشغالاتهم، بينما نجد ان 12.32 % من المبحوثين يحملون المسؤولية ساكنة المنطقة فوفق تصورهم فان الافراد من اصحاب الاموال و الاعمال و الاطارات و المتقنين هم من يفترض بهم الدفع بالحركية اللازمة لتجسيد تنمية طال أمد تحقيقها خاصة بعد تبخر حلم الولاية في عدو مناسبات و منذ 1984 ، كما ارجع 8% ذلك إلي جهود الجميع فلا تنمية ترجى في ظل عزوف أهل المنطقة من رفع لواءها و السعي بكل الوسائل المشروعة الى احلالها كل من موقعه و دوره و امكاناته، فيما يعزي 38% من المبحوثين مسؤولية التنمية الي تكامل و تعاون و تنسيق كل الفاعلين و يخصون بالذكر هاهنا المنتخبين من ممثلي الشعب عبر تضافر الجهود لبلوغ الاهداف و تحقيق متطلبات الحياة المنشودة اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ،أما ما نسبته 41% من المستجوبين فقد أكدوا على أن المسؤولية كاملة تقع على الدولة و اجهزتها التي يجب ان تتحمل مسؤولياتها كاملة و تقوم باللازم من مساواة بين الجهات و الحرص على رفع الغبن و العولة عن مناطق الظل و الاوساط الريفية التي تعيش

ظروفا قاسية .

3- تحليل ومناقشة النتائج على ضوء فروض البحث:

من خلال ما وردا في هذا الفصل، لاحظنا أهمية الجانب التطبيقي والإقتراب الميداني في الكشف عن أبعاد الدراسة ونقلها من الجانب النظري إلى الجانب الإجرائي على نحو يؤكد صدق أو نفي فرضيات الدراسة. وقد حاولنا من خلال هذا الفصل الذي واجهتنا فيه صعوبات جمة و لعل أبرزها مشقة الوصول الى بعض المناطق الريفية واجراء مقابلات مع أفراد العينة التي كانت طبقية و غير متجانسة أن نقرب من ميدان الدراسة ونجري مجموعة من المقابلات بهدف الحصول على معطيات وجمعها وتحليلها بطريقة كيفية بما يوافق ويناسب طبيعة موضوع دراستنا، وذلك بالإعتماد على المنهج الوصفي، حيث طبقت هذه الإجراءات المنهجية والبحثية في هذا الفصل على مجموعة من أفراد العينة الممثلة لمجتمع الدراسة والذي شملت 73 مفردة تتنوع طبقيا من فئات متباينة بإقليم مدينة عين الصفراء. إذ تم التوصل إلى جملة من النتائج عن طريق تحليل أسئلة المقابلة تحليلا نوعيا بناءا على محاورها وربطها بفرضيات الدراسة، حيث كشفت نتائج الدراسة أنه توجد إستراتيجيات تنموية إتبعتها المؤسسات الناشئة في تسيير وتوفير خدماتها أو منتجاتها التي تقدمها لساكنة المنطقة، مما يضمن تحقيق مساعي التنمية المحلية بولاية النعامة ككل،

من خلال النتائج المتحصل عليها والتي تثبت صحة الفروض التي طرحناها في بحثنا الموسوم بمقومات ومعوقات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة عين الصفراء، إذ يحاول البحث الكشف عن الاسباب الفعلية التي اعترضت مسار التنمية في منطقة تتوفر على جميع مقتضياتها وخاصة في جانبها البيئي والثقافي فثمة علاقة بين الإنسان والبيئة، بل انه إذا كان الإنسان يؤثر في البيئة المحيطة فإنها تؤثر فيه وتضفي عليه طابعها و ترسم محدداته السلوكية و القيمية، وتحدث البيئة أثرا كبيرا في تطور الحياة

الاجتماعية ونظمها، فالناس في كل مكان عليهم أن ينظموا أنماط حياتهم ووفقا لظروف الطقس و تقلباته و أن يسايروا ويواكبوا العصر بجميع مستلزماتها فما كان صالحا في زمن مضى ليس ضروريا ان يمون صالحا لهذا الزمن، كما أن البيئة الفيزيكية هي التي تحدد أشكال النشاط الذي ينخرط فيه الناس، زراعة، أم رعيًا أم تجارة، أم حرفا ولقد اتضح ذلك بجلاء في الحضارات القديمة فقد ظهرت ثقافات الجمع والالتقاط في المناطق الخصبة، كما ظهر الرعي في المناطق الصحراوية القاحلة، و في ضوء ذلك يفترض أن تترك البيئة الفيزيكية تأثيرا بالغا على مستوى التغير الاجتماعي وطبيعته في أي مجتمع فالمجتمع في عين الصفراء سواء في المدينة التي تعتبر مركزا لقصور و بوادي المنطقة .

ويظهر الفرق بوضوح حين ننقل إلى شكل آخر من التغيرات البيئية، وأن معظمنا قد رأى مدنا كانت تقوم على قطع و صناعة الأخشاب وقد اصبحت مهجورة، أو معسكرات تعدين و قد أصبحت خاوية، أو مناطق زراعية و أخرى رعوية و قد تركها معظم سكانها. فالتغير في نظم الحياة العامة يفضي الى تغيير وسائل وانماط الانتاج الذي بدوره يقتضي تجديدا في المهارات والادوات والتمثلات أيضا فمن ضمن المعوقات التي سجلناها في بحثنا هي عدم قدرة الافراد في المجتمع المحلي على التكيف مع البرامج التنموية الجديدة الامر الذي طرحناه في الفرضية على النحو الاتي:

تشكل النظم في جوانبها أحد الاركان الاساسية لثقافة المجتمع كما تشكل القيم منطلقات ودوافع تحدد اتجاهات التنمية والتي قد تأخذ منحى واتجاه مضطرب ومعيق لها باعتبارها ترتبط عضويا باستجابة الافراد داخل منطقة عين الصفراء لبرامج التنمية فرغم المقومات السامحة لتجسيد تنمية اجتماعية واقتصادية قد نصطدم ببنية ثقافية ونظم قيمة مانعة لهذا المسار والمسعى.

والتي دعمناها بفرضيتين جزئيتين محاولين الوصول الى تفسير والى نتائج تعيننا في فهم الخلل الموجود

الذي يجعل من احلال التنمية الاجتماعية والاقتصادية مضطربة فطرحنا فرضين كالتالي:

لازالت تتوفر منطقة عين الصفراء على عوامل طبيعية وبشرية تؤهلها لإحداث تنمية شاملة.

يرجع تدني مستويات التنمية الاجتماعية والاقتصادية بمنطقة عين الصفراء الى جملة من العوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية و البيئية.

ما خلصت اليه الدراسة من خلال الأرقام يوحي أن هناك عدة اسباب ساهمت في تعطل التنمية نذكر منها:

- رغم التقدم والتحول الاجتماعي الحاصل الذي تشهده الجزائر ككل يبقى طموح إحداث تنمية وطنية يتأرجح بين عراقيل إدارية كعدم ترقية عين الصفراء الى ولاية رغم تاريخها العريق و امكانياتها المعتبرة الامر الذي خلف استياء وسخطا شعبيا بالمنطقة لعدم انصافهم حسب قولهم وعراقيل اجتماعية وثقافية فسلطة العرف والتقاليد تفوقت في كثير من الاحيان على سلطة القانون ما يجعل المشروع مستعصيا.
- عدم التوازن بين الأقاليم في تراب الجمهورية أدى الى ظهور مشكلات بنيوية ووظيفية انعكست سلبا على المشاركة الاجتماعية في تشكيل مجالس منتخبة جديرة ببعث التنمية وتطوير هذه المنطقة التي ظلت تراوح مكانها بل واتضحت تشهد نكوصا مقارنة مع حقبة ماضية.
- تفاقم معدلات الجريمة العابرة للحدود مؤخرا حيث اصبحت المصالح الامنية تحبط يوميا عشرات المحاولات للشبكات الاجرامية في الاتجار بالمخدرات التي أصبحت عين الصفراء و حدودها الترابية مسرحا لها في الآونة الاخيرة .
- تورط شباب المنطقة في هذه الجرائم وتسجيل عقوبات تصل الى 20 سنة الامر الذي انعكس سلبا على وضعية التنمية حيث اصبح الشباب و بأرقام مهولة يتجه صوب هذا النشاط الذي له عائدات تستهوي شباب المنطقة الحدودية مع المغرب و بالتالي عزوفه عن نشاطات اقتصادية أخرى كالرعي و تربية المواشي والزراعة.

- من خلال المقابلات تبين أن هناك قيما ومعتقدات متصلبة في ثقافة الساكنة تجعل الاقلاع التنموي يسير بخطى بطيئة ففي سؤال المقاولات والاستفادة من القروض المتاحة في الدعم الفلاحي والحرفي تبين

أن اغلب افراد العينة يرفضونها بدعوى أنها ربوية ومحرفة وهو حكم قيمي يأخذ شكل المعوق التنموي.

- لم تعد الأرض تمثل ذلك المقدس الذي اتسمت به قصور المنطقة وضمحل النشاط الزراعي الذي ازدهرت به المنطقة التي كانت تكتفي ذاتيا في الماضي في غذائها وملبسها و هجرت بزوال الآباء والأجداد والجيل السابق، فالكثير من التشكيلات الاجتماعية من العائلات هجرت ما تملكه من أراضي و نزحت الى المدن المحاورة. والذي حدث هو أن المصادر الطبيعية لهذه المناطق قد أصيبت بالجذب أو استنفدت، وبالتالي انحسرت عنها الحياة الاجتماعية¹. فنقلص النشاط الرعوي والفلاحي بمنطقة عين الصفراء كان نتيجة لتدهور الغطاء النباتي ما أدى الى تقلص مساحات الرعي، الذي انعكست نتائجه سلبا على الكثير من النشاطات الاقتصادية و الثقافية. ولكن نشاط الإنسان هو الذي احدث هذه التغيرات أصلا، وقد أثرت تغيرات مشابهة، ولكن على نطاق أوسع في الماضي أحدثت تأثيرا عميقا في مناطق حضارية عظمى وغيرت تاريخ المجتمع الإنساني بأسره، فقد حدث على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط في جنوب إيطاليا و اليونان وفلسطين و مصر و غربا اتجاه المغرب، عملية طويلة من إجهاد و جذب التربة مما نجم عنه تغيرا في مراكز تجمع السكان في ملتقى طرق التجارة و مقار الإمبراطوريات فحسب و لكن تغير في الأشكال الثقافية والاقتصادية و نظام الأنظمة الاجتماعية بأسره².

كما أن تنوع الموارد الطبيعية من المواد الخام مثل المعادن و البترول و الإنتاج الزراعي و الصناعي تؤثر و تحدد أنشطة الإنسان و وسائل معيشته و نمط حياته على العموم، فاكتشاف البترول في منطقة الخليج قد احدث ثورة من التغيرات الفكرية و الاجتماعية و الثقافية و الحضارية العمرانية.

و قد عرفت الجزائر التغير الفيزيقي عبر عدة مراحل من التاريخ و خاصة باكتشاف البترول و تأميمه والذي أدى إلى تغيرات جذرية و تحولات داخل المجتمع الجزائري في جميع الجوانب، كما تأثرت منطقة

¹ - ر.م. ماكيفر - تشارلز بيدج. المجتمع، الجزء الثالث، ترجمة سمير نعيم احمد، مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة. 1981 ص 90

² - نفس المرجع ص 92

العين الصفراء بهذا التغيير و ماترتب عنه من قحط و جفاف و تصحر مما جعل النشاط الرعوي يخضع للتغيير الفيزيقي الحتمي، فتراجع الإقبال على هذا النشاط الاقتصادي الأساسي لبدو المنطقة الذين هجروا الأرياف ونزحوا إلى المدينة بحثا عن ظروف أحسن. و ذلك في ظل عدم القدرة و عدم جدوى مقاومة بعض الظروف الطبيعية و خاصة قلة تساقط الأمطار و القحط الذي أصاب مواطن العشب والكأ و قلة الآبار والموارد المائية و التي بدونها و بتدني منسوبها لا يمكن للبدو الرحل الاستمرار في نمط حياتهم الاقتصادي والاجتماعي حيث أن كل مجتمع يعتمد على استغلال مصادر بيئته، و يعتمد بقاؤها ضمن أشياء أخرى، على قدرة المجتمع على الحفاظ على هذه المصادر و صونها، أو استبدالها، أو إيجاد بدائل لها. ولا يعني ذلك بطبيعة الحال أن العوامل الفيزيكية هي العوامل الأساسية الوحيدة في إحداث التغيير، فقد اثبت التاريخ أن بعض التغيرات في البيئة الفيزيكية يمكن أن تؤدي إلى حدوث تغيرات اجتماعية و اقتصادية وثقافية قد تكون بعيدة المدى في بعض الحالات الاستثنائية كما حدث في الدول التي ظهر فيها البترول، فبالرغم من أن البترول قد اكتشف من خلال جهود بشرية. إلا أن ارتباطه بالطبيعة قد اثر تأثيرا مباشرا على مسار التطور في المناطق التي اكتشف فيها.¹

نظرا للموارد الطبيعية التي تزخر بها ولاية النعامة عامة و منطقة عين الصفراء

خاصة من ناحية المراعي و الموارد المائية، فإن محاور التنمية تركز على النقاط التالية:

- تشجيع تربية المواشي.
- ربط المستثمرات الناشطة بالكهرباء الفلاحية
- تشجيع الفلاحين للانخراط في مجال الزراعات الكبرى (زراعة الذرة الصفراء و السلجم الزيتي)
- تحسين إنتاج المحاصيل العلفية و الحبوب لتوفير الكلىء للماشية محليا.
- دعم المستثمرات الفلاحية لرفع من قدراتها الإنتاجية

¹ دلال محسن، مرجع سابق ص 47

- تزويد عائلات الريفية بتجهيزات الخاصة لتحويل و تثمين منتوجاتهم المحلية.
 - تشجيع عمليات توسيع الزراعات العلفية المسقية لتخفيف فاتورة استيراد الأعلاف.
 - دعم إنشاء وحدات لتجميع المنتوجات الحيوانية (الصوف -الجلود....).
 - تشجيع الزراعات المحمية باستعمال البيوت البلاستيكية.
 - وضع قانون خاص بتسيير و استغلال المراعي.
- من خلال بعض المؤشرات التي وردت في الدراسة نستخلص أن أكبر قيمة يتبناها الحرفيين الذين اجرينا معهم مقابلات باعتبارهم أحد مكونات الطبقة الشغيلة بالمنطقة أن أهم ما يجعلهم يستمرون في الحرف هي القيمة الثقافية ثم تليها القيمة الاقتصادية ، ما يدل أن غالبية الحرفيين تربطهم بالحرفة القيمة الثقافية أكثر منها الاقتصادية في التمسك و ممارسة نشاطهم و كذلك بنسبة للزبائن المقبلين على المنتج النسيجي الذين يرتبطون به لاعتزازهم به و انتقاهم رغم غلاءه مقارنة مع في حين نجد أن القيمة الاجتماعية ضئيلة نوعا ما، حيث أن الحرفة لم تعد تلعب دورا هاما في نظام القرابة. والمصاهرة، و في العلاقات الاجتماعية كما كانت تلعبه في الماضي فقد 'قسم سفير ناجي الحركية الاجتماعية أو الديناميكية في المجتمع إلى قسمين الجانب الأول منها يتعلق بعناصر التغيير ويندرج في أفق ديناميكي ومستقل والثاني يتصل بالمطالبة بالاستمرارية و بالرواسب الاجتماعية، وبصفة عامة بالموازين المتعايشة، حيث تدل كافة الدراسات في علم الإنسان بوضوح على انه لم يوجد أي مجتمع متماسك بشكل كلي وفق أشكال المجتمع التقليدي.

الخلاصة

تمثل التنمية عملية تحرر شاملة سياسية واقتصادية واجتماعية، وأن مراميها وأهدافها يصعب تحقيقها دون إدارة سياسية واعية. وأنها عملية تحول اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي معا، إذ أنها تمثل نهوضا حضاريا يأخذ في الحسبان البعد الثقافي والدمغرافي والاعتقادي وليس مجرد تغيير اقتصادي يتمثل في مجرد ارتفاع في متوسط دخل الفرد و بناء الهياكل دون النظر إلى النواحي الأخرى من عملية التنمية خصوصا ما يتعلق بها من توزيع الدخل والإيفاء بالحاجيات الضرورية للسكان كما لا بد أن تكون كما يرى "رمزي زكي" مستقلة ومتعمدة على الذات متجهة للداخل ومشبعة للحاجات الأساسية ومتضمنة لقدر من المشاركة الشعبية. فالتنمية التي حاولنا من خلال هذا العمل أن نتناولها خاصة من الجانب الانثربولوجي لا تعتمد على آليات السوق و تباين الرؤى الايديولوجية التي عجزت عن توفير التوزيع العادل للثروة وتحقيق التكافؤ بين الجهات و ضمان حسن استغلال الموارد الطبيعية و البشرية مثلما هو الخال بالنسبة لمنطقة العين الصفراء التي وبالرغم من المقومات الهائلة والمعتبرة لم تشهد حركية اقتصادية وتنمية محلية حقيقية، فالتنمية الاقتصادية واجتماعية وسياسية في وقت واحد". ومن ثم يجب الابتعاد عن الجوانب التقليدية وطريقة المحاكات وتقليد دول لها ظروفها الخاصة دون بناء القوة الإبداعية وتضخيم نوع من النشاط الاقتصادي الطفيلي دون تنمية القوى الإنتاجية والعلمية والتكنولوجية، وتنمية استراتيجية على المدى البعيد". ولهذا كما رأينا في السابق أنه يجب أن ننظر إلى التنمية على أنها نتاج تجربة داخلية لا يمكن تقليدها واستيرادها لأنها في حقيقة أمرها لا تستورد ولا تستعار من الآخرين لأنها ببساطة عملية مجتمعية مركبة يتم تخطيطها عن وعي وتصنع بالجهد والإبداع الذاتي منها الفكري والتنظيمي والمادي. أنها عملية تراكمية مطردة بطبيعتها، إذ لا يصح الاكتفاء "بطفرة" تنموية مؤقتة تنشأ عن ظرف عابر، ويجب أن يكون محرك التنمية داخليا ذاتيا في الأساس وأن يتم التركيز على البحث خاصة في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية و التعويل علىيها في كشف الغطاء عن معوقات التخلف و تشخيصها ومعالجتها، والتي من خلال النتائج الحصل

عليها في هذه الدراسة يظهر جليا مدى تاثير الجانب القيمي والبعد الثقافي في تحديد منطلقاتها و وضعها في المسار الصحيح وأن تتم عملية التنمية في ظل إطار سياسي وإداري ومؤسسي ملائم. فنقطة الانطلاق في عملية التنمية تبدأ بالرأس مال البشري، بمعنى أن البشر هم صانعو التنمية وبما أنهم كذلك من المفروض أن يكونوا هدفها وغايتها القصى.

و عليه فإن تدبير تنمية حقيقية و السعي الى تجسيدها في منطقة عين الصفراء التي تتوفر على جميع المقومات و المؤهلات و الموارد المطلوبة دون التوجس من الاصطدام معوقات و عثرات خاصة الثقافية منها، لا يتم ولا يتحقق الا عبر وضع خطط تنموية ومشاريع اقتصادية و تشمل على مراعاة جميع الجوانب المتعلقة بالمجتمع المحلي فلا نعطي الأهمية لجانب على حساب الآخر فالواقع الذي لمسناه من خلال الدراسة أن السلطات و الدولة لن تذخر جهدا في بعض الجوانب كالدعم الفلاحي و بناء السكنات الريفية و توصيل الكهرباء الفلاحية و دعم الاعلاف و مواد تغذية المواشي الذي يمثل جهودا مبذولة لا يمكن انكارها لكنه و مع إغفال المسؤولين المحليين لجوانب الأخرى كإعطاء الأولوية لتشجيع الصناعات الصغيرة التي تحتص في صناعة الجلود و الاصواف التي تمتاؤ بوفرتهما الكبيرة في المنطقة و حاضنات الاعمال و المؤسسات الناشئة و انجاز مشاريع للتهيئة، فلا مرأ أن نجاح التنمية مقترن بتلائم المشاريع والمخططات مع طبيعة المنطقة و بنيتها الثقافية و تركيبها الاثنية و ان تتماشى المشاريع التنموية مع هذه الخصوصيات لضمان نجاعتها و فعاليتها. و ما جهودنا في الدراسة الراهنة إلا مقارنة لبعض الأبعاد المتعلقة بالتنمية من زاوية ثقافية، وهي محاولة بحثية أنثروبولوجية لمنطقة عين الصفراء من بعض جوانبها و التي تعتبر ميدانا خصبا لازال في حاجة الا دراسات اكااديمية متعددة التخصصات نظرا لثراءها اللغوي و الثقافي و الاثري و السياحي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

1. أبو عبد الله محمد الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983،
2. إحسان حفطي، علم اجتماع التنمية، دار المعرفة الجامعية ، جامعة الإسكندرية، 2006.
3. إحسان حفطي، علم اجتماع التنمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004،
4. أحمد الربايعة : مقومات التنمية ومعوقاتها، قسم علم الاجتماع كلية الآداب، جامعة الأردن ، 1988.
5. أحمد زايد واعتماد محمد علام، التغيير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2000
6. أحمد سليمان أبو زيد، نظرية علم الاجتماع "رؤية تقديمية راديكالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.
7. أحمد مصطفى خاطر، تنمية المجتمع المحلي الاتجاهات المعاصرة، الاستراتيجيات، نماذج الممارسة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية (الأزاريطة)، 2000.
8. اسماعيل ابن السعدي و لغريبي نسيمة، تجربة توطين البدو الرحل .الباحث الاجتماعي .جامعة قسنطينة 10 سبتمبر 2010
9. أنتوني غيدنز، كارين بيردسال، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ،لبنان، ط4، 2005
10. أيمن سليمان مزاهرة وعلي فالح الشوابكة: البيئة والمجتمع، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003،

قائمة المصادر والمراجع

11. أيوب عبد الرحمان ،من قصور الجنوب التونسي *القصر القديم* بحث نشر ضمن كتاب النقائش والكتابات في الوطن العربي ،تونس، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1988
12. بوفلجة غياث. القيم الثقافية وفعالية التنظيمات، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2015.
13. بوفلجة غياث: بحوث في التغيير التنظيمي وثقافة العمل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية، ط 2004، 1
14. جودت، عبد الكريم يوسف. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2008
15. جي روشيه علم الاجتماع الأمريكي، دراسة لأعمال "تالكوت بارسونز"، ترجمة أحمد زايد وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1981 ،
16. حسين بن هاني: التنمية في الوطن العربي ، الأردن ، دار الكندي، 1990
17. حسين بن هاني: التنمية في الوطن العربي، الأردن. دار الكندي، 1990.
18. حسين عبد الحميد احمد رشوان .علم الاجتماع الريفي. المكتب العربي الحديث.الإسكندرية،2003
19. خليفة بن عمارة. تاريخ الجنوب الغربي الاعلى من الاصول الى غاية حرب التحرير ترجمة بوداود عمير دار القدس العربي
20. دارن بارني: المجتمع الشبكي، ترجمة أنور الجمعاوي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط 1 2015.

قائمة المصادر والمراجع

21. دالت روستو: مراحل النمو الاقتصادي، ترجمة برهان دجاني، بيروت، منشورات المكتبة، 1960
22. دلال محسن استيتية. التغيير البعير الاجتماعي. و الثقافي . دار وائل للنشر ط1. الاردن2004.
23. دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية 1980
24. دينكن ميتشل .معجم علم الاجتماع. ترجمة احسان محمد حسن.ط2دار الطليعة . بيروت.1986
25. ر.م.ماكيفر -تشارلز بيدج.المجتمع، الجزء الثالث ،ترجمة سمير نعيم احمد، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.1981
26. رابح كعباش. سوسيولوجيا التنمية. مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث و الترجمة. جامعة منتوري. قسنطينة 2007.
27. رالف ل. بيلز، هاري هويجز: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة: محمد محمود الجوهري، سيد محمد الحسيني، يوسف ميخائيل أسعد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1988.
28. رالف. ل. بيلز، هاري هويجز: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ج2،1996.
29. روس إ. دان.. المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي. المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912. . أحمد بوحسن المترجمون. الرباط: منشورات زتوية -2006
30. سعيد أوكيل: استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية، دار هومة، الجزائر، 1994،.

قائمة المصادر والمراجع

31. سميرة كامل محمد، التنمية الاجتماعية - مفهومات أساسية- رؤية واقعية- الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
32. سوسن عثمان عبد اللطيف: دراسات في التنمية المحلية، القاهرة لمعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 1979.
33. السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
34. الشيباني عمر محمد التومي: الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، الدار العربية للكتاب، ط9 ليبيا. 1984.
35. صلاح العيد: علم الاجتماع التطبيق وتنمية المجتمع العربي، القاهرة، مؤسسة التعاون للطبع والنشر، 1972.
36. صلاح مصطفى الفوال. البداوة العربية و التنمية. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة 1967
37. صلاح مصطفى الفوال. البداوة العربية و التنمية. مكتبة القاهرة الحديثة. القاهرة. 1967ص56
38. الطيب داودي. الاستراتيجية الذاتية لتمويل التنمية الاقتصادية، دار الفجر للنشر والتوزيع، عمان. الاردن. 2008.
39. عاطف وصيفي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981،
40. عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري، علم الاجتماع والتنمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985.

قائمة المصادر والمراجع

41. عبد الباسط محمد حسن: التنمية الاجتماعية، القاهرة، معهد البحوث و الدراسات العربية، المطبعة العالمية. مصر 1970
42. عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي - الحضري، مخبر التنمية والتحويلات الكبرى في المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، جامعة باجي مختار، عنابة، 2007
43. عبد الحميد يونس - الهلالية من التاريخ و الأدب الشعبي- القاهرة 1056 هـ
44. عبد الحميد يونس - الهلالية من التاريخ و الأدب الشعبي- القاهرة 1996
45. عبد الرحيم العطري. تحولات المغرب القروي-أسئلة التنمية المؤجلة (الإصدار الطبعة الاولى). الرباط: طوب بريس. (2009)
46. عبد العالي دبله، الدولة رؤية سوسيولوجية، دار الفجر، القاهرة، ط1، 2004،
47. عبد القادر حليفي. من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي. منطقة العين الصفراء نموذجاً. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2002.
48. عبد القادر حليفي . جغرافية الجزائر . المطبعة العربية. الجزائر 1986
49. عبد القادر حليفي. من الموروث الثقافي الجمعي ألمغاربي .منطقة العين الصفراء نموذجاً. ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر. 2002.
50. عبد النور ناجي، دور منظمات المجتمع المدني في تحقيق الحكم الراشد في الجزائر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سطيف، العدد الخامس، 2007.

قائمة المصادر والمراجع

51. عبده أبو السيد احمد فتحي الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.2005
52. عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (1889 - 1970)، ترجمة، جوزيف عبد اللد، دار الحداثة، بيروت، 1983،
53. علي عبد المعطي محمد. فلسفة الفن، رؤية جديدة دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985.
54. علي غربي وإسماعيل قيرة، في سوسيولوجية التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001،
55. علي فؤاد احمد، مشكلات المجتمع الريفي، في العالم العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993.
56. عالية حسن حسين، التنمية نظريا و تطبيقيا، تقديم أحمد أبوزيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، مصر، دط، 1977،
57. فادية عمر الجولاني، علم الاجتماع الحضري، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984،
58. فاروق احمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم : الانثروبولوجيا الثقافية , الأزاريطة , مصر : دار المعرفة الجامعية ,
59. فتحي السيد عبده . أبو السيد سيد احمد. الصناعات الصغيرة و دورها في التنمية. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية.2005.

قائمة المصادر والمراجع

60. فيليب لابورت.جان بيار فارنييه. اثنولوجيا اثنوبولوجيا. المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، 2004.
61. كلاهون، كلايد: الانسان في المرأة،.علاقة الانثوبولوجي بالحياة المعاصرة، شاعر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، نيويورك، 1964 .
62. كمال التابعي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والعلمية، القاهرة دار المعارف، مصر 1998.
63. مارك اوجي. أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة.. ترجمة وتقديم ميلود طواهري. دار الفجر الجديد. 2010
64. مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، دمشق، ط 01، 1978،
65. ماهر ابو المعاطي علي الاتجاهات الحديثة في التنمية الشاملة المكتب الجامعي الجديد 2012مصر.
66. ماهر ابو المعاطي علي، الاتجاهات الحديثة في التنمية الشاملة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2012
67. ماهر ابو المعاطي علي، التنمية الشاملة .معالجة محلية وعالمية لقضايا التنمية. حلوان. المكتب الجامعي الحديث 2012.
68. مجد الدين خمش، الدولة والتنمية في إطار العولمة، دار المجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ت) 2006
69. محمد احمد بيسوني، عفاف عبد المنعم ناصر: علم الاجتماع العائلي. دراسة التغيرات في الأسرة العربية)، دار المعرفة الجامعية، مصر 2006

قائمة المصادر والمراجع

70. محمد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري , تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر , الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية , بدون سنة
71. محمد العربي ولد خليفة: التحولات الاجتماعية والسياسية. ملامح الحاضر ومتطلبات جزائر المستقبل، دار القصة للنشر، الجزائر، 2016
72. محمد بالراح. افاق التنمية في الجزائر. مخبر تطبيقات علوم النفس وعلوم التربية من اجل التنمية بالجزائر. جامعة وهران. 2010.
73. محمد بالراح، افاق التنمية في الجزائر، مخبر تطبيقات علوم النفس و علوم التربية من اجل التنمية، جامعة وهران، 2007.
74. محمد حسن الغامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، 1989،
75. محمد سبيلا . التحديث و تحولات القيم .مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. 2001.
76. محمد سليمان الحداد، محمد يوسف النجار، الانثربولوجيا مقدمة في علم الانسان، المطبعة الدولية، الكويت، 2003
77. محمد سيد فهمي، العولمة والشباب من منظور اجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2009.
78. محمد شفيق، البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ، مصر، 1993،
79. محمد عارف : المنهج في علم الاجتماع في ضوء نظرية التكامل المنهجي ، ط 2 ، القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية 1975

قائمة المصادر والمراجع

80. محمد عبده محجوب، مقدمة في الانثربولوجيا بين المجالات النظرية و التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987
81. محمد علي محمد، مقدمة في البحث الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
82. محمود محمود الجوهري. علم اجتماع التنمية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، الاردن، 2010.
83. محي الدين صابر، التغيير الحضاري وتنمية المجتمع، مطابع سرس اللبان، القاهرة، 1962 .
84. مدحت القرشي، التنمية الاقتصادية، نظريات وسياسات وموضوعات، دار وائل للنشر 2007، الأردن.
85. مريم أحمد مصطفى وإحسان حفطي، قضايا التنظيم للتنمية في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، . 1985
86. مصطفى بوتفوشات: العائلة الجزائرية. التطور والخصائص الحديثة)، ترجمة، أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
87. مصطفى بوتفوشات، العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
88. مصطفى عمر حمادة : مجتمعات و ثقافات البحر المتوسط , دراسة في الأنثروبولوجيا الأركيولوجية , الأزاريطة , مصر : دار المعرفة الجامعية , 1996 .
89. مظهر سليمان. منشورات ثالثة. الابيار.الجزائر.ط1. 2010.
90. منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد 5، .، 2004- 2003

قائمة المصادر والمراجع

91. منظمة إيسيسكو ، التعليم في الدول الإسلامية و متطلبات التنمية الشاملة ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1998م
92. موريس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية ، دار القصبية للنشر،الجزائر،2004
93. نادية محمود مصطفى وآخرون: القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1 2011، القاهرة
94. نجوى عبد الحميد سعد الله. الإبداع الثقافي الاقتصادي. دار المعرفة الجامعية .1990.
95. نحو مجتمع المعرفة والتنمية المستدامة في الوطن العربي، بين الواقع والمأمول، مركز الإنتاج الإعلامي، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، السعودية الإصدار 11، سنة 1427هـ/2006
96. نزيه نصيف الأيوبي، استراتيجيات التنمية في العالم الثالث، مركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1987.
97. الهاشمي مقراني وآخرون: القطاع الصناعي الخاص والنظام العالمي الجديد. التجربة الجزائرية)، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، قسنطينة، 2010،
98. وليم لين. ادوارد. المصريون المحدثون . شمائلهم و عاداتهم. ترجمة عجلي طاهر نور.ط2. مكتبة النهضة. القاهرة 1975
- رسائل الدكتوراه:
1. أحمد الربايعة : مقومات التنمية ومعوقاتها،دراسة ميدانية بالريف الاردني، قسم علم الاجتماع كلية الآداب، جامعة الأردن ، 1988

قائمة المصادر والمراجع

2. بلقاسم نويصر، التنمية و التغيير في النسق القيمي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة 2010.
3. بن شراط نجاة، الحياة الاجتماعية والثقافية ببني سنوس بين الواقع ومتطلبات التنمية، أطروحة دكتوراه/ جامعة تلمسان، 2021.
4. خروف حميد، دراسة لبعض أنماط السلوك الاجتماعي لعمال مركب الأسمدة الفوسفاتية، عناية رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 1997.
5. خنفري خيضر، تمويل التنمية المحلية في الجزائر، واقع وأفاق، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر 3، 2011.
6. شريف زهرة، التغيرات الاجتماعية و آثارها في الشخصية القروية، دراسة مونوغرافية عن بلدية بوعينان -البلدية-، أطروحة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، 2008/2009.
7. العايب عبد الرحمن. التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر. أطروحة دكتوراه. جامعة سطيف، 2010.
8. عواج بن عمر إدارة الموارد البشرية في المؤسسات الصناعية بين التوجهات الاقتصادية وثقافة العامل الجزائري. أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2011 .
9. عيسى قوراري .قبيلة حميان .اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان 2005-2006
10. فكرون سعيد، استراتيجية التصنيع و التنمية بالمجتمعات النامية-حالة الجزائر-دراسة نظرية، أطروحة دكتوراه .جامعة قسنطينة، 2004- . 2005 .
11. محمود ثابت، تنمية المجتمعات المحلية الحضرية، دراسة ميدانية بمدينة جهينة، جامعة أسيوط، مصر، 1998

1. بادي مراد: القيادة الإدارية وعلاقتها بتنفيذ نظام "ل م د" دراسة ميدانية بجامعة سعد دحلب- (البليدة)، رسالة ماجستير غير منشورة، 2010.
2. بوالقرقور بوزيد، بوالقرقور بوزيد، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع (دور المؤسسات المتوسطة والصغيرة في التنمية المحلية بسكيكدة)، قسم علم الاجتماع، جامعة باجي مختار - عنابة، سنة الجامعية 2011-2012 .
3. تاجر مراد، الأبعاد الثقافية و الاقتصادية للصناعة النسيجية بمنطقة عين الصفراء، ÷ مذكرة ماجستير في انثربولوجيا التنمية، جامعة تلمسان 2012.
4. دحماني سليمان . التغيير في الأسرة الجزائرية . رسالة ماجستير في الانثربولوجيا. جامعة تلمسان. 2002.
5. علي نابتي " أشكال الإتصال النسوي في الفضاء المقدس بمنطقة العين الصفراء، دراسة حالة :فضاء قبة ضريح سيدي بوجمعة" رسالة ماجستير في علم إجتماع الاتصال، 2008، جامعة عبد الحميد بن باديس بـ مستغانم .الجزائر)، . غير منشورة.
6. عيسى قوراري .قصر تيوت دراسة اثرية معمارية .مذكرة ماجستير .تخصص فنون شعبية.جامعة تلمسان .2001.
7. منى هرموش. دور تنظيمات المجتمع المدني في التنمية المستدامة، دراسة حالة الجزائر، جامعة باتنة، مذكرة رسالة ماجستير، السنة الجامعية . 2009/2010.
8. وسيلة نادية بن ميلود، صيانة و ترميم و تاهيل قصور الجنوب الغربي الجزائري .ماجستير في علم الاثار.جامعة تلمسان 2009-2010 .

1. بلقاسم سلاطينية: تغير الأدوار الوظيفية للأسرة الجزائرية، مجلة التغير الاجتماعي. العدد الثاني، 2017، جامعة بسكرة.
2. بن عنتر عبد الرحمن: مراحل تطور المؤسسة الجزائرية آفاقها المستقبلية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة العدد الثاني، 2002.
3. بوحسون العربي، الخصوصيات التاريخية والأنثروبولوجية للحرف والصناعات التقليدية بمدينة تلمسان، المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية المتوسطة، العدد الثالث، جوان 2016.
4. بيدي محمد. الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري قصور منطقة عين الصفراء أنموذجا مجلة الساورة 2016.
5. جيهان عبد السلام عباس، ورقة بحثية بعنوان (دور المشروعات الصغيرة في تحقيق التنمية الاقتصادية في مصر) مقدمة للمشاركة في المؤتمر العلمي الرابع لكلية التجارة بعنوان "تمويل وإدارة مشروعات ريادة الأعمال وأثرها على التنمية الإق" كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، 2020.
6. حيتالة معمر، إشكالية التنمية المحلية المقومات والمعوقات، المجلة الجزائرية للاقتصاد والإدارة، 2017.
7. سفيان بن عبد العزيز، سمير بن عبد العزيز. محددات التنمية المحلية بولايات الجنوب الغربي الجزائري من خلال سوق الشغل مقال منشور بمجلة مجاميع المعرفة 2018.
8. سليم درنوني .دورية كراس الثقافة 6. دار الطلائع أبريل 2010 .

قائمة المصادر والمراجع

9. سيكوك قويدر. العلوم الاجتماعية والمسألة التنموية. مقال بمجلة الفكر المتوسطي. ماي 2014.
10. الطيب داودي، تقييم إعادة هيكلة المؤسسة الاقتصادية العمومية الجزائرية، مجلة المفكر، العدد الثالث جامعة بسكرة 2011 .
11. عبد الحميد بوقصاص: التنمية في المجتمعات الريفية بين الواقع والأهداف، مجلة التواصل (جامعة عنابة) مقاربات سوسيولوجية للمجتمع الجزائري، ع 06، جوان 2000.
12. عزت السيد أحمد، القيم بين التغير والتغيير المفاهيم والخصائص والآليات، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد الأول والثاني، 2011 .
13. لطيفة طبال،التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سعد دحلب،البليدة،الجزائر، العدد 08،جوان 2012.
14. مجلة تنمية الموارد البشرية -المجلد10/العدد الثاني -ديسمبر 2016.
15. مريم براهيم، بشير بلمهيدي علي، شبكة السكة الحديدية في الجنوب الغربي الجزائري، مقال بمجلة دراسات وابحاث،2018 .
16. ميشيل سيرنيا، نظرة عالم الاجتماع إلى التنمية المستدامة، "مجلة التمويل والتنمية"، 1993

المراجع باللغة الأجنبية

1. Bernard .A), Lacroix .L), L'Evolution Du Nomadisme An Algérie, Paris, 1906,
2. BOUTEENOUCHE M.SYSTEME SOCIAL ET CHANGEMENT SOCIAL EN ALGERIE.OPU.ALGER P23
3. Colomieu ,Voyage dans le sahara Algérienne de Géry ville à Ourgla ,le tour du monde,1863

4. Edelman, Marc, and Angelique Haugerud. (2005). The anthropology of development and globalization: from classical political economy to contemporary neoliberalism Malden, Mass: Blackwell Pub,
5. ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS, S.A, France, 2002
6. Encyclopédie de gestion et du management, Op.cit,
7. Encyclopédie de la gestion et du management, sous la direction de Robert LEDUFF, Edition DALLOZ France, 2004.
8. Ferguson, James (1999). Expectations of modernity: myths and meanings of urban life on the Zambian Copperbelt. Berkeley : University of California Press.
9. Georges Balandier, né le 21 décembre 1920 à Aillevillers-et-Lyaumont (Haute-Saône) et mort le 5 octobre 2016 à Paris, est un ethnologue et sociologue
10. Gow, David D. (1996) Review: The Anthropology of Development: Discourse, Agency, and Culture Reviewed work: An Anthropological Critique of Development: The Growth of Ignorance by Mark Hobart and Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World by Arturo Escobar, Anthropological Quarterly Vol. 69, No. 3, Healing and the Body Politic
11. MAROUF Nadir, lecture de l'espace oasien, Sind bad, Paris, 1980,
12. Maurice Godelier, né le 28 février 1934 à Cambrai, est un anthropologue français
13. Ministère du tourisme et de l'artisanat –article 13 du cid – définition de l'artisanat .1ere partie – fevrier1999
14. Mohammed Brahim: Le pouvoir en Algérie et ses formes d'expression institutionnelle, OPU ,Alger,1995
15. Peyronnet, R, op. cit. PP. 488.495.Lyautey, Op.cit. - Le Figaro, 05 Mars 1882
16. Radjia Benali : Rôles et statut dans la famille Algérienne contemporaine, ARABPSYNET E. Journal. N°21-22.
17. Selon Le Petit LAROUSSE (1996), le développement est l'amélioration qualitative et durable d'une économie et de son fonctionnement
18. Sidi Mohammed MOHAMMEDI: changement social et famille en Algérie, les cahiers du CRASC n°27,2013,

قائمة المصادر والمراجع

19. Sous direction de Toualbi Noureddine :La refonte de la pédagogie en Algérie, UNESCO ,ONPS,2005,
20. Trandis. H, The analysis of the subjective culture, Michigan, U.M.I, 1997,

المواقع الالكترونية

1. <https://www.mesrs.dz/ar2016> وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
2. <https://www.mesrs.dz> , 2015 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
3. <http://maraji3-elondy.blogspot.comlelondy-recherches>. التنمية و النهوض بالعالم . القروي ، 2011/2/14،
4. <http://elearn2013.univouargla.dz/courses/INTHOPOLOGIE/document>
5. [http://www.amazon.com/exec/obidos/searchhandleurl/index=books&field-author=Diane Raines Ward](http://www.amazon.com/exec/obidos/searchhandleurl/index=books&field-author=Diane+Raines+Ward).

الملاحق



جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ و علم الآثار

أخي الكريم أختي الكريمة: السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته :

إن هذه الاستمارة التي بين أيديكم هي مجرد أداة بحثية تساعدنا للوصول إلي نتائج أكثر دقة، لا نهدف من خلالها إلا جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات التي من شأنها دعمنا لاستكمال هذه الدراسة، و التي تعد هي بدورها متطلبا للحصول درجة الدكتوراه من جامعة تلمسان، و الموسومة ب: مقومات و معوقات التنمية بالجنوب الغربي "منطقة عين الصفراء أنموذجا" دراسة في اثربولوجيا التنمية، وتشكل إجاباتكم بصراحة وحرية قاعدة ستؤسس عليها نتائج هذا البحث تعود بالفائدة علي البحث العلمي بشكل عام.

لذا نرجو منكم ملا هذه الاستمارة و الإجابة عن هذه الأسئلة بكل صدق و أمانة- لأن مصداقية النتائج تتوقف علي جدية الإجابات- و ذلك بوضع علامة (X) أمام الإجابة التي تراها مناسبة. و سيكون من فضلكم إضافة تعليق أو أي ملاحظة أو معلومة تفيدنا في إثراء البحث، و لكم كل الحرية في التعبير عن رأيكم حول الأسئلة المفتوحة.

الملاحق

تأكدوا تماما من أن كل المعلومات التي ستدلون بها ستستخدم لأغراض علمية بحثية وستبقي سرية. ولا يطلب منكم كتابة الاسم أو اللقب.

أسئلة المقابلة:

البيانات الشخصية:

السن:.....

الجنس: ذكر أنثي

المستوى التعليمي: أمي (ة) أعرف القراءة و الكتابة مستوى ابتدائي متوسط ثانوي جامعي

مكان الإقامة:.....

1 - هل تتحدر اصولك من منطقة عين الصفراء؟.....

2- ماهي أسباب استقراركم بالمدينة و نزوحكم من الريف؟

3- ما هي أوجه النشاط الذي تمارسه:.....

4 - الحالة الاجتماعية: متزوج (ة) عازب(ة) أرمل(ة) متزوج(ة) مع أطفال مطلق(ة)

5 - هل تزوجت في سن مبكرة ولماذا؟.....

6- هل تعيش مع العائلة الكبيرة أم انك منفصل عنها؟:.....

- 7- هل سبب خروجك من العائلة الكبيرة مرتبط بمشاكل مادية او أخرى؟
- 8- ما هي مؤهلاتك المهنية و هل تشتغل وفقها حسب اختصاصك أم لا؟.....
- 9- هل تعتمد في كسب قوتك على الدخل اليومي او الشهري ام الاسبوعي؟.....
- 10- هل مصدر قوتك قار و دائم أم أنه يومي و متذبذب و موسمي ؟
.....
- 11- نوع المسكن: عادي تقليدي عصري ريفي
- 12- هل لديكم تغطية في خدمات الصرف الصحي وغاز المدينة والانترنت والكهرباء الزراعية؟
- 13- هل تم تخصيص منحة مالية و استفادة و دعم من طرف الدولة في بناء مسكنكم؟ نعم لا
- 14- ما هي اشكال الاستفادة من برامج الدعم الحكومية التي وضعت في متناولكم و هل استفدتم من ؟
- قروض مصغرة قروض بنكية برامج الدعم الفلاحي أو دعم تشغيل الشباب أخرى؟
.....
- 15- هل تملكون: أراضي مواشي عقارات بيت دواجن وحيوانات أليفة ؟
سيارة جرار اشاحنة ممتلكات أخرى؟ ما هي؟.....

الملاحق

16- ما هي أهم التجهيزات التي يتوفر عليها مسكنكم؟ تلفاز وهوائي ثلاجة مكيف هواء كمبيوتر فرن مدفأة تجهيزات أخرى؟.....

17- هل تتوفر القصور بالمنطقة على المرافق الضرورية؟ مستوصف مساجد صيدلية مركز الشرطة أو الدرك الحماية المدنية مركز خدمات البريد و المواصلات الإدارات العمومية المكتبة العمومية المرافق التعليمية مركز التكوين المهني ملاعب جوارية مراكز ثقافية أسواق فضاءات التسلية و الترفيه الترفيهية: ما هي؟.....

18- هل تتوفر في القرية مواصلات لنقل السكان؟ عمومية خاصة كالأهـما

19- هل تعتقد أن مواصلة الدراسة و النجاح في المسار التعليمي يفتح افقا مستقبلية لابناءك أم انك تفضل انقطاعهم و عنايتهم بأنشطة أباءهم من رعي و فلاحـة و حرف؟ ما هي المجالات التي ترونها ملائمة لابنائكم؟

أم تشجعونهم علي التمسك بالأرض و أعمال الزراعة أم تفضلونهما معا

في حال فشل ابنكم الدراسي فهل تفضلون: التكوين المهني تكوينه بصفة غير نظامية في حرفة معينة ممارسة نشاط آخر ما هو؟..... البحث عن وظيفة إنشاء نشاطه الخاص بمجهوده الفردي من يدعمه؟.....

2/ أسئلة حول القيم و منطلقات التفكير :

1- ما هو تصوركم للتنمية ؟

2- ما هي الإجراءات التي ترونها مناسبة لتحقيق التنمية؟.....

- 3- لماذا اتجهتم الى هذا النشاط الاقتصادي دون غيره؟.....
- 4- ما رأيك في عمل المرأة؟.....
- 5- لماذا تعتقد أن عمل المرأة غير مقبول في منطقتك؟.....
- 6- هل تؤيد أم تعارض فكرة عمل المرأة في مناصب معينة كالأسلاك الأمنية التي تختص عادة بالذكور؟ لماذا؟.....
- 7- ما هو دور ووظيفة المرأة في المجتمع في رأيكم؟.....
- 8- إذا كنت امرأة و تمارسين نشاطا أو عملا معيناً: فهل تفعلين ذلك؟: عن قناعة و حب للعمل أم مجبرة لأسباب معينة ما هي هذه الأسباب؟.....
- 9- ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الفرد حتى يساهم في تنمية مجتمعه؟.....
- 10- ما هي أولويات التنمية بالنسبة لك؟.....
- 11- لماذا في رأيك هجرت الحرف و تراجعت مستويات امتهاتها؟.....
- 12- في رأيكم كيف تتحقق التنمية في قريبتكم - مدينتكم و ما هي أوجه مساهمة السكان في تجسيدها ؟
.....
- 13- هل ينعكس عمل المرأة خارج البيت سلبي علي دورها الأساسي داخل الأسرة؟ .
.....
- 14- عند اختيارك للزوجة، هل تفضل العاملة الماكثة بالبيت تمارس عملا بالبيت ؟
لماذا؟ .
.....

15- إذن كيف تساهم المرأة العاملة في تنمية مجتمعتها؟.

.....

16- كيف تساهم المرأة الماكثة في البيت في التنمية بشك

عام؟.....

17- ما رأيك في التعليم و ذهاب الأبناء الى المدرسة ؟! ضرورة ملحة إلي مستوي

معين غير ضروري

18- اذا كنتم تمارسون نشاطا فلاحيا أو رعويا أو حرفة معينة، فكيف تسوقون منتجاتكم؟ أسواق محلية

أسواق خارج المنطقة نبيعه لأشخاص معينين يسوقونه بدورهم يبيعه الأطفال أسوقه بنفسي

. يتم طلب المنتجات من البيت أو المزرعة مباشرة آخري؟ ما هي؟

.....

19- كيف تتمثل و تتصور الطريقة التي ترفع من إنتاجك الزراعي كما و نوعا ؟

.....

20- هل لديكم مشاكل متعلقة بملكية الأرض الزراعية ؟

.....

21- ما هي سبل و طرق حل و فض النزاعات <ات الصلة بالملكية المشتركة أو العرشية

للأراضي الزراعية و البساتين؟

.....
.....
.....

22- إذا كنت امرأة ماکثة بالبيت، في منطقة ريفية و وسط قروي ولك مؤهلات و قدرات حرفية، فلماذا تمارسين حرفة تعود عليك بمداخيل؟

.....
.....

ما هي الأسباب الحقيقية التي تقف وراء التسرب المدرسي المبكر لابناء البدو الرحل؟

.....
.....

23- ما هي تصوراتكم للخروج من المعضلة التنموية و كيف ترون الحلول التي يمكنكم طرحها للوصول بالمنطقة إلي المستوي التنموي الذي تتطلعون إليه؟

.....
.....

24- ما هي العراقيل و المعوقات التي تعترضكم و تحول دون تحقيق مشاريعكم و تجسيد طموحاتكم؟

إدارية

-العنصرية والعصبية القبلية.....

.....:

أخرى:.....

25-هل يعمل أفراد من العائلة خارج المنطقة؟ نعم لا إذا كان بنعم: في أي مجال؟

لماذا؟ عدم توفر عمل في المنطقة سعياً وراء الكسب و الربح السريع لعدم توفر المنطقة علي
إمكانيات للاستثمار . أسباب أخرى؟ ما هي؟.....

26-هل تعتقد أن تدهور أوضاع القصر مرتبطة بالهجرة ؟؟

27-ما هي في رأيكم الآثار السلبية المترتبة عن حرمان عين الصفراء من الولاية و هل تعطل
المشاريع التنموية له علاقة بهذا المعطى التاريخي ؟

.....

28-هل تدعم فكرة استشارة سكان المنطقة و إشراكهم في عملية التخطيط التنموي؟

.....

هل تلاحظ بوادر مشاريع أو استثمارات أو مبادرات من قبل أفراد أو جماعات معينة غير رسمية
تصب في إطار تنمية المنطقة؟.....

صور للطالب تبرز المنتج النسيجي الرائج في المنطقة و هي الجلابة الصوفية





صورة للمنسج او آلة النول المستعملة في المنطقة (صورة للطلاب)



صورة تبرز الزرابي معروضة بسوق العين الصفراء (صورة للطلاب) -

- صورة لسجاد منسوج بقصر العين الصفراء سنة 1973 (صورة ارشيف):



صورة في نفس التاريخ و نفس المكان و التي تبرز اللمسة الابداعية و الثقافية



صورة تبرز التكوين في تخصص النسيج في معهد لافيغري بالعين الصفراء سنة 1973.



صورة توضح الزخارف و الأشكال التي كانت معتمدة في معهد لافيغري .



الحظيرة الوطنية جبل عيسى بالعين الصفراء (محمية طبيعية) :

و من أهم الجبال موقعا و غنى بأنواع النباتات و الحيوانات نجد **جبل عيسى** الذي يقع بالشمال الشرقي لمدينة العين الصفراء و يمتد على مساحة قدرها 29 ألف هكتار كما يصل ارتفاعه إلى 2250 م و على مر العصور شكل جبل عيسى نهودجا طبيعيا بفضل احتضانه لشجرة نباتية وحيوانية هامة .



الحظيرة مصنفة ضمن القانون رقم 83-03 الخاص بحماية البيئة و كذا المرسوم رقم 03-148 المؤرخ في 29 / 03 / 03 المتعلق بقواعد تصنيف الحظائر الوطنية و المحميات الطبيعية .

و على صعيد آخر ينقسم الغطاء النباتي لجبل عيسى إلى سهبي و اخر تلي و تعود عمليات غرس الأشجار إلى الزرعيات و نخس بالذكر الصنوبر الجبلي ، أما الأشجار المتبقية فتتمثل في البلوط والععار و العنشاب كالشيخ و اليانيز .

أما أنواع الحيوانات التي تسكن جبل عيسى فهي متنوعة فالطيور تتوزع على 25 نوعا أما الثدييات فنجد منها الذئب البري ، الخنزير البري ، ابن لوى و الثعلب و أنواع قل عددها كالجبلي والضربان و أخرى انقرضت كالنور و القط البرية .



مناطق

رطبة مصنفة: تتوفر المنطقة على 21 منطقة منها ثلاثة مصنفة ضمن اتفاقية "رمسار" مساحتها الإجمالية تقدر بـ 221.280 هكتار

الحظيرة الوطنية جبل عيسى بالعين الصفراء

المناطق المحمية (الرطبة) :



تتخذ المنطقة بالمحميات الطبيعية حيث تتوفر على 21 منطقة رطبة منها ثلاثة مناطق مصنفة ضمن اتفاقية رسار (إيران) و إثنان مقترحتان للتصنيف . منطقة التوسع السياحي عين ورقة هي أيضا مصنفة ضمن المناطق الرطبة حسب اتفاقية " رسار" التي تعتبر مساحة من المروج (Marais) أو مستنقعات (Fagnes) أو مخرات (Tourbières) أو من المياه المعدنية الطبيعية أو الصناعية ، دائمة أو مؤقتة ، حيث أن الماء راكد أو جاري ، عذب ، صالح أو أحاد بها في ذلك الفضائات البحرية التي لا يتجاوز عمقها ٥ أمتار في حالة الجزر .

لها أهمية إيكولوجية حيوية تتمثل في ضبط السيلان الهائل ولبقاء أكبر التنوعات البيولوجية كما فيها قيمة اقتصادية ، ثقافية ، علمية و إجتماعية تتمثل في تهيئة الثروات الطبيعية الواجب استغلالها منها الفلاحة و الرعي ، الصيد الهائل و استخراج الأملاح .

عدد المناطق الرطبة المصنفة عبر الولاية : ثلاثة (٣) مناطق (عين ورقة "عسلة" ، واحة تبوت و مغرار ، عقلة الدائرة "عين خليل") مساحتها الإجمالية تقدر بـ 221.280 هكتار .



تزخر ولاية النعامة على غطاء نباتي متنوع من * الغابات 138000 هكتار الحيوانية و النباتية

الثروة النباتية :



لولاية النعامة مناظر طبيعية خلابة متنوعة ومنها الغابات الكثيفة، الجبال السهبوب، الحفلاء ومناظر طبيعية أخرى.

بحكم موقع الولاية بالمضاب العليا و موقعها السمي جعل منها منطقة لممارسة نشاط تربية المواشي فوق مساحة رعوية تصل إلى 2.203.460 هكتار تميزها أنواع من النباتات أهمها :

❖ الحفلاء متوفرة بالمنطقة بشكل كافي كهادة أولية تستغل في صناعة كل الأشغال السلالة و الحفلاء.
❖ الكروش تستخرج مادة القطران من أشجار الكروش و يستعمل في صناعة القربة لحفظ الماء و تبريده خاصة من طرف سكان الريف و الرحل.

❖ نبات الرمت

❖ العرعار

❖ نبات الشبج الذي يتربع على مساحة 930 هكتار يستغل من طرف السكان في معالجة بعض الأمراض (أمراض الصدرية ، أمراض الأطفال...).

إضافة إلى :

❖ غطاء نباتي متنوع بـ 25 هكتار.

❖ حدائق النخيل التي تقدر بـ 1 ألف نخلة.

❖ أنواع أخرى من أشجار و شجيرات منها أشجار الزبوج ، و هناك ثروة نباتية لها شهرة عالمية كشجرة " البطهة " حيث أصبحت مهوية بالمنطقة و نشير هنا إلى وجود عينه بالمتحف البرتغالي أخذت من المنطقة إضافة إلى وجود ثروة غابية تنحصر بالمرتفعات الجبلية بالعين الصفراء كجبل عيسى، جبل مرغاد، بمساحة إجمالية تقدر بـ 1200 هكتار.



المتاحات الطبيعية

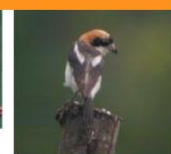
الثروة الحيوانية ::



يعيش بالمنطقة أنواع من الحيوانات منها :

(الترنب البري ، الجمل ، الثعلب ، الفنك ، قوندي الصحرى ، غزال الصحرى و قط الرمال الخ) .

و هناك أنواع من الطيور منها المقيمة و أخرى مهاجرة .



المتاحات الطبيعية

الثروة



- الغابة المتحجرة: بقايا الغابة المتحجرة توجد بكل من تيبوت و عين ورقة تروي جانبا من تاريخ المنطقة في العصور الغابرة.



-- ما قبل التاريخ :

- صخور منقوشة: في 24 أبريل 1847 تم اكتشاف
الصخور المنقوشة بتيوت إحدى أقم التعابير المرئية للإنسان
في المنطقة و الأولى من نوعها على مستوى شمال إفريقيا
تمثل مشاهد صيد الفيل، الأسد



تعتبر منطقة عين الصفراء عاصمة جبال القصور:

القصور بولاية النمامة



قصر سلة



قلعة الشيخ بوعمامة



قصر مشببقة



قصر نبونا

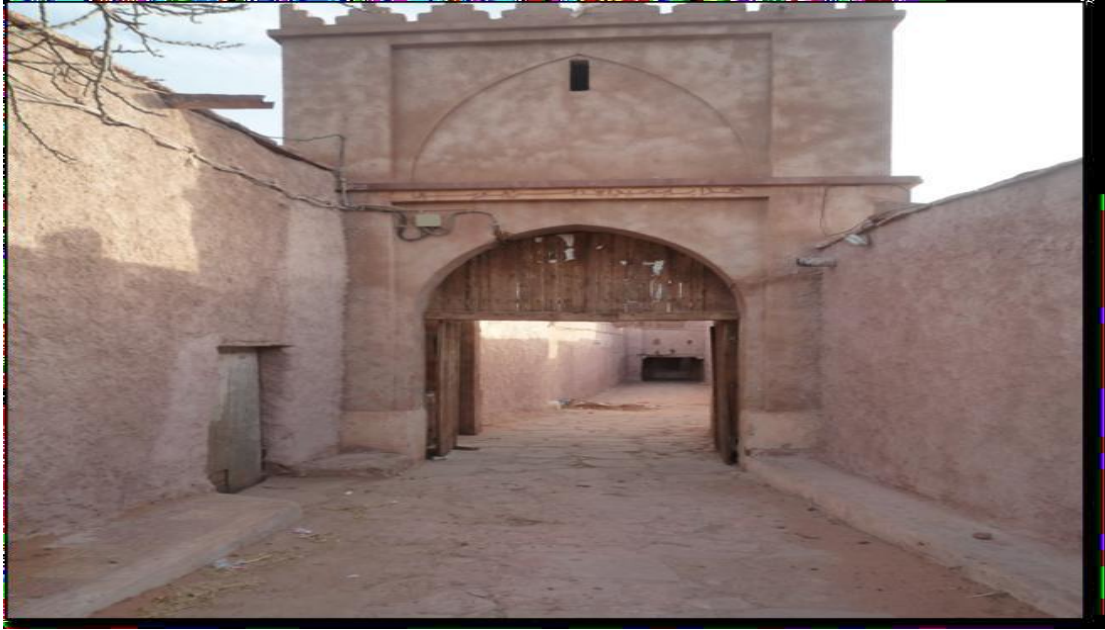
تعاقت عدة حضارات في المنطقة، فتضم أغلب القصور القديمة و النقوش و
الرسومات الصخرية، رغم مضي عدة قرون على إنشائها لازالت لحد الآن الشاهد الحي على ذاكرتنا
التاريخية و هويتنا الوطنية الأصيلة، أصالة أمجادنا و أبطالنا الذين صنعوا التاريخ.

- عرض المواقع السياحية (خريطة سياحية مرفقة)

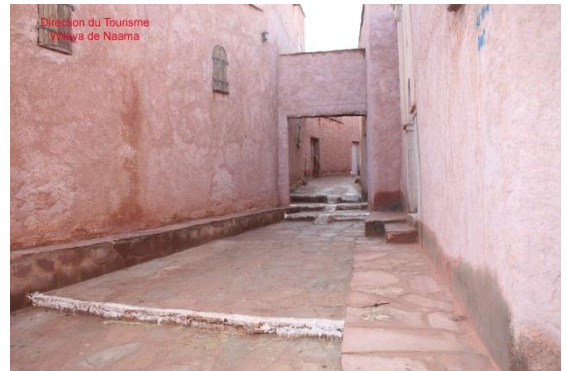


نماذج من هياكل الايواء بالمنطقة





-النمط المعماري السائد في قصور المنطقة التي يمثل رافدا للجذب السياحي



1- العقار السياحي :

1-2 - مناطق التوسع السياحي المصنفة:

بموجب المرسوم التنفيذي رقم 88/232 المؤرخ في 09/11/1988 المتعلق بإعلان عن مناطق التوسع السياحي لولاية النعامة : تتوفر الولاية على ثلاثة مناطق للتوسع السياحي مصنفة و هي كالتالي :

البلدية	اسم المنطقة وموقع التوسع السياحي	المساحة (هـ)	الملاحظات
عسلة	منطقة التوسع السياحي لعين ورقة	2324	- مصنفة بموجب المرسوم التنفيذي 88/232 المؤرخ في 09/11/1988 - تم المصادقة على مخطط التهيئة السياحية لمنطقة التوسع السياحي (قرار وزاري مؤرخ بتاريخ 06/04/2016)
عين الصفراء	منطقة التوسع السياحي مكثر	20	- مصنفة بموجب المرسوم التنفيذي 88/232 المؤرخ في 09/11/1988
عين الصفراء	منطقة التوسع السياحي سيدي بوجمعة	52.5	- تم إعداد الدراسة لمخطط التهيئة الساحية من طرف الوكالة الوطنية للتنمية السياحية في انتظار الاعلان عن المصادقة على مخططها السياحي في الجريدة الرسمية .

1- منطقة التوسع السياحي لعين ورقة (2324 هكتار)

2- البرنامج المقترح لمخطط التهيئة السياحي للموقع الاول (01)



Zone 1

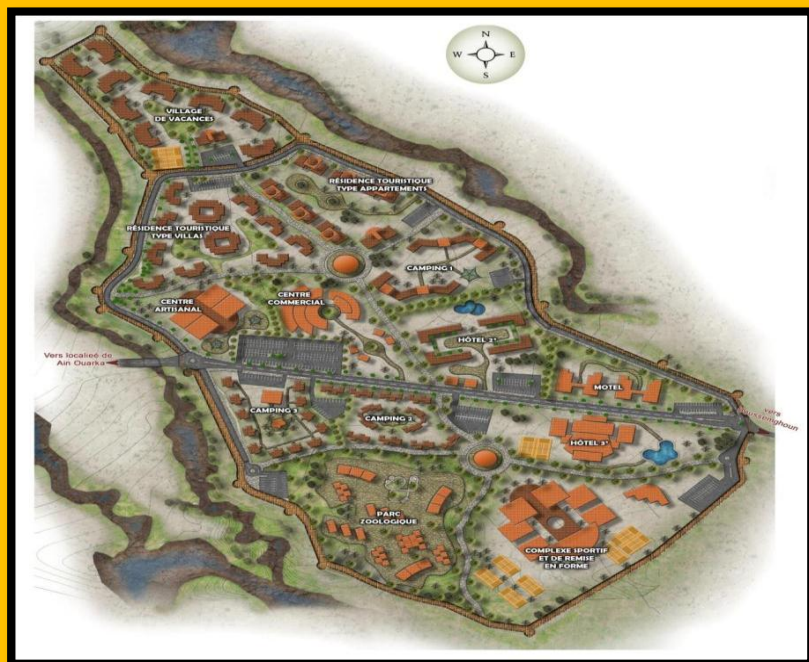
Superficie 37 Ha

N° du lot تجزئة	Affectation مشروع	Superficie (m ²) مساحة	Nombre de lits أسرة	Total d'emplo is مناصب شغل
01	Centre logistique de la ZEST مركز لوجيستيك لمنطقة وموقع التوسع السياحي	21 123	-	75
02	Centre de remise en forme et de bien être مركز لتأهيل الياقة و الصحة	30 614	-	60
03	Centre d'animation et de loisir مركز للتسلية	36 467	-	-
04	Village touristique قرية سياحية	40 734	120	180
05	Esplanade dédiée à l'événementiel مساحة للتجمع و العرض	2 026	-	-

الملاحق

	06	Résidence touristique type villas إقامة سياحية فئة فيلا	40 608	90	135
	07	Résidence touristique type appartements إقامة سياحية فئة شقق	37 086	100	150
	08	* 2 Hôtel فندق * 2	26 792	120	180
	09	Maison d'hôte دار للضيافة	32 563	90	135
	10	Camping مخيم	17068	60	90
	Hors lot	Voirie et espaces verts تهيئة و مساحات خضراء	84 919	-	-
	Total de la zone Aménageable (Zone 1) مساحة إجمالية			370 000	580

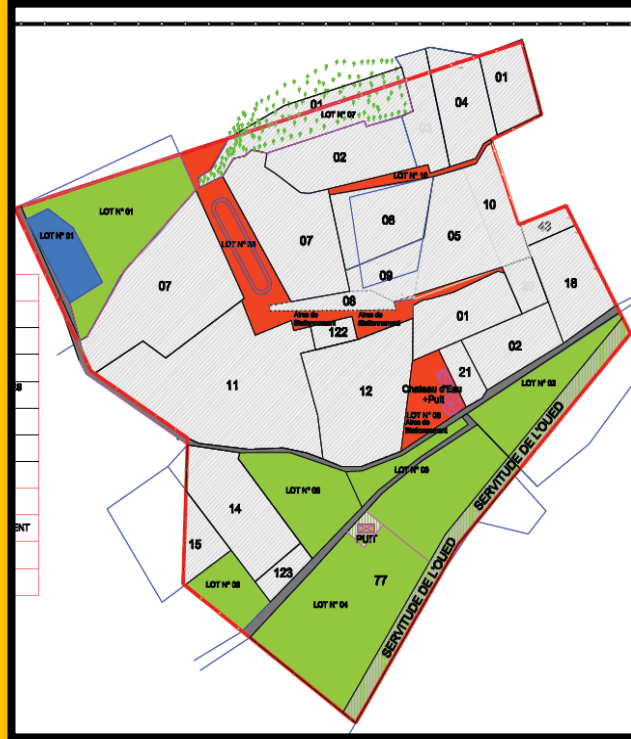
الملاحق



Zone 2
Superficie 43 Ha

N° du lot تجزئة	Affectation مشروع	Superficie (m ²) مساحة	Nombre de lits أسرة	Total d'emplois مناصب شغل
01	Village de vacances قرية سياحية	29 039	80	120
02	Résidence touristique type appartements إقامة سياحية فئة شقق	20 476	90	135
03	Résidence touristique type villas إقامة سياحية فئة فيلا	26 599	80	120
04	Camping 01 مخيم	19 979	60	90
05	Hôtel 2* فندق 2*	21 653	100	150
06	Motel	14 318	60	90
07	Hôtel 3 **فندق 3	26 256	120	180
08	Camping 02 مخيم	13 401	60	90
09	Camping 03 مخيم	13 745	60	90
10	Centre commercial مركز تجاري	20 555	-	55
11	Centre artisanal مركز للصناعة التقليدية	18 182	-	50
12	Complexe sportif مركز رياضي	51 495	-	50
13	Parc Zoologique حظيرة	43 425	-	45
Hors lot	Voirie et espaces verts تهيئة و مساحات خضراء	110 877	-	-
Total de la zone Aménageable (Zone 2) مساحة إجمالية		430 000	710	1265

الملاحق



ZET SIDI BOUDJMAA
Superficie 52.5 Ha

N° du lot تجزئة	Affectation مشروع	Superficie (m ²) مساحة	Nombre de lits أسرة	Total d'emplois مناصب شغل
01	parc de loisirs (existants) حديقة ترفيهية	5 000		
02	Hôtel فندق	26 186	150	100
03	Espace vert مساحات خضراء	13 549		
04	Terrain de camping (Chalets) شاليهات	25221	150	120
PAT	Espace de jeux et de loisirs (Espace destinées aux activités sportives (Maticos)) فضاء للعب و الترفيهية	4006		
05	Résidence Hôtellerie إقامة فندقية	16600	180	100
06	Espace vert (jardin arbre) مساحات خضراء	78107		
07	Espace de repos et de loisirs فضاء للعب و الترفيهية	3480		
pouches résultante non identifiées	08 terrain d'équitation + aires de stationnement	22 019		
	09 aires de stationnement (présence de château d'eau + puits) خزان مائي	8 362		
	10 aires de stationnement فضاء للتوقف	2 955		
Espaces collectifs				
	شبكات الطرق Esplanade et Voiries	3480	120	180
	Superficie total aménageable	205 485	480	320
A (Hors lots)préservée	zone a préservées (CBNR)	71662	-	-
	zone a préservées (Privée PFA)	282165	-	-
Total de la zone Aménageable (ZET) مساحة إجمالية		525 000	480	320

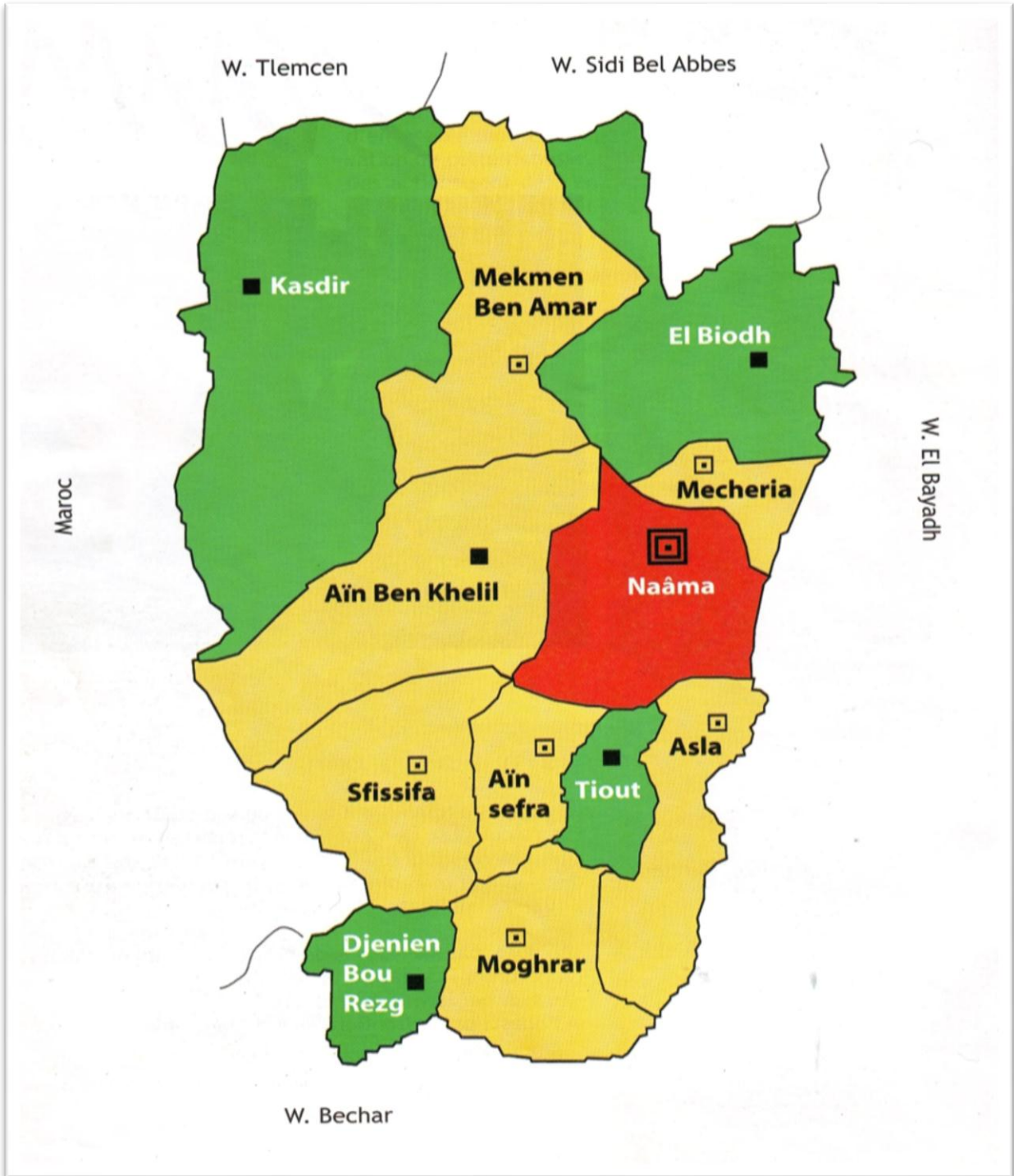
منطقة التوسع السياحي مكثر (20 هكتار)

-البرنامج المقترح لمخطط التهيئة السياحي لمكثر :

مناطق التوسع السياحي المقترحة للتصنيف:

توجد أربعة مناطق التوسع السياحي الجديدة المقترحة للتصنيف تم الإنتهاء من الدراسة المتعلقة بها و التي نسعى من خلالها إلى توفير عقار سياحي إضافي بالولاية برمجت فيها عدة حصص لانجاز مشاريع سياحية وفق مخطط التهيئة السياحية لكل منطقة وهي موجهة للاستثمار السياحي و لم يتم ايداع أي ملف لطلب الاستثمار بهذه المناطق وهي كالتالي:

الملاحظات	المساحة (هكتار)	اسم المنطقة وموقع التوسع السياحي	البلدية
تم اعداد الدراسة مخطط التهيئة السياحية وتم ارسالها إلى وزارة السياحة والصناعة التقليدية بتاريخ 2015/06/30 للمصادقة على مخطط التهيئة السياحية لكل منطقة في الجريدة الرسمية	20 هـ	منطقة التوسع السياحي تيوت	تيوت
	20 هـ	منطقة التوسع السياحي حوض الدايرة	عين بن خليل
	20 هـ	منطقة التوسع السياحي رويس الجير	صفيصيفة
	100 هـ	منطقة التوسع السياحي فوناسة	جنين بورزق



أقاليم و الحدود الترابية لولاية النعامة

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

	إهداء
	شكر وتقدير
أ	مقدمة
13	الإطار المنهجي للدراسة
14	1-تحديد الموضوع
19	2-أسباب اختيار الموضوع
22	3-أهداف الدراسة
24	4-أهمية الدراسة
28	5-الدراسات المشابهة
35	6-صياغة الإشكالية
39	7-الفرضية الرئيسية
39	8-الفرضيات الفرعية
39	9-تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة
44	10-مفهوم معوقات التنمية
48	11-التعريف الإجرائي للمعوقات
48	12-مفهوم المقومات
49	13-المنهج المستخدم في الدراسة
53	14-مجتمع البحث والعينة

54	15-صشعوبات البحث
55	16-خطة البحث
58	الفصل الأول: التنمية: مفاهيم، نظريات واتجاهات
59	تمهيد
63	1-التنمية بين الارهاصات والآفاق
68	2-التنمية لدى "رونالد وارن وتيومين"
68	3-التنمية عند "ديليان بيدل"
69	4-مفهوم التنمية عند اروين ساندرز
71	5-تصور الخبير الدولي "صلاح العيد" لمفهوم التنمية
71	6-التيارات الكلاسيكية في تفسير التنمية والتخلف
76	7-الاتجاهات المفسرة للتنمية
90	8-الماركسية المحدثة وواقع التنمية للمجتمعات النامية
97	9-المجتمع المدني ودوره في التنمية المحلية
101	الفصل الثاني: الأنثروبولوجيا والتنمية
102	تمهيد
104	1-التنمية كوجهة للبحث البأنثروبولوجي
112	2-أهمية أنثروبولوجيا التنمية
121	3-التغير الاجتماعي كمدخل للتنمية
130	الفصل الثالث: تحولات وسياسات التنمية وتوجهاتها في الجزائر بعد الاستقلال

131	تمهيد
132	1-أهم التحولات التي شهدها المجتمع الجزائري
132	1-1-التحول في المجال الديمغرافي
133	1-2-التحول في المجال التربوي
135	2-نظرة القروي الريفي للتعليم
138	2-1-التغيرات في المجال الاقتصادي
149	2-2-التحول في المجال السياسي
150	2-3-أثر التحولات على منظومة القيم في المجتمع الجزائري
159	2-4-التحول في المجال البيئي (المناخ)
163	3-أقسام البيئة
165	خلاصة
167	الفصل الرابع: اثنوجرافية منطقة عين الصفراء
168	تمهيد
170	1-لمحة عامة حول الإقليم
187	2-التعريف بمنطقة عيم الصفراء
189	3-البناء الاجتماعي بالمنطقة
195	4-سكان البدو الرحل في منطقة عين الصفراء
203	5-البناء الاقتصادي بالمنطقة
215	6-البناء الثقافي بالمنطقة

فهرس الموضوعات

230	الفصل الخامس: الدراسة الميدانية
231	1-مقومات التنمية بالعين الصفراء
262	2-معوقات التنمية بمنطقة عين الصفراء
272	3-تحليل ومناقشة النتائج على ضوء فروض البحث
279	الخاتمة
283	قائمة المصادر والمراجع
299	الملاحق
326	فهرس الموضوعات

المخلص: تشكل التنمية أحد أكبر القضايا التي تهجس بها كافة الدول باعتبارها مطلباً إنسانياً وهدفاً وغاية تسخر لها الإمكانيات وتقوم عليها السياسات وتبنى على إثرها الاستراتيجيات. تأتي هذه الدراسة التي تندرج في أنثروبولوجيا التنمية وهي الشعبة التي استندت عليها كثير من البحوث ذات الأبعاد المتكاملة التي تلاحم بين جميع عناصر التنمية المتداخلة ولا توجه الانتباه لجانب دون آخر بغية الوصول إلى التفسير وكشف الغطاء عن الأسباب الكامنة وراء التخلف والكشف عن ما يعيق المجتمعات لاسيما تلك التي تزخر بإمكانيات ومؤهلات معتبرة على غرار الجزائر التي سعت عبر برامجها منذ الاستقلال إلى اليوم لتحقيق التنمية الشاملة وبلوغ مستويات الرفاهية والتقدم المنشودين، فمن ضمن المقدرات المتوفرة عليها نذكر منطقة عين الصفراء بولاية النعامة التي تتميز بجملة من العناصر والعوامل البشرية والطبيعية والسياحية الداعمة لتجسيد التنمية المحلية وانعاش الاستثمار اذا استغلت على النحو المتناسب مع خصوصيات المنطقة الثقافية ونظمها القيمية، هذه الأخيرة التي قد تشكل مقوماً ورافداً من روافد التنمية كما قد تعتبر من المعوقات التي تحول دون نجاح أي فعل تنموي مخطط له وهو ما تحاول الدراسة تناوله خاصة في تركيزها على البيئة الثقافية ومنطلقات السلوك الجمعي الذي يعتبر حاسماً في رسم علاقات الإنتاج والتبادل والتوزيع والاستهلاك.

كلمات مفتاحية: أنثروبولوجيا التنمية، معوقات، معوقات، عين الصفراء

Abstract: Development is one of the biggest issues that all nations are obsessed as a social and a humanitarian demand, a goal and an objective that harnesses potential, builds policies and builds strategies. This study, which focus on development anthropology investigation which is based on many of the integrated dimensional research that is associated between all overlapping development in order to have a clear interpretation and detection of the underlying causes of the underdevelopment, besides the detection of communities which take over the potential and qualifications in Algeria which has witnessing through its programs since independence till today in order to achieve comprehensive development and the accomplishments levels of well-being and progress among the available capacities. Ain Sefra region which is characterized by a form of social composition, natural and touristic specificities that support the local development and bringing appropriate investments going in harmony with the cultural privacy of the area and its values, which may constitute a transplant of the development tributaries and may be also considered as obstacles to the success of any development program. We try to study the cultural environment and community behavior which are decisive in developments issues especially in production and exchange and consumptions.

Key words: Anthropology of development, obstacles, ingredients, Ain Sefra.

Résumé: Le développement est l'un des problèmes les plus importants pour tous les États comme une politique humanitaire des politiques. Cette étude se concentre dans le domaine anthropologique qui repose sur de nombreuses recherches dimensionnelles intégrées, associées entre tous les développements qui se chevauchent et n'attire pas l'attention sur un autre aspect afin d'accéder à l'interprétation et à la détection des causes sous-jacentes du sous-développement et de la détection. des communautés. Qui prennent le potentiel et les qualifications similaires à l'Algérie, qui ont demandé à ses programmes depuis l'indépendance aujourd'hui de parvenir à un développement global et de réaliser des niveaux de bien-être et de progrès, parmi les capacités disponibles, nous rappelons la région de la zone jaune, qui se caractérise par une forme de facteurs humains, naturels et touristiques, à l'appui de l'investissement de développement local et de recouvrement s'il est exploité, selon le cas possible avec la vie privée de la zone culturelle et de ses systèmes de valeur, qui peuvent constituer une gorge et une greffe des affluents de développement et peuvent être considéré comme des obstacles au succès de tout développement planifié, qui tente d'étudier, en particulier dans son accent sur l'environnement culturel et le comportement, le collectif, qui est décisif dans la production, l'échange, la distribution et la consommation.

Mots clé: Anthropologie du développement, obstacles, ingrédients, Ain Sefra